

حَضَائِرُ الْمُصْطَفَى

الجزء الثالث

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل صالح
صاحب أحسن تفسير للقرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحمد له واجباً على العباد ، وقال تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١) وهل يجزي الحمد لله مرة واحدة في العمر كما قيل ، الجواب لا ، إنما جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الحمد لله سبحانه من جهات متعددة منها :

الأولى : وجوب عبادة الله ، والنسبة بين العبادة والحمد والشكر لله عز وجل العموم والخصوص المطلق فالحمد شعبة من العبادة ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) .

الثانية : زيادة ومضاعفة النعم الإلهية على العبد عند شكره لله ، قال تعالى ﴿لئن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلئن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٣) ومن تقدير الآية : لئن شكرتم على كل نعمة لأزيدنكم .

الثالثة : صرف البلاء ودفع الضرر عن الناس بشكرهم لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٤) .

(١) سورة البقرة ١٥٢ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة إبراهيم ٧ .

(٤) سورة الأعراف ٥٦ .

الرابعة : تفضل الله عز وجل على المسلمين بوجوب قراءة كل واحد منهم سورة الفاتحة سبع عشرة مرة في اليوم ، ومنها قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ، وفيه دلالة على وجوب إكثار العبد من الحمد لله .

والشكر عرفان الإحسان ومقابلته بالرضا والثناء حالاً ومالاً ، ويكون الشكر بالقلب بتصور النعمة والإقرار بها ، وعلى اللسان وفي الجوارح ، وهناك مراتب عديدة بين الشكر باللسان والقلب ، فالأفضل والأحسن هو الشكر باللسان والثناء والدعاء ، وتسخير الجوارح في طاعة الله ، والإمتناع عن معصيته ، وهل هو من مصاديق الشكر لله ، الجواب نعم .

ليكون الشكر لله سبيل النجاة في النشأتين ، قال تعالى ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنِ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(٢) وتبين الآية أعلاه اسمين من أسماء الله عز وجل وهما ﴿شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ولا يحصي ويعلم شكر الله للعباد إلا هو سبحانه .

وهو من أسرار الجمع بين الاسمين أعلاه من الأسماء الحسنى ومن مصاديق ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٣) ليتجلى يوم القيامة أي الأمم وأهل الملل أكثر حمداً لله عز وجل .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أكثر الأنبياء حمداً لله وأن أمته هي أكثر الأمم حمداً لله عز وجل ، ومنه قول كل مسلم ومسلمة في كل يوم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) ،

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة النساء ١٤٧.

(٣) سورة الجن ٢٨.

(٤) سورة الفاتحة ٢.

على نحو الوجوب العيني سبع عشرة مرة بعدد ركعات الصلاة اليومية.

ومن الآيات دلالة اسم النبي محمد على مصاحبة الحمد لله له في حياته ،
واتباع المسلمين له في مقامات الحمد والشكر والثناء على الله عز وجل .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الوحي والتنزيل
وبقاء إطلالته وإشراقاته بالقرآن وأسراره ، وبلاغته وعلومه إلى يوم
القيامة .

وفيه دلالة وبرهان على عظمة الإسلام والإرتقاء الفكري عند المسلمين
والمجتمع الذي نزل فيه الوحي ، لأن الوحي وآيات القرآن أثبتت معجزات
الأنبياء تأكيداً وتوثيقاً كسفينة نوح ، وناقة صالح ، ونجاة إبراهيم ، وعصا
موسى ، وعصمة يوسف ، والآيات التي جاء بها عيسى عليه السلام .
ليكون من معاني صفة (خاتم النبيين) التي اختص وفاز بها النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم توثيق رسالته لمعجزات الأنبياء السابقين .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وضعه القواعد
الكلية والمنهجية السليمة والضوابط الصحيحة لعلم التفسير والتأويل
بالمصاديق وبيان تفسير جملة من الآيات والتي تصلح أن تكون قواعد كلية
في علم التفسير .

لقد شاء الله عز وجل حفظ المؤمنين وتعاهد أجيالهم ليكونوا
ممهدين ومبشرين بظهور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومادة
الدعوة الإسلامية وموضوعها الذي به وفيه تترشح وتنتشر بركات
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم متقدمة على زمانه .

ولا تنحصر بما بعد ولادته وبعثته صلى الله عليه وآله وسلم بل
كانت البشارات بنبوته عنوان عز وفخر للمؤمنين المتقدمين منهم
والتأخرين وسبباً لبعث الهيبة لهم في نفوس السلاطين والملوك ،
ولعلها تقف وراء عدم تجرأهم على غزو الجزيرة وأرض الحرمين ،
لتهيئة المقدمات والتوطئة لبعثته صلى الله عليه وآله وسلم .

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، الحمد لله على نعمة الشكر والحمد له ، وعلى نعمة الدعاء واللجوء إليه في المسألة ، هذا اللجوء الذي لا يرجع منه الإنسان إلا ويده مملوءة من ذات موضوع الدعاء أو غيره .

الحمد لله الذي لا يشرك في حكمه أحداً ، وجعل حاجة الخلائق له وحده متجددة ومتصلة .

الحمد لله على رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعلها خاتمة الرسالات ، وتفضل الله ورزقه من النعم والفوائد المباركة التي يختص بها من بين الأنبياء والرسل .

و(عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها وترك فيها موضع هذه اللبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة)^(١).

و(عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٢) وقد كان أمر علياً ومعاذاً أن يسيرا إلى اليمن ، فقال : انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، فإنه قد أنزل عليّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ قال : شاهداً على أمتك ، ومبشراً بالجنة ، ونذيراً من النار ، وداعياً إلى شهادة لا إله إلا الله ﴿بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا﴾^(٣) بالقرآن)^(٤).

(١) الدر المنثور ١٧١/٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٤٥ .

(٣) سورة الأحزاب ٤٦ .

(٤) الدر المنثور ١٧٧/٨ .

وبعد أن أنعم الله عز وجل علينا بصدور الجزء الأول والثاني من كتابنا الموسوم (خصائص النبي محمد (ص)).

صدر هذا الجزء الذي بين يديك هو الثالث من هذه الموسوعة . ولقد تضمن الجزء الأول أكثر من مائتين من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و(١٩٥) قانوناً ، وتضمن الجزء الثاني أكثر من مائة وسبعين خصيصة وفيه مائة وخمسة قوانين.

ويتضمن هذا الجزء والحمد لله أكثر من خمسمائة وعشرين من خصائص وخصال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المباركة ، ومائة وثمانية وثلاثين قانوناً ، في علم جديد يطل بضياءه على الأرض.

أسأل الله التوفيق لإتمامه بالوجه الذي يحب ويرضاه ، وفي التنزيل ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١) ، يليه إن شاء الله الجزء الرابع وبعد تألّفي للجزء السابع والستين بعد المائتين من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

الحمد لله الذي جعل الدعاء وسيلة التقرب إليه ، ومادة رفع الحواجز بين الإنسان وطبقات السماء ، فلا تستطيع الخلائق وإن اجتمعت الحيلولة دون أمور :

الأول : لجوء الإنسان إلى الدعاء جهرة أو إخفاتاً وسراً ، لأن الله عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢).

الثاني : صعود الدعاء في طبقات السماء .

الثالث : نزول الإستجابة من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣).

(١) سورة الفرقان ٧٧.

(٢) سورة غافر ١٩.

(٣) سورة غافر ٦٠.

الرابع : ترتب الأثر على الإستجابة عاجلاً وآجلاً .

الخامس : الأجر والثواب في الدنيا والآخرة على الدعاء .

والله تعالى وحده الذي يجيب من ناداه ، ويهب له العطايا الجزيلة .

اللهم أرزقنا لساناً صادقاً ، وقلباً سليماً ، ونسألك خير ما تعلم ، ونستغفرك ونتوب إليك ، ونعوذ بك من شر شياطين الإنس والجن .

الحمد لله الذي جعل النبي محمداً أسوة كريمة في سبيل الهداية والرشاد ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

ولابد من إنشاء علم خاص وهو المنافع العامة لخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فاذا كان كل جزء من الأجزاء الثلاثة من هذا السفر المبارك يتضمن الفيض والكم الكثير من الخصائص المباركة لرسول الله ، فننظر في كل خصيصة أو في أكثرها لتعم الفائدة لاستقراء المواعظ والدروس منها ، وليان معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتجدد مصاديق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وسيأتي في الجزء الرابع ان شاء الله قانون المنافع العامة لخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ترى ما هي النسبة المنطقية بين خصائص ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق فالخصائص أعم .

وهذه الأجزاء لا تحيط بمعجزات أو خصائص النبي .

(١) سورة الأحزاب ٢١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

وقد ذكر المحقق الحلي ت (٦٧٦) هجرية ان خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة خصلة وذكرها في صفحة من كتابه شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام والذي قمت بتدريسه قبل ثلاثين سنة في الحوزة العلمية والحمد لله ، وتقريرات تدريسي له في عشرين جزء تم طبع الجزء ٦ ، ١٠ ، ١٤ آنذاك ، والبواقي مخطوطة ، قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١) (٢).

حرر في العاشر من شهر ذي القعدة ١٤٤٦ هـ ٢٠٢٥/٥/٨

(١) سورة آل عمران ١٦٤.

(٢) أنظر الجزء الخمسين بعد المائة من كتابنا (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

الفرع إلى الصلاة

لقد جعل الله عز وجل الصلاة هي الصلة بينه وبين العباد في كل زمان من حين خلق آدم وإلى يوم القيامة ، وعلى تعاهد أمة منهم فان الله عز وجل يرزق جميع أهل الأرض ببركة الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعاهده الصلاة خمس مرات في اليوم ، وفي أوقاتها وحرصه على أدائها جماعة ، وهو من أسباب عدم الغلو بشخصه ، ومن خصائصه الاجتهاد في تنمية ملكة حب الصلاة عند المسلمين ، ودعا أجيال المسلمين إلى قضاء الصلاة التي فاتت عن إهمال أو تقصير أو نسيان.

و(عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله قال أقم الصلاة لذكري .

وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه ، عن أبي هريرة قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خير أسري ليلة حتى أدركه الكرى ، أناخ فعرس .

ثم قال : يا بلال ، أكلأنا الليلة ، قال : فصلى بلال ثم تساند إلى راحلته مستقبل الفجر ، فغلبته عيناه فنام ، فلم يستيقظ أحد منهم حتى ضربتهم الشمس ، وكان أولهم استيقاظاً النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : أي بلال ، فقال بلال : بأبي أنت يا رسول الله ، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك .

فقال رسول الله : صلى الله عليه وآله وسلم : اقتادوا ، ثم أناخ فتوضأ وأقام الصلاة ثم صلى مثل صلاته للوقت في تمكث .

ثم قال : من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله قال ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(١) ، وكان ابن شهاب يقرأها للذكرى .

وأخرج الطبراني وابن مردويه ، عن عبادة بن الصامت قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رجل غفل عن الصلاة حتى طلعت الشمس أو غربت ما كفارتها؟ قال : يتقرب إلى الله ويحسن وضوءه ويصلي فيحسن الصلاة ويستغفر الله فلا كفارة لها إلا ذلك^(٢) .

و(عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾^(٣) كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيء إلى باب عليّ صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول : الصلاة رحمكم الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٤)^(٥) .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه الإمام في تعاهد الصلاة في أوقاتها ، قال تعالى ﴿ إِنِ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾^(٦) .

و(عن ثابت قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة : صلوا صلوا ، قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة)^(٧) .

(١) سورة طه ١٤ .

(٢) الدر المنثور ٤/٧ .

(٣) سورة طه ١٣٢ .

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٥) الدر المنثور ٤٦/٧ .

(٦) سورة النساء ١٠٣ .

(٧) الدر المنثور ٤٦/٧ .

قانون أداء الصلاة سكينة عامة

لا يجد الإنسان الطمأنينة والسكينة في حال مثل أداء الصلاة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَسَخَّ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾^(١) لما فيها من القرب إلى الله ، وفي الصلاة شفاء وصلاح ورشاد ، ورجاء لنزول رحمة الله .

وعن (ابن عباس ، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)^(٢).

وأداء الصلاة من ذكر الله الذي تصاحبه الطمأنينة ، وتترشح عنه لما بعد الصلاة.

لذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يَقُولُ : يَا بَلالُ ، أَقِمِ الصَّلَاةَ)^(٣).

وفي المرسل (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يا بلال، أرحنا بالصلاة")^(٤).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن راحته والسكينة في أداء الصلاة عند الكدورة ، والضيق والشدة بل مطلقاً ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٥).

وأداء الصلاة من أبهى مصاديق علة خلق الناس ، بقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٦).

(١) سورة السجدة ٩.

(٢) البحار ١٢٥/٨٢.

(٣) مسند ابن أبي شيبة ٨٨٠/١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٦٢/٥.

(٥) سورة الرعد ٢٨.

(٦) سورة الذاريات ٥٦.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جهاده اليومي لتعاهد المسلمين الصلاة بالكيفية التي أداها هو مدة البعثة النبوية خاصة بعد هجرته إلى المدينة .

اتقان الأمة الصلاة

ليس من أمة تعاهدت الصلاة بذات الكيفية التي أداها الرسول مثل المسلمين ، لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تثبيت أحكام وكيفية الصلاة في الأرض إلى يوم القيامة ، وفيه منع للإختلاف بين الفقهاء .

وهذا المنع من وجوه :

الأول : نزول آيات القرآن التي تدل على وجوب الصلاة اليومية على كل مسلم ومسلمة والتكليف فيها على شعب :

الأولى : توجه آيات القرآن بالأمر إلى النبي محمد بالصلاة ، قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(١) وتلحق الأمر بالنبي في هذا الأمر .

الثانية : الخطاب القرآني العام إلى المسلمين باقامة الصلاة ، قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَصَلَاتَكَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٢) .

الثالثة : الأمر الإلهي إلى الأنبياء ، واتباعهم من الأمم السابقة باقامة الصلاة ، وفي خطاب إلى بني إسرائيل ﴿وَأَقِمْ وَصَلَاتَكَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَارْكُوعًا رَاكِعِينَ﴾^(٣) .

(١) سورة طه ١٤.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) سورة البقرة ٤٣.

الرابعة : نزول آيات قرآنية تبين أوقات الصلاة اليومية ، بلحاظ آيات كونية ثابتة ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١) قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢).
الثاني : الأجر والثواب في إقامة الصلاة .

الثالث : السنة النبوية الفعلية ، إذ يحرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إقامة الصلاة خمس مرات في اليوم وفي أوقاتها .
الرابع : حضّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أهل البيت والصحابة على إقامة الصلاة ، قال تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣).

الخامس : الأحاديث النبوية في الصلاة وثوابها في النشاطين .

أسواق مكة مقدمة للبعثة النبوية

في موسم الحج كانت كل قبيلة تختار مكاناً معيناً ومخصصاً لها سواء في أسواق مكة أو في منى ، وفيه مقدمة لذهاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إليهم كل عام في موسم الحج ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم الإزدياد وعلى نحو الإطراد لكل من :
الأول : الذين يتلقون دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإسلام كل سنة .

الثاني : الذين يستمعون إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخبرهم بأنه رسول الله .

الثالث : الذين يحفظون آيات القرآن ويتدبرون في معانيها ، قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

(١) سورة هود ١٠٧.

(٢) سورة الإسراء ٧٨.

(٣) سورة طه ١٣٢.

الرابع : الذين ينقلون آيات القرآن إلى أهليهم .
ويقترن هذا النقل بالإخبار بأنه تنزيل وبدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس للإسلام .

الخامس : تتبع الناس لمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية وجهاده في سبيل الله ، ولا يعلم الوقائع المتعددة في تبليغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في موسم الحج إلا الله عز وجل ، والإحصاء فرع العلم .

وهل يمكن القول بأن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رهطاً من الناس صاروا يحضرون موسم الحج للإستماع لآيات وسور القرآن التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلال السنة ، وأخبار البعثة النبوية ورؤية شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه الرؤيا المباركة التي ينجذب إليها الإنسان طوعاً وقهراً وانطباقاً ، الجواب نعم ، وهل دخلوا الإسلام .

الجواب نعم هم ومن ورائهم ، لذا اختتم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خطبته في حجة الوداع (لِيُبْلِغَ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ فَإِنَّهُ رَبُّ مَبْلُغٍ أَسْعَدُ مِنْ سَامِعٍ)^(١).

ويمكن تقسيم تبليغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة في موسم الحج إلى :

الأول : الدعوة السرية في السنين الأولى للبعثة النبوية .

الثاني : الدعوة شبه العلنية قبل خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف .

الثالث : الدعوة في موسم الحج بعد عودة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف .

(١) سورة ص ٢٩ .

(٢) مسند أحمد ١٧٩/٤٢ .

منتديات مكة

لقد خصّ الله عز وجل أهل مكة عامة ، وقريشاً خاصة بأفراد متعددة من الرحمة والرأفة ابتداء من بناء البيت الحرام ، ثم دعوة إبراهيم عليه السلام الناس للحج والعمرة ، ثم بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم ، و**بجوار ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)**.

وأنعم الله عليهم بتولي التجارة بين الشرق والغرب ، قال تعالى ﴿إِلَافٍ قَرِيشٍ * إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(٢) ، إذ ترد تجارة الشرق بوساطة اليمن ، والغرب بوساطة الشام ، حيث انقطعت الطرق بين الشام وفارس بسبب الحرب بينهم ، قال تعالى ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٣) وتدل الآية أعلاه على استمرار الحروب والمعارك بين الروم والفرس أيام خاتم الأنبياء ، وفيه مناسبة لنشر الدعوة الإسلامية ، ومنع رجالات قريش من تحريض كسرى أو قيصر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ليكون من خصائص النبي محمد إنشغال الدول العظمى بالحرب بينها ، وامتناعها عن مدّ قريش بالمال أو السلاح أو الرجال .

ومن فضل الله عز وجل على قريش أمور :

الأول : التشريف والإكرام لجوار البيت الحرام .

الثاني : قريش من ذرية إبراهيم خليل الله وإسماعيل ، ولم يغادرا الدنيا حتى قاما ببناء البيت الحرام ، من جديد بعد أن بناه آدم ، قال تعالى

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) سورة قريش ١-٢.

(٣) سورة الروم ٢-٣.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

الثالث : تهيئة مقدمات وأسباب مزاولة قريش للتجارة بين الأمصار ، قال تعالى ﴿لِيَلْأَفِ قُرَيْشٌ * لِيَلْأَفِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٢).

الرابع : استقبال أهل مكة وفد الحاج والمعتمرين على مدار السنة ، فتتفرد مكة بخصوصية وهي دخول الوافدين لها كل يوم إما في موسم الحج وإما يأتي الناس للعمرة والزيارة أو التسوق ، ولفك الخصومة .

الخامس : بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ، ودعوته لله من مقام النبوة والوحي ثلاث عشرة سنة فيها ثم الهجرة إلى المدينة بعد أن عزموا على قتله في فراشه في ذات الليلة التي هاجر فيها ، لبيان أن من خصائص النبي محمد نجاته من الاغتيال المخطط له بأحكام من قبل المشركين.

وهذه النجاة بفضل ولطف من الله به وبالمسلمين والناس جميعاً ، وقد وثق القرآن هذه النجاة كنعمة عامة من عند الله ، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٣).

وتضمنت هذه الآية مع قلة كلماتها خمس أفعال عدوان وتعد من الذين كفروا ، وكلها بصيغة المضارع لبيان تكرار ذات الظلم والتعدي وإعادة محاولات قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ليكون قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٤) حزناً للنبي ووعداً من الله عز وجل له وللمسلمين.

(١) سورة البقرة ١٢٧.

(٢) سورة قريش ١-٣.

(٣) سورة الأنفال ٣٠.

(٤) سورة الأنفال ٣٠ .

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حضور مكر الله عز وجل في وقايته ونجاته من مكر وكيد الذين كفروا. فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الله عز وجل يعطيه بالأتم والأوفى ، فلا تختص النجاة بذات ليلة الهجرة بل تتضمن الآية أعلاه الوعد من الله عز وجل للنبي والمسلمين برد كيد ومكر المشركين.

جغرافية مكة

تدل جغرافية مكة الظاهرة للعيان على الإعجاز في موقعها وعمارتها ، فهي في وادٍ «غَيْرِ ذِي زَرْعٍ»^(١) ، وليس من أنهار أو أمطار متصلة أو أشجار ، وتحيط بها الجبال الصخرية الجرداء من كل الجهات وكأنها تعلن بأن المكان لا يصلح للسكن إلا بفضل من الله وبالصبر ، إلى جانب قلة الأمطار ، وحرارة الجو في أغلب أيام السنة.

وقيل أن الحجاز (كان أهلاً بالعمران وجميع مياهه يشهد بذلك أن داود عليه السلام لما خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه بابنه أشبوشث فرمى سبط يهوذا إلى خير وملك ابنه الشام وأقام هو وسبط ويهوذا بخير سبع سنين في ملكه حتى قتل ابنه وعاد إلى الشام)^(٢).

و(قال المسعودي : وكانت الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله وأكثرها ماء)^(٣).

ولكن مشيئة الله هي القاهرة لتدفق الماء من بئر زمزم ، وتقصد الناس البيت الحرام الذي هو سابق في وجوده لأيام إبراهيم عليه السلام الذي يعلم هذه الحقيقة بدليل قوله تعالى «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ

(١) سورة إبراهيم ٣٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٣٤٢/٢ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣٤٢/٢ .

مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾.

وهل علم إبراهيم بمكان البيت الحرام بالوحي أم بتوارث وتواتر الأخبار .

المختار هو الجامع بينهما ، وبدليل وجود قواعد البيت الحرام قبل إبراهيم عليه السلام ليكون رفعها مقدمة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسبباً لاتساع أسواق ومنتديات مكة .

ترى ما هي النسبة بينهما ، الجواب هو العموم والخصوص من وجه ، ومن أسواق مكة عكاظ ومجنة وذو المجاز .

وكانت مناسبة للتباري بالشعر والنثر والمكارم ، وتوثيق تأريخ مكة والقبائل ، ومن منتديات مكة دار الندوة المجاورة للبيت الحرام التي انشأها قصي بن كلاب جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتصبح أوان البعثة النبوية محلاً لنسج المكائد لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتضييق على بني هاشم وعلى أصحابه .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صبره على شدة الأذى الذي لاقاه من قومه .

ليلة الولادة المباركة

مع أن أهل مكة مشركون ، فقد يأتيها اليهودي والنصراني والرومي والفارسي للتجارة أو يقيم فيها لأجل معين .

(وجاء رجل من أهل الكتاب إلى ملأ من قريش فيهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة فقال: ولد لكم الليلة مولود. قالوا: لا .

قال : أخطاكم والله معشر قريش فقد ولد إذا بفلسطين غلام اسمه أحمد، به شامة كلون الحر الأدكن يكون به هلاك أهل الكتاب ، فلم يريموا حتى قيل لهم إنه ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام .

فمضى الرجل حتى نظر إليه ثم قال: هو والله هو! ويل أهل الكتاب منه.

فلما رأى سرور قريش بما سمعت منه قال: والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظهور علامات كونية تدل على تحقق البشارة المتوارثة بولادة نبي آخر الزمان. وكان لأهل الكتاب باع في علم النجوم ، ودلالة سيرها ومنازلها على الوقائع في العالم السفلي ، نعم ليس لأفلاك العالم العلوي تأثير وفعل فيها ، فالمشيئة لله عز وجل وحده ولكنها تفيد الإخبار.

فمن مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انتظار الموحدين لرسالته ، وعلامات ودلالات ثم ظهوره ونصره ، وهل هو من عمومات قوله تعالى ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٢).

الجواب نعم ، لتكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دلالة الآيات الكونية على ولادته وعلى بعثته ولزوم نصرته ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣).

ولم يرد لفظ (ليظهره) في القرآن إلا مرتين ، كليهما بخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته ، فهو من خصائصه في القرآن من بين الأنبياء والرسل .

ومنها كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغزو قريش له وحربهم على الإسلام وفضل الله في صلح الحديبية الذي اضطرت قريش لعقده مع

(١) تاريخ اليعقوبي ١٠٧/١.

(٢) سورة النحل ١٦.

(٣) سورة الصف ٩.

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّا قَتَلْنَاكَ فَتَحَا مُيِّنَا﴾^(١).

ويستحضر المسلمون والمسلمات وغيرهم دخول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة في السنة الثامنة للهجرة فاتحاً ومنقذاً من نصب الأوثان في البيت الحرام وعبادتها من غير قتال يذكر.

اسم الرسول محمد (ص) على العرش

لقد بلغت الكمالات الإنسانية غايتها بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو سيد البشر، ومن صفات الله تعالى الثبوتية أنه عالم ، عالم بكل شيء، يعلم الحوادث والجزئيات قبل حدوثها بعلمه الازلي، وتغير المعلومات لا يعني أبداً تغير ذاته، لأن التغير في الإضافات وهي أمور اعتبارية لا أثر لها في العلم الذاتي ، قال تعالى ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٢).

ولقد وردت نصوص كثيرة تؤكد اقرار آدم عليه السلام بمنزلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع سمو مرتبة آدم، وفوزه بالنفخ فيه من روح الله قال تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعْوَاهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إكرام الله عز وجل له بوجود اسمه على العرش ، وقبل أن يخلق آدم .
ومن إعجاز القرآن ورود كلمة ﴿فَخَتُ﴾ مرتين في القرآن ، كلاهما بخصوص آدم عليه السلام وهما :

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة الطلاق ١٢.

(٣) سورة الحجر ٢٩.

الأولى : قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢).

ووردت كلمة (نفخنا) بخصوص مريم عليها السلام :

الأولى : قوله تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، أي أجرنا فيها إنشاء روح عيسى عليه السلام.

والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، إذ ذكرت الآية الثانية اسم مريم بنت عمران على نحو التعيين ، وفيه إكرام وتنزيه لها .

الثانية : قوله تعالى ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا مِنَ الْفَاتِحِينَ﴾^(٤) ، من الحلال والحرام .

ومن معاني هذا التباين في النفخ أن الله عز وجل خلق آدم من غير واسطة ملك وكان خلقه في السماء .

وسأل أبو ذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يا نبي الله أي الأنبياء كان أول؟ قال : آدم . قال : أو نبي كان آدم؟ قال : نعم . نبي مكلم ، خلقه الله بيده ، ثم نفخ فيه من روحه ، ثم قال له يا آدم قبلًا)^(٥) .
وقبلاً أي مباشرة من غير واسطة ملك .

(١) سورة الحجر ٢٩ .

(٢) سورة ص ٧٢ .

(٣) سورة الأنبياء ٩١ .

(٤) سورة التحريم ١٢ .

(٥) الدر المنثور ١/ ٧٧ .

أما مريم فقد أرسل الله إليها جبرئيل ، وكان النفخ في الأرض .
فنفخ في جيب درعها ليجري فيها إنشاء روح عيسى عليه السلام .

إكرام النبي محمد قبل خلق آدم

تدل أحاديث نبوية عديدة على إكرام الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل خلق آدم ، وفيه إشارة إلى عالم الذر .
(وعن ابن عباس : إن قریشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط .

ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور^(١) .

وروى الإمام علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام (مرفوعا : كنت نورا بين يدي ربي عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام)^(٢) .

و(أخرج الطبراني في المعجم الصغير والحاكم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه ، رفع رأسه إلى السماء فقال : أسألك بحق محمد إلا غفرت لي .

فأوحى الله إليه : ومن محمد؟ فقال : تبارك اسمك . لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت

(١) الشفا ٧١/١ .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٦٩/١ .

أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك ، فأوحى الله إليه : يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك ، ولولا هو ما خلقتك^(١).
وبلحاح خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث أعلاه مسائل :

الأولى : إكرام الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكتابة اسمه على العرش .

الثانية : صفة الرسالة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أن يخلق آدم.

الثالثة : سؤال آدم لله عز وجل أن يعفو عنه بشفاعته النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابعة : البشارة السماوية الثابتة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامسة : سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل والإغتيال إلى حين تبليغ الرسالة .

ومن خصائص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تشریف الله سبحانه له بآية من القرآن تدل على إلتقاء المسلمين على محبته قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)، وفيه غاية التشریف والإكرام.

وتتصل خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالآخرة بتفضيله بالدرجة الرفيعة والمقام الموعود الذي ينعم الله عز وجل به عليه دون غيره.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : آدم ومن دونه تحت لوائه

(١) الدر المنثور ٩١/١.

(٢) سورة الاحزاب ٥٦.

يوم القيامة^(١)، إنه إخبار وبشارة وعنوان العز والرفعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين عامة اذ يلتقون بعرض واحد مع الأنبياء في الإنضمام للواء الحمد والنبوة.

وفي حديث الإسراء والتقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأنبياء الذين سبقوه مناسبة لتجديد ميثاق الأنبياء وعهدهم للإقرار بتقدمه في منازل العز والفخر ومراتب السموات.

وأفضلية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء مطلقاً وآدم عليه السلام خاصة في باب المعجزة معروفة وظاهرة وكانت بياناً لدوام الإكرام وتمام الحجة .

ففي الخرائج عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام ان يهودياً سأل الإمام علي عليه السلام عن معجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل معجزات الأنبياء فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئاً مثل هذا.

فقال علي عليه السلام: لقد كان ذلك ولكن أسجد الله لآدم ملائكته لم يكن سجود طاعة، أو إنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له، ومحمد عليه السلام أعطي ما هو افضل من هذا، ان الله جل جلاله صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنين بالصلاة عليه فهذا زيادة له يا يهودي^(٢).

الكمال الإنساني

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أتقى وأعلم الناس، وهو جلي بمصاحبة الوحي له في قوله وفعله.

ومن خصائص النبي محمد أنه كان يلود بالدعاء وافجتهاد في العبادة والذكر، وعن الإمام الصادق عليه السلام (قال: كان رسول الله صلى الله

(١) مفاتيح الغيب ٤٣٢/٣ .

(٢) الجزائري / قصص الانبياء ٣٩ .

عليه واله في بيت ام سلمة في ليلتها، ففقدته من الفراش، فدخلها في ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي.

وهو يقول : اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً اللهم لا تشمت بي عدوا ولا حاسدا أبدا، اللهم ولا تردني في سوء استنقذتني منه أبدا ، اللهم ولا تكلني إلي نفسي طرفة عين أبدا.

قال : فانصرفت أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه واله لبكائها.

فقال لها : ما يبكيك يا أم سلمة ؟ فقالت: بأبي أنت وامي يا رسول الله ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تسأله أن لا يشمت بك عدوا أبدا، وأن لا يردك في سوء استنقذك منه أبدا، وأن لا ينزع منك صالحا أعطاك أبدا، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبدا.

فقال : يا ام سلمة وما يؤمنني ؟ وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان^(١).

و(عن عطاء بن يسار عن رجل من الأنصار أنه أخبره أنه قبل امرأته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو صائم فأمر امرأته فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فأخبرته امرأته فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يرخص له في أشياء فارجعي إليه فقول لي له ذلك فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أتقاكم وأعلمكم بحدود الله^(٢).

أراد الله عز وجل أن يرى الملائكة أهلية الفرد الكامل من البشر

(١) البحار ٢١٧/١٦ .

(٢) مصنف عبد الرزاق ١٨/٤ .

للتشريف والإكرام الخاص، واستحقاقه للسجود إليه يوم خلق الله آدم. وفيه أيضاً دعوة للناس للصالح والتأسي والسعي ونيل الدرجات السامية بالتقوى وملكة الإيمان، خصوصاً وأن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأنه يحمل نور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في الخبر. وفي علم الكلام أن ما ناله الأنبياء من المقامات والآيات الإعجازية هو عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه انتهى الكمالات الإنسانية. وفي الإسراء آية إعجازية أخرى وهي أن الذي سوف يناله الناس فيما بعد بالعلم والكسب والتحصيل من ارتقاء وسياحة محدودة في عالم السماء حصل عليه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفضل من الله تعالى، وفيه دعوة للعلم الكسبي في هذا الباب، وإظهار معاني العبودية لله والإقرار ببديع صنعه قال تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(١).

وورد في كلام بعض العرفاء (النبي برزخ بين الخالق والمخلوق)، ولكن لا مرتبة وسط بين الخالق والمخلوق، بين واجب الوجود والممكنات، نعم النبوة مرتبة تعني الرفعة والكمال الإنساني توجد بصفة تشريفية زائدة هي أيضاً بفضل وإرادة من الله تعالى ومن غير مغادرة لمنازل الامكان. و(عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إلتخذي الله عبداً قبل ان يتخذني نبياً)^(٢).

ليبين مقام العبودية وأهليته وموضوعيته في حياة الناس. وفي الحديث (الصلاة معراج المؤمن)^(٣) إنها معراج مجازاً وإن العبد يرتقي بها في السماء لتكون نعمة الإسراء عند المسلمين عامة، حاضرة إجمالاً في الوجود الذهني ساعة الإنقطاع إلى الله. ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إن الإسراء رافة

(١) سورة لقمان ١٠.

(٢) تأريخ مدينة دمشق ٧٦/٤.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٤٣/١.

ولطف إلهي وإحسان خاص وعام، خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعام للمسلمين والناس والملائكة.

إنه مدخل ليقوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأعباء النبوة والرسالة بعد ما رأى من عظيم الآيات، وسعة ملك الله سبحانه وجبروته وقوته، قال تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١). وهل الإسراء بشارة الجنة ، الجواب نعم .

رؤيا الوحي

قال تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٢).

لقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا وثقها القرآن وقيدها بالحق ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾^(٣) أي أن هذه الرؤيا من الوحي ، ومن معاني ﴿بالحق﴾ أيضاً :

الأول : تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الآية ، وقد كان يتلو كل آية نزلت عليه .

الثاني : إخبار الصحابة بمضمون الرؤيا ، ومن الإعجاز مجئ الآية بالتفصيل الذي لا يقبل التردد والخلاف .

الثالث : الإستعداد للتوجه إلى البيت الحرام ، ولابد أنه من تفصيل هذه الرؤيا .

فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه واستبشروا ، ولم تقيد الرؤيا إرادة العمرة أو الحج لأن الخلافة والتقصير من أعمال العمرة وأعمال

(١) سورة الحجر ٩٤.

(٢) سورة الفتح ٢٧.

(٣) سورة الفتح ٢٧ .

الحج ، فسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه ، ولم يكن معهم إلا سلاح الراكب وقبل أن يصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحديبية الذي يعد عن مكة نحو ٢٠ كم استقبلتهم خيل المشركين برئاسة خالد بن الوليد.

ولم يخف الصحابة ، ولم يظهر عندهم الشك والريب لأنهم جاءوا بالبشارة والوعد الإلهي ، فكيف وقد لاقتهم خيل المشركين ، ليكون هجوم المشركين في معركة الخندق واقية وحرزاً لهم ودرساً في الصبر ، وفيه استصحب لقوله تعالى ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(١).

قانون وعود النبي محمد (ص) وحى

لقد هجم عشرة آلاف من المشركين على المدينة في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، وقطعوا (٤٥٠) كم قادمين من مكة لإرادة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل أصحابه بين قتيل وأسير. فحفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خندقاً حول المدينة بمشورة سلمان الفارسي ، ومع هذا تسمى في كتب التفسير والسيرة غزوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الخندق ، وقد سماها الله عز وجل الأحزاب للدلالة على أن المشركين هم الغزاة ، قال تعالى ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(٢).

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :
الأول : حال الدفاع والإضطراب إلى قتال المشركين .

(١) سورة الأحزاب ٢٢.

(٢) سورة الأحزاب ٢٢.

الثاني : الوعد من الله والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسلمين بكفاية شرور المشركين ، وبتحقيق النصر .

الثالث : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون البشارة بالنصر في أحلك الأحوال ، وتكالب الأعداء .

وعن عمرو بن عوف المزني قال (خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق عام الأحزاب ، فخرجت لنا من الخندق صخرة بيضاء مدوّرة، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فشكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخذ المعول من سلمان ، فضرب الصخر ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة ، حتى لكان مصباحاً في جوف ليل مظلم .

فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية ، فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها ، فكبر وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثالثة ، فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها .

وكبر وكبر المسلمون ، فسألناه فقال : أضاء لي في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثانية قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب .

وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فابشروا بالنصر . فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صادق بأن وعدنا النصر بعد الحصر ، فطلعت الأحزاب فقال المسلمون ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(١) .

وقال المنافقون : الا تعجبون يحدثكم ويعدكم ويمنيكم الباطل ، يخبر أنه يصبر من يثرب قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، وإنها تفتح لكم ، وإنكم

تخفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا ، وأنزل القرآن ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١) ^(٢).

الرابع : تلقي المسلمين وعود وبشارة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتصديق والرضا مع أنها تتحقق بالمعجزة والأمر الخارق للعادة ،
خلافًا لقانون السبب والمسبب ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣).

الإسراء معجزة خالدة

لقد أنعم الله عز وجل على النبي محمد والمسلمين بإسراء رسول الله وانتقاله في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجه في السماء ليلتي بالأنبياء ، ويتلقى أحكام الشريعة ، قال تعالى ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(٤).
ورد (عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ رَجُلًا طَوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ
شَنْوَةَ . وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ
سَبَطَ الرَّأْسِ)^(٥).

وفي الآية أعلاه ورد عن ابن عباس يعني الأنبياء الذين جمعوا له ليلة
الإسراء (وكانوا سبعين نبياً منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ،
فلم يسألهم لأنه كان أعلم بالله منهم)^(٦).

(١) سورة الحزاب ١٢.

(٢) الدر المنثور ٨/١٣٢.

(٣) سورة النجم ٣-٤.

(٤) سورة الزخرف ٤٥.

(٥) النكت والعيون ٣/٣٥٢.

(٦) النكت والعيون ٤/٨٦.

ولكن لابد وأن يمثل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأمر الله عز وجل ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلَنَا﴾ ودلت السنة النبوية القولية على الحديث بينه وبين الأنبياء ليلة الإسراء .

وعن أبي الربيع سأل نافع الإمام الباقر عليه السلام (أخبرني عن قول الله ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلَنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾^(١) من الذي سأل محمد صلى الله عليه وآله وكان بينه وبين عيسى عليه السلام خمسمائة سنة .

قال : فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾^(٢) فكان من الآيات التي أراها الله محمدا صلى الله عليه وآله حين أسري به إلى بيت المقدس أن حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل فأذن شفعا وأقام شفعا^(٣).

وفيه شاهد بأن تشريع الأذان في حديث الإسراء وقبل الهجرة بسنوات. وابتداء ونهاية الإسراء والغاية منه تقديس وتعظيم الله سبحانه، ومن إعجاز آية الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤) الذاتي إبتداؤها بتنزيه وتعظيم الله تعالى وإختتامها بصفاته الحسنى. والآية تتحدى الناس بفعل خارق للعادة والأسباب مما لم يدركه العقل والחס البشري والإرتقاء العلمي والتقني.

(١) سورة الزخرف ٤٥.

(٢) سورة الإسراء ١.

(٣) البحار ١٧/٨٤.

(٤) سورة الإسراء ١.

وتبقى الآية وموضوعها عزاً ومعجزة وإكليلاً مباركاً يعلو هامات المسلمين، وتظهر ما تمتاز به النبوة الكريمة لسيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما يمكن تلمس منافع واقعة الإسراء وآيته في الميادين الفقهية والعقائدية والاجتماعية والعسكرية للمسلمين ، وتبين آية الإسراء أموراً :

الأول : عبادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنقطاعه إلى الله تعالى مستمر في الليل والنهار ، قال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(١).

الثاني : قانون النبوة جهاد متصل في جميع أنات الليل والنهار.

الثالث : أبواب الكسب العلمي والموهبة لا تنحصر بساعات النهار.

الإسراء مدد

من لطف الله عز وجل بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كثرة المعجزات الحسية والعقلية التي نالها ، لتكون مدداً وعوناً له في دعوته الناس إلى الإسلام ، وواقية من بطش المشركين بالمسلمين .

وتجتمع في الإسراء المعجزة الحسية والعقلية معاً ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الإسراء مسائل :

الأولى : الناس في سكونية ، ويخلدون إلى النوم ، والنبي تنتقل في السماء في إكرام وتشريف خاصين وعمل جهادي متصل.

الثانية : يأتي الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بين الناس ، وأما الإسراء فانه احتاج إلى إنتقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببدنه فأخذه الملائكة حينما انفرد عن الناس.

الثالثة : ساعات الليل أكثر مناسبة للنجوى ، ورؤية الآيات، ونفاذ البصيرة.

الرابعة : في ظلمة الليل ووسط مجتمعات الكفر والشرك ينبثق صوت الاسلام بصعود النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء.

الخامسة : النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس وحيداً في الدنيا، وغير مستوحش من إعراض الكفار وصدود مشركي قريش، وأبواب السماء مفتحة له وهو عنوان المدد الملكوتي ومقدمة لنزول الملائكة لنصره وتثبيت رسالته كما حصل في معركة أحد قال تعالى ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾^(١).

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وعلى الأنبياء الآخرين ان موسى عليه السلام وهو من الرسل أولي العزم بُعث إلى بني إسرائيل وكان يخاف من فرعون ولكنه لم يمتنع من دعوته للإسلام وإنذاره وهو في سلطانه. والنبي محمد صلى الله عليه وآله واجه كبراء قريش وأهل مكة ولمعان سيوفهم ، وفي التنزيل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٢).

السادسة : الإسراء استقبال للنهار وللجهاد العلني في سبيل الله عز وجل، وكان الليل عنوان الدعوة السرية في بداية البعثة النبوية.

السابعة : الإعداد للإمامة والرياسة العامة في أمور الدين والدنيا يجري في الليل والنهار، في الليل يكون الإنقطاع إلى الله، وفي النهار الجهاد والصبر والدعوة إلى الله عز وجل.

وعن الإمام علي عليه السلام قال (عند الصباح يحمد القوم السرى) أي المسير بالليل وقطع المسافة بدل بقاء القوم في نفس المكان، وفيه حث على الكسب وإستثمار الفرص، وبيان موضوعية السعي في الليل وإستشهد الإمام به لبيان التزود للآخرة، والتحلي بالصبر في الحياة الدنيا إذ قال في خطبة له

(والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها ولقد قال لي قائل ألا تنبذها ، فقلت أعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى)^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٢٤.

(٢) سورة الكافرون ١ - ٢.

(٣) مجمع البيان ٩/١٣٢.

ليبان نجاة المخفين من المسائلة والعذاب يوم القيامة بفضل من الله عز وجل .

وعن طاوس في دعاء الإمام علي بن الحسين (فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا، وللمثقلين خطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أخط)^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصبر على الأذى المترشح عن تعاون شياطين الإنس والجن في حربهم على رسالته ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(٢).

الإسراء تفضيل

إن الليل والنهار من خلق الله تعالى ومستجبان لامره وهما جزء من سلطانه تعالى ، وجعل كلا منهما آية متعددة من آياته ومناسبة كريمة لإحتواء أعظم الآيات وأدق الاسرار.

وتبين آية الإسراء التشريف والتفضيل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء السابقين بخصوص الإسراء في الليل ليقى موضوع الإسراء تشريفاً ظاهراً ومستديماً ، وقد ورد في نبي الله موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُسَبَّوْنَ﴾^(٣) فكان إسراء موسى عليه السلام في الأرض مقروناً بوجل وخوف ورجاء النجاة، وإسراء النبي صلى الله عليه وآله إلى السماء بتكريم وعز وتحصيل للمعارف ، وتلقي للأحكام ، نعم أسري بموسى عليه السلام في السماء حتى سمع (صرير الأقلام).
لقد أخلص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في عبادته وانقطاعه لله

(١) البحار ٢٠٠/٨٤ .

(٢) سورة الأنعام ١١٢ .

(٣) سورة الدخان ٢٣ .

تعالى، وجاء مدحه في القرآن بقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ﴾^(١).

جاء ذكر الليل في آية الإسراء مطلقاً وعلى نحو التأكيد ويعنى أنه في شطر وجزء من الليل، فالتأكيد يدل على التبويض والجزئية والإخبار بأن الإسراء لم يستوعب تمام الليل لبيان الإعجاز، ولمسيرة شهر كامل مع الأسباب والرواحل فتم الإسراء بجزء من الليل من غير آلة ووسيلة ظاهرة، بالإضافة إلى دفع وهم وسد الطريق أمام الذي يدعي في صباح ليلة الإسراء أنه قد رأى النبي أول الليل مثلاً، لذا ترى المشركين لم يحتجوا بذلك لمحاولة نفي حصول الإسراء، كما تؤكد النصوص والروايات حصول الإسراء في جزء وشطر من الليل، واستشهد بقراءة عبد الله بن مسعود وحذيفة (من الليل) بدلاً من (ليلاً) في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(٢).

قانون الانتفاع العام من الإسراء

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توالي فضل الله عز وجل عليه، وانتفاع الناس جميعاً من هذا الفضل، لتتري عليهم النعم، ومنه آية الإسراء الذي هو فضل من الله عز وجل على كل من :

الأول : شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : أهل البيت والصحابة الأوائل في مكة ، والذين التحقوا بهم في مكة والمدينة .

الثالث : هل لمعجزة الإسراء موضوعية في إسلام قوم ، الجواب نعم ، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخول الناس الإسلام بسبب معجزاته الحسية ، وآخرين بسبب معجزاته العقلية .

الرابع : أجيال المسلمين والمسلمات ، لذا تفضل الله وخلد آية الإسراء

(١) سورة المزمل ٢٠.

(٢) سورة الإسراء ١.

في القرآن ، وسُميت سورة باسمها لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التوثيق السماوي لمعجزاته الحسية ، ومنها انتقاله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في شطر من ليلة ، مع أن المسافة بينهما (١٤٠٠) كم تقريباً ، ثم عروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السموات الواحدة بعد الأخرى ، اذ ابتدأ بالسماء الدنيا التي هي أقرب السماوات إلى الأرض وإنقلابه راجعاً إلى مكة في ذات الليلة .

وأشكل في هذا الزمان على الإسراء من جهات نظرية منها:

الأول: أن الطيران بسرعة الصوت يمزق الثياب جميعاً ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا ارتفع بمقدار (١٠) كم يتعذر عليه البقاء حياً خاصة وأن الإسراء بالروح والجسد ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصعد في الجو في الإسراء سوا أمتاراً قليلة .

وتم الإسراء بطي الأرض للبراق ، فالخطوة الواحدة له على مدّ البصر . (عن أبي سعيد الخدري قال : حدثنا رسول الله بالمدينة عن ليلة أسري به من مكة إلى المسجد الأقصى قال : بينا أنا نائم عشاء بالمسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئاً وإذا أنا بكهيفة خيال فأتبعه بصري حتى خرجت من المسجد فإذا أنا بدابة أدنى شبهة بدوابكم هذه بغالكم غير أنه مضطرب الأذنين يقال له البراق .

وكانت الأنبياء تركبه قبلي يقع حافره عند مدّ بصره فركبته فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يميني : يا محمد انظرني أسألك .

فلم أجبه ثم دعاني داع عن شمالي يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه . فبينما أنا سائر إذا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت : يا محمد انظرني أسألك فلم ألتفت إليها .

حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء عليهم السلام توثقها بها)^(١) .

الثاني : قيل اذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسير بسرعة الضوء فانه لا يمكن أن يرى بقعة صغيرة من الأرض وقومه يبحثون عن ناقة ضالة ، ولكن الرواية تدل على أن البراق قد يقف بالنبي ليرى أو ليسمع من غير أن يضر في سرعة سيره ، بمضاعفة البراق الخطوة التالية بفضل من الله عز وجل .

وهل إسرائ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثل انتقال سليمان عليه السلام بالريح السريعة كما في قوله تعالى ﴿وَكُسَلَيْمَانَ الرَّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾^(١) ، الجواب لا ، إنما انتقال النبي محمد بين مكة والمسجد الأقصى ثم العودة بطي الأرض بأن تكون كل خطوة للبراق مع مد البصر ، مع سرعة الخطى ، وكأنها متقاربة .

الثالث : الدعوة بأن عروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر في القرآن ، والجواب أنه ذكر ، كما أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع ، وهي بيان وتفسير وتفصيل لآية الإسرائ و (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقدام)^(٢) وصرير الأقدام أي كتابة ما هو كائن ، وهو من الشواهد على الإسرائ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بجسده وروحه .

وفي معراج موسى عليه السلام ورد عن الإمام علي عليه السلام قال (قال: إن جبريل ، عليه السلام ، لما نزل فصعد بموسى إلى السماء ، بصر به السامري من بين الناس ، فقبض قبضة من أثر الفرس قال: وحمل جبريل موسى خلفه ، حتى إذا دنا من باب السماء ، صعد وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقدام في الألواح .

فلما أخبره أن قومه قد فتنوا من بعده .

(١) سورة الأنبياء ٨١ .

(٢) الدر المنثور ١٩٤/٦ .

قال: نزل موسى، فأخذ العجل فأحرقه. وقال مجاهد: { فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ }^(١) قال: من تحت حافر فرس جبريل، قال: والقبضة ملء الكف، والقبضة بأطراف الأصابع.^(٢) وهو تفسير لقوله تعالى ﴿وَقَرْنَاهُ نَجِيًّا﴾^(٣).

تلقي الأحكام في الإسراء

من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتماع كل من :
الأول : نزول القرآن عليه بالأحكام الشرعية .
الثاني : تلقي الأحكام الشرعية بالوحي الذي هو أعم من نزول الآيات،
 بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤).

الثالث : الإسراء والعروج بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء لتلقي الأحكام ، ومنها فرض الصلوات اليومية الخمس .
 و (عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه . . . فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت .
 فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة . ثم عرج بنا إلى سماء الدنيا فاستفتح جبريل فقبل : من أنت؟

قال : جبريل . قيل : ومن معك؟

(١) سورة طه ٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣١٣/٥.

(٣) سورة مريم ٥٢.

(٤) سورة النجم ٣-٤.

قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ف قيل : من أنت؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه .

ففتح لنا فإذا أنا بإبني الخالة ، عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ، فرحباً بي ودعوا إلي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل ف قيل : من أنت؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ف قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ف قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ف قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بموسى ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح ، ف قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى ، فإذا ورقها فيها كأذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها .

فأوحى إلي ما أوحى وفرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة .
فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك؟ قلت :
خمسين صلاة .

قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإني
قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم .

فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب ، خفف عن أمتي . فحط عني خمساً
فرجعت إلى موسى فقلت : حط عني خمساً ، فقال : إن أمتك لا يطيقون
ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

قال : فلم أزل أرجع بين ربي وموسى حتى قال : يا محمد ، إنهن خمس
صلوات لكل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة .
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا .
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة
واحدة .

فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فاسأله
التخفيف .

فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه^(١) .

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :
الأول : صيرورة الإسراء مقدمة للحديث مع الأنبياء السابقين ،
والإستماع لهم .

الثاني : تلقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحكاماً شرعية ليلة
المعراج .

الثالث : قانون الإسراء مناسبة التخفيف عن أجيال المسلمين .

الرابع : توثيق وشهادة القرآن لحديث الإسراء ، قال تعالى ﴿وَأَسْأَلُ مِنْ

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(١).

الخامس : الإسراء مقدمة لمعرفة الأحكام الشرعية وتبليغها إلى الناس كافة.

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلقي الأحكام في الأرض ، وتلقيها وهو في السماء لبيان صرف الرسالة ، ولزوم الاجتهاد في التبليغ ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

مواظ من سورة يوسف

في قصة يوسف في القرآن وتعدد الرؤى فيها موعظة وعبرة .

إذ وردت أربع رؤى فيها وهي :

الأولى : رؤيا يوسف ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ رَايَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٣).

الثانية والثالثة : رؤيا السجينين ، وكان أحدهما ساقياً للملك ، والآخر

خبازاً له ، ولأنهما وأهل السجن رأوا صدق وأمانة وعلم يوسف عليه

السلام وهو معهم في السجن ، وقدرته على تأويل الرؤيا سأله كل منهما

تأويل رؤياه ، قال تعالى ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي

(١) سورة الزخرف ٤٥.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

(٣) سورة يوسف ٤.

أَرَانِي أَغْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأٌ بَاطِلٌ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

وهل في خاتمة الآية أعلاه رجاء وأمل منهما ليكون تأويل الرؤيا نافعا لهما ، الجواب نعم ، ومن الإحسان إتخاذ يوسف هذه المناسبة لبيان وجوب التوحيد ، ونبد الشرك ومفاهيم الضلالة .

الرابعة : رؤيا الملك ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يَأْسَافُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٢).

مع تأويل يوسف عليه السلام ، ورؤيا الملك .

بما يدل على الإعجاز في التأويل ، فقد كان أهل مصر يمتازون بتأويل الرؤيا وعندهم مكاتب خاصة للتأويل ، فجاء يوسف بمعجزة في هذا الباب بالإخبار عن صدق رؤيا الملك وأنها رؤيا إنذار عام يستلزم الإحتراز الذي انحصر بتولي يوسف عليه السلاة الوزارة كما في التنزيل ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توليه تأويل رؤيا أصحابه وسؤاله لهم ابتداء .

و(عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ فَرُبَّمَا قَالَ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا فَاِذَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بِأْسٍ كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ قَالَ .

(١) سورة يوسف ٣٦ .

(٢) سورة يوسف ٤٣ .

(٣) سورة يوسف ٥٥ .

فَجَاءَتْ امْرَأَةً فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ بِهَا وَجِبَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْجَنَّةُ فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا قَدْ جِيَءَ بِفُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ حَتَّى عَدْتُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا .

وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ قَالَتْ فَجِيَءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلُسٌ تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُمْ قَالَ فَقِيلَ أَذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهْرِ الْبَيْدَخِ أَوْ قَالَ إِلَى نَهْرِ الْبَيْدَجِ .

قَالَ فَغَمَسُوا فِيهِ فَخَرَجُوا مِنْهُ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ ثُمَّ أَتَوْا بِكَرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ فَقَعَدُوا عَلَيْهَا وَأَتَى بِصَحْفَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوَهَا فِيهَا بَسْرَةٌ فَأَكَلُوا مِنْهَا فَمَا يَقْلُبُونَهَا لَشَقٍّ إِلَّا أَكَلُوا مِنْ فَاكِهِةٍ مَا أَرَادُوا وَأَكَلَتْ مَعَهُمْ .

قَالَ فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا وَأَصِيبَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ حَتَّى عَدْتُ اثْنَيْ عَشَرَ الَّذِيْنَ عَدَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ فَجَاءَتْ قَالَ قُصِّي عَلَيَّ هَذَا رُؤْيَاكِ فَقُصِّتْ قَالَ هُوَ كَمَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(١).

وفي قصة يوسف ورد على لسان يعقوب النبي في التنزيل ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢).

قانون الإسراء فيض ورحمة من الله

نسبة الإسراء بالنبي إلى الله تعالى نعمة عظيمة ، وشاهد صدق ، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْتَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣) ، فيها مسائل :

(١) مسند أحمد ٤٨٣/٢٤ .

(٢) سورة يوسف ٥ .

(٣) سورة الإسراء ١ .

الأول : إنها حجة قرآنية.

الثاني : تثبت لمعجزة الإسراء وشهادة قرآنية على أنها تمت بأمر الله وبفضله تعالى.

الثالث : قطع الشك والريب في آية الإسراء.

الرابع : منع التساؤل المرتكز على المادة والأسباب الظاهرية فحسب.

الخامس : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلوغه مرتبة الإسراء والعروج به في السماوات رحمة ودعوة للتوجه الى الله تعالى في سؤال ما هو خارق للعادة ومفارق للأسباب والقدرة الشخصية.

فقد يحصل تعارض بين آمال الإنسان وبين قدراته فغالباً ما تتخلف القدرات والإمكانات عن الآمال والطموحات.

فتأتي نسبة الإسراء إلى الله تعالى لبيان بديع قدرته، وعظيم إحسانه وبعث آمال المؤمن في الحياة، وجعل نفسه مستبشرة مطمئنة.

وقد ابتدأت آية الإسراء بقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

وجاء التسييح والتقديس لمقام الربوبية في المقام لبيان أن الإسراء والمعراج آية عظيمة لا يقدر عليها ولا يتفضل بها إلا الله عز وجل .

لذا تفضل الله عز وجل وفتح باب الدعاء والاستجابة على نحو الإطلاق بقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢).

ويقتضي مطلق الأمر بالدعاء الوعد الكريم في عامة قضاء الحوائج ، وتبدل الأحوال للأحسن بالأسباب ، والأمور الخارقة للعادة ، فصحيح أن

(١) سورة الإسراء ١.

(٢) سورة غافر ٦٠.

الله عز وجل رزق الأنبياء نعمة المعجزة إلا أنه سبحانه ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١) فيرزق أي إنسان يتوجه له بالدعاء بالآية والنعمة وقانون العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٢).

السادس : في هذه التسمية المباركة بشارة التوفيق وتحقيق الأمانى .
السابع : تشجع نسبة الإسراء إلى الله عز وجل على الرغائب السائغة شرعاً ، والدعاء للحوائج ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣) .
الثامن : فيها دروس في التأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الشريفة فما يفعله إنما هو من الله تعالى وبأمره .

التاسع : قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤) وقول وفعل وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تصدر إلا بوحي من الله تعالى ، والإسراء صادر بالأولوية بإذنه تعالى لما فيه من الإعجاز والأمر الخارق .

العاشر : قانون الإسراء تشريف وأمان للمسلمين إذ أن إكرام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على نحو القضية الشخصية ينحل ليشمل عموم المسلمين ، وفي جميع الأزمنة .

الحادي عشر : هذه التسمية موضوع للاحتجاج ويفتخر بأن موسى كليم الله ، الأمر الذي ثبته القرآن وشهد له ، ولكن الإسراء والمعراج في شطر من ليلة واحدة من بين ما انفرد به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من

(١) سورة الحديد ٢١ .

(٢) سورة الطلاق ٢-٣ .

(٣) سورة غافر ٦٠ .

(٤) سورة النجم ٣ - ٤ .

الخصائص والمعجزات.

الثاني عشر : الإخبار عن الواقع على نحو الصدق والحق ، لأن الله عز وجل هو الذي أسرى بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يستطيع أحد من الخلائق الانتقال والسياحة في عالم السماء إلا بأمر الله عز وجل .
الثالث عشر : قانون عصمة آية الإسراء من الحسد وإزدياد وتيرة العداوة والبغضاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فان الكفار والمنافقين ينشغلون بأمر الله تعالى ومشيتته في الإسراء وتنصرف أبصارهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن نسبة الإسراء إلى الله تعالى تجعل موضوع الإسراء بالنبي آية من عند الله وليس إسراء النبي بالذات ، وكأن الإسراء معلول لعلة وهي بعث وأمر الله الأكيد بالإسراء ومسبب لسبب وهو إرادته ومشيتته .

وقوله تعالى (ليلاً) يفيد أن الإسراء - رواحاً ومجئاً - كان في ليلة واحدة قبل ان يطلع فجرها مما يعدل مسيرة شهر ، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام .

فالعلة في الإسراء ليست مادية وهي العلة الداخلية التي يكون المعلول معها بالقوة ، بل هو من العلة الفاعلية الخارجة عن قدرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا ورد قوله تعالى ﴿بِعِذِّهِ﴾ لنفي القدرة على الإسراء عن غير الله عز وجل فهو وحده سبحانه القادر عليها ، قال تعالى ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

نزول إسرائيل

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإخبار عن مغيبات كثيرة ، وصدق هذا الإخبار لأنه بالوحي من عند الله ، لبيان حاجة الناس إلى الصلة مع السماء ، وما فيها من البصيرة واستقراء المسائل في أمور الدنيا

(١) سورة الشورى ١٢.

والآخرة ، وقد نزل القرآن بذكر عدد من الملائكة وهم :

الأول : جبرئيل ، وهو مطاع في السماء ، ونزل بالقرآن .

الثاني : ميكائيل ، وهو الملك الموكل بأنزال القطر لحياة الأرض وحياة

الحيوان والنبات ، قال تعالى ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(١).

وعن (أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل : ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)^(٢).

الثالث والرابع : هاروت وماروت : وهما ملكان نزلا إلى الأرض لهداية الناس ، وتعليمهم السحر للتوقي من أذى وفتنة السحرة ، وللتفريق بين المعجزة النبوية وبين السحر .

وفي التنزيل ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

الخامس : الملك مالك : وهو الملك الموكل بالنار ، ويقال له خازن النار ، قال تعالى ﴿ وَادَّأُوا يَا مَلِكُ لِنَقُضِ عَلَيْكَ رَبِّكَ قَالَ إِنَّمَا أَكُونُ ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة ٩٨.

(٢) الدر المنثور ١/١٧٤.

(٣) سورة البقرة ١٠٢.

(٤) سورة الزخرف ٧٧.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان وظائف الملائكة ممن يذكر اسمه أو لم يذكر اسمه مثل ملك الجبال كما وردت أحاديث نبوية بخصوص إسرافيل الملك الموكل بالنفخ في الصور ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه (رَبِّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)^(١) .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن ذكره لإسرافيل تذكير للناس بالمعاد وبعث الأجساد من القبور ، وإعادة الأرواح لها ، ودعوة الناس للاستعداد للحساب ، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَرَأَوْهُ قَرِيبًا﴾^(٢) . وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس وعنده جبرئيل ، إذ نظر جبرئيل نحو السماء فامتقع لونه حتى صار كأنه الكرمة.

ثم لاذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حيث نظر جبرئيل فاذا شيء قد ملأ ما بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب من الأرض .

ثم قال : يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: إني رسول الله إليك أخبرك أن تكون ملكاً أحب إليك أو تكون عبداً رسولاً.

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبرئيل وقد رجع إليه لونه فقال جبرئيل: بل كن عبداً ورسولاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل أكن عبداً رسولاً فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد سماء الدنيا ، ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية ، ثم رفع اليمنى فوضعها في الثالثة ، ثم انتهى إلى السماء السابعة ،

(١) الدر المنثور ٤٣/١ .

(٢) سورة المعارج ٦-٧ .

بعد كل سماء خطوة وكلما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل الصرد.
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبرئيل وقال: لقد رأيتك ذعراً وما رأيته شيئاً كان أذعرنى، من تغيير لونك.
فقال: يا نبي الله لا تلمني أتدري من هذا، قال: لا قال إسرائيل حاجب الرب فلم يزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض فلما رأيته منحطاً ظننت أنه جاء بقيام الساعة، فكان الذي رأيت من تغيير لوني لذلك، فلما رأيت ما إصطفاك الله به رجعت لوني ونفسي، أو ما رأيته كلما ارتفع صغر اذ ليس شيء يدنو من الرب إلا يصغر لعظمته.
إن هذا حاجب الرب وأقرب لله منه.
واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء .
إذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جيئه فنظر فيه ثم القاه اليه فنسعى به في السموات والأرض^(١).

دلائل الإسراء من المسجد الحرام

الإسراء معجزة كبرى وخلاف نظام الحياة العامة ، والتنقل بين البلدان ، وهو بشارة سياحة الإنسان في السموات ، وتنقله بالطائرات وغداً بالمركبات الفضائية ، ومع أن هذا الارتقاء بالعلم ومن مصاديق قوله تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) إلا أنه لا يرقى إلى معجزة الإسراء من جهات متعددة ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإنتقال بالبراق بطي الأرض وكل خطوة له بمد البصر ، ومنها صعود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السموات ومصاحبة جبرئيل له ، والتقاءه بالأنبياء.
لقد أسرى الله عز وجل بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد الحرام بجسده لبيان بديع قدرة الله ، وإكرامه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وللييت الحرام إذ تم الإسراء من جوار البيت الحرام .

(١) بحار الأنوار ٢٥١/٥٦.

(٢) سورة العلق ٥.

وعلينا ان نتلمس مضامين الفضل الالهي والمزايا التي ينفرد بها البيت الحرام وابتداء الإسراء منه كمكرمة إضافية وتشريف إعتباري للمسجد وعماره، أي أن الإسراء نعمة وفضل إلهي على كل من:

الأول : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه توكيد لتشريفه من بين أهل الأرض، وتفضيله على الأنبياء والرسل.

الثاني : الإسراء فضل على المسلمين جميعاً، لما فيه من العلوم ومصاديق الوحي والأحكام الشرعية والمنزلة الرفيعة التي بلغها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء ، وهو مناسبة للإعطاء والعز والفخر ، قال تعالى ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

الثالث : الناس جميعاً لما في الإسراء من أسباب الهداية والرشاد ، لبيان أن من خصائص النبي محمد قانون معجزاته رحمة ونعمة عامة.

دخول المسجد الأقصى

لقد أكرم الله عز وجل المسجد الأقصى ، وكتب له الخلود ، وفيه دعوة للمسلمين للعناية به إذ ورد ذكره في القرآن ، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

ولقد شرف الله المسجد الأقصى ، ويسمى أيضاً بيت المقدس ومسجد قبة الصخرة ، وفي قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾^(٣) فقد ذكر أنها نزلت في بيت المقدس ليلة الإسراء (وقيل إن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جمع الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس

(١) سورة المنافقون ٨.

(٢) سورة الإسراء ١.

(٣) سورة الزخرف ٤٥.

فأمرهم وقيل له: سلمهم فلم يشكك ولم يسأل^(١).
ولكن لابد من الإمتثال لأمر الله عز وجل بالقيام بالسؤال ، والانتفاع من الإجابة.

وكما يستعمل لفظ الأقصى بمعنى البعيد فإنه يستعمل بمعنى الإفراد يقال الشاة القاصية أي المفردة عن القطيع البعيدة عنه ، لذا ورد أن الشيطان كالذئب يأخذ القاصية والشاذة أي أنه يتسلط على المبتعد عن الجماعة.
وقيل أنه سمي المسجد الأقصى لبعده عن التدنيس والأقدار.
وقد وردت أخبار ونصوص عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يخبر فيها عن فتح المسلمين للمسجد الأقصى والشام وإنهما جزء من الكيان الإسلامي.

وهل تدل الآية على دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد الأقصى أم أنه وصل إليه ، الجواب هو الأول ، لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخول المسجد الأقصى وهو أول زائر له من المسلمين .

قال الرازي : ليس في اللفظ دلالة عليه^(٢).
ولكن الآية الكريمة تدل على دخوله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد لحمل الكلام على ظاهره ولدخول الغاية في المغيى في حال وحدة الجنس ، هذا بالإضافة إلى النصوص البيانية والأخبار ، وتسمي مدينة بيت المقدس إيلياء ، وقال الفرزدق:

وَيَتَانِ : بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَاتُهُ ... وَبَيْتٌ ، بِأَعْلَى إِيلِيَاءَ ، مُشْرِفٌ^(٣)
ولقد ذكر الله عز وجل بيت المقدس عدة مرات في القرآن بلفظ القرية والأرض المقدسة والأرض المباركة ، قال تعالى ﴿وَلَسْلَيْمَانِ الرِّيحَ عَاصِفَةً

(١)الكشاف ٣/ ٤٩٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠ / ١٤٧.

(٣) جمهرة أشعار العرب ١/ ٩٠.

تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُ وُحْدًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ وقال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣﴾ وقال تعالى ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٤﴾ وبيت المقدس بوابة الأرض إلى السماء .

وسكنه الكنعانيون قبل نحو أربعة آلاف سنة قادمين من الجزيرة العربية وقبل اليهودية والنصرانية بل وقبل ابراهيم عليه السلام وأسسوا فيه حضارة ومدنية واختلف في أصل الكنعانيين .
وقيل أصلهم من شبه الجزيرة العربية .

وفي سفر التكوين (١٩: ١٠) وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار الى غزة وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وادمه وصبويم الى لاشع .

١٠: ٢٠ هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم كالستهم باراضيههم وامهم) ﴿٥﴾ .
وكانت أرض فلسطين تعرف بأرض كنعان .
وفي إخوة يوسف (: ٢٩ فجاءوا الى يعقوب ابيههم الى ارض كنعان واخبروه بكل ما اصابهم قائلين .

٤٢: ٣٠ تكلم معنا الرجل سيد الارض بجفاء و حسبنا جواسيس الارض
٤٢: ٣١ فقلنا له نحن امناء لسنا جواسيس

(١) سورة سبأ ٨١ .

(٢) سورة الأنبياء ٧١ .

(٣) سورة البقرة ٥٨ .

(٤) سورة المائدة ٢١ .

(٥) موسوعة الكتاب المقدس ٥٣/١ .

٤٢:٣٢ نحن اثنا عشر اخا بنو ابينا الواحد مفقود و الصغير اليوم عند
 ايننا في ارض كتعان^(١)، وشرفه الله بعدد غير قليل من الأنبياء والرسل
 واحتل منزلة عظيمة في التأريخ الإنساني.
 وقد كان لذكر المسجد الأقصى في حديث الإسراء دعوة سماوية
 لتعاهده .

ولقد شرف الله بيت المقدس وجعله ثالث الحرمين وأولى القبلتين.
 وقد عقدت فيه حلقات الدرس وبرز في أروقه علماء كثيرون فقال
 الغزالي (٤٥٠-٥٠٥) للهجرة أنه كان في المسجد الأقصى ثلاثمائة وستون
 مُدرّساً.

وإلى الآن يسمى الجدار الغربي للمسجد الأقصى بحائط البراق نسبة إلى
 البراق وهو مركوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه ربطه في ذات
 المكان ليلة الإسراء وفيه تسمية أخرى التي أطلقت عليه وهي حائط المبكى،
 وليس فيها تعارض مع تسميته حائط البراق الذي هو كالناسخ لما قبله.
 عن مكحول أن ميمونة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن
 بيت المقدس قال: نعم المسكن بيت المقدس، ومن صلى فيه صلاة بألف
 صلاة فيما سواه ، وقالت فمن لم يطق ذلك، قال فليهد إليه زيتاً^(٢).

رؤية الآيات الباهرات

من الخصائص التي انفرد بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 رؤيته الآيات الكونية ، وتنقله في ليلة واحدة في طبقات السموات ، وهو من
 مصاديق قوله تعالى ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾^(٣) في معجزة الإسراء ويدل التبويض
 في الآية أعلاه على دقة معنى اللفظ القرآني ، وأن آيات الله لا يحيط بها إلا
 الله عز وجل وحده ، وفيه إكرام وتشريف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) موسوعة الكتاب المقدس ١/١٠٦.

(٢) الدر المنثور ٤/١٦١.

(٣) سورة الإسراء ١.

لتفضل الله سبحانه بإطلاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الآيات. وصحيح أن (من) تفيد التبعية إلا أنه لا يعني القلة، ولو قلنا أنه يفيد الكثرة لكان هو الأصح، فكل آية هي عالم وجامعة وخزينة تنفتح على كنوز عديدة، كما يتعلق موضوع الآيات بالإسراء كآية من آيات الله تعالى، وهو نفسه أي موضوع الإسراء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونقله وانتقاله ينحل إلى عدة آيات عظيمة لذا فإن ما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات أكبر وأعظم مما رآه إبراهيم في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(١).

والآيات التي رآها النبي أوسع وأعم وتشمل تكاليف شرعية واجتماعاً بالأنبياء السابقين ورؤية الجنة، ورؤية النار وشواهد من الذين يستحقون دخولها وغيرها مما ورد في حديث الإسراء.

وهذه الرؤية هل كانت خاصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أم انتفعت منها الأمة .

الجواب هو الأخير، وانتفع منها الناس جميعاً، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن تأتي الآية والمعجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتنتفع منها أجيال المسلمين، وتقتبس منها الدروس والمواعظ .

فكما أن القرآن نزل على صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتلقاه المسلمون بالواسطة وكأنه أنزل عليهم مع الإقرار والتسليم والرضا بأنه أنزل لتقويم سلوكهم ولهدايتهم إلى سبل الرشاد وطرق الجنة والنعيم الخالد، كذلك فإن الآيات التي تفضل الله سبحانه باراءتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هي أيضاً للمسلمين لينتفعوا منها.

فالآية الكريمة تحث على التدبر في حديث الإسراء وأسراره وكيف أنه هبة خاصة وعامة، إنه باب من أبواب السماء فتحه الله لأشرف خلقه وفيه

(١) سورة الانعام ٧٥.

دلالة على استحقاق الإنسان لخلافة الأرض وهو من مصاديق اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة في الأرض من حين بعثته لقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١).

والإسراء عيد عالمي ومنطلق للعلوم الفلكية والكونية وفق نظريات المعرفة الإلهية.

وما نزل في الإسراء يمكن أن نفرد له إصطلاحاً خاصاً وهو مكى سماوي، وبالإضافة إلى العلوم المستنبطة من هذا العلم فإن هذا التقسيم نوع تشريف وإكرام.

وعن الصادق عليه السلام إن هذه الآيات مشافهة الله تعالى لنبهه ليلة أسري به إلى السماء، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتهيت إلى محل سدرة المنتهى، وإذا الورقة منها تظل أمة من الأمم، فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى، كما حكى الله عز وجل، فناداني ربي تعالى ﴿أَمْسِ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢) وفي رواية (وكنت منها كقاب قوسين)^(٣).

فقلت أنا مجيباً عني وعن أمتي ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَرُقُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٤). فقال الله ﴿لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٥) فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنَّا نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٦).

وقال الله: لا تؤاخذك، فقلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٢٨٥.

(٣) البحار ٥١/٥٥.

(٤) سورة البقرة ٢٨٥.

(٥) سورة البقرة ٢٨٦.

(٦) سورة البقرة ٢٨٦.

الَّذِينَ مِنْ قُلُنَا ﴿١﴾ فقال الله لا احملك.

فقلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢﴾ فقال الله: قد أعطيتك ذلك لك ولأمتك.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تعالى أحد أكرم من رسول الله حيث سأل لأمته هذه الخصال (٣).

ليان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سؤاله الله عز وجل الخير العام والصلاح والمغفرة لأجيال المسلمين المتعاقبة.

الإسراء بالجسد والروح

لقد كان الإسراء بالجسد والروح، والإسراء هو انتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت المقدس بآية من عند الله عز وجل ، أما المعراج فهو صعوده في السموات وفي ذات ليلة الإسراء، والإسراء والمعراج للنبي محمد بجسده وروحه وفي عالم اليقظة والحقيقة.

ومن الفلاسفة من أنكروا أن تكون للسموات أبواب لأنها لا تقبل الخرق والإلثام، وعلم الهيئة ورحلات الفضاء في هذا الزمان تدحض هذا الإنكار.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم موافقة العلم الحديث لآيات القرآن ولستته الشريفة ، لتكون هذه الإكتشافات دعوة عقلية للتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن الشواهد على أن القرآن معجزة عقلية .

وإجماع علماء الإسلام على ثبوت الإسراء والمعراج بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والدليل الكتاب والسنة النبوية المتواترة بنصوص متعددة ، وتلقف الصحابة وأهل البيت لها بالقبول والتسليم ، وبالتبادر بأن

(١) سورة البقرة ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة ٢٨٦.

(٣) بحار الأنوار ٣٢٩/١٨.

الإسراء بالروح والجسد .

والمختار حدوث الإسراء مرة واحدة في مكة قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وقيل أنه قبل الهجرة بسنة ، والمختار أنه قبلها بسنوات ، والإسراء في حال اليقظة ولا عبرة بالقول النادر بأن الإسراء رؤيا منام كما عن الحسن البصري ﴿وَأَذَقْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (١) .

(واسم أبي الحسن يسار يقال إنه من سبي ميسان وقع إلى المدينة فاشتريته الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك فأعتقته وذكر عن الحسن أنه قال كان أبواي لرجل من بني النجار فتزوج امرأة من بني سلمة فساقهما إليها من صداقها فأعتقتهما) (٢) .

ونقل عن معاوية بأن الإسراء بالروح فحسب ، وكان معاوية أوان الإسراء مشركاً ، ولو كان الإسراء بالروح وحدها لما أنكره المشركون عندما أخبرهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الفجر عن الإسراء ، ولما سألوه آية وعلامة تدل على الإسراء .

ويدل الحمل على البراق على حدوث الإسراء بالروح والجسد فلا تحمل الدواب إلا الإجماد .

وفي حديث ابن عباس (فقال جبرئيل : يا براق أما تستحي فوالله ماربك مذ كنت قط نبي أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرتعش البراق وأنصب عرقاً حياءً مني ، ثم خفض لي حتى لزلت بالأرض ، فركبته واستويت عليه قام بي جبرئيل نحو المسجد الأقصى بخطوا البراق مد البصر يرسل إلى جنبي لا يفوتني ولا أفوته حيناً أنا في مسيري) (٣) .

(١) سورة الإسراء ٦٠ .

(٢) تهذيب الكمال ٩٦/٦ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٤٤٩/٧ .

وقد ركب إبراهيم عليه السلام البراق ، وعن (مجاهد وغيره من أهل العلم: أن الله لما بَوَّأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام، وخرج معه بإسماعيل وبأمه هاجر، وإسماعيل طفل صغير يرضع، وحملوا على البراق، ومعه جبريل يَدُلُّه على موضع البيت ومعالم الحرم. وخرج معه جبريل، فكان لا يمر بقرية إلا قال: أبهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول جبريل: امضه.

حتى قدم به مكة، وهي إذ ذاك عِصَّة سَلَمَ وَسَمَر، وبها أناس يقال لهم: "العماليق" خارج مكة وما حولها.

والبيت يومئذ ربوة حمراء مَدْرَة، فقال إبراهيم لجبريل: أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم. فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عَرِيشًا ، فقال {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} إلى قوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١)^(٢).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حب الله عز وجل له بالإسراء به جسداً وروحاً ، وفي حال اليقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم العروج به إلى السماء .

من دلائل الإسراء بالروح والجسد

قال الرازي (أختلف في كيفية الإسراء، فالاكثرون من طوائف المسلمين إتفقوا على أنه اسري بجسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأقلون قالوا: إنه ما أسري إلا بروحه)^(٣).

ولكن هذا التفصيل ليس بتمام من وجوه:

الأول : الإجماع على حصول الإسراء بالبدن والروح ولا عبرة بمن

شد.

(١) سورة إبراهيم ٣٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٤/١.

(٣) مفاتيح الغيب ١٤٧/٢٠.

الثاني : نسبة القول بالخلاف إلى الاقلين في مقابل الأكثرين يحتاج إلى ذكر المصاديق.

الثالث : التواتر على إسراء وعروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالجسد والروح .

والمختار الإجماع على حدوث الإسراء بالجسد والروح ، ولا عبرة بخلاف النادر الشاذ .

ومنهم من قال: إن الإجماع الضروري للمسلمين على عروجه بجسمه الشريف وأن الذي يقول أن معراجهم روحاني، وأن من أنكر معراجهم الجسماني ملحد وخارج عن الدين.

ولكن لا تصل النوبة إلى التكفير والرمي بالإلحاد من وجوه:

الأول : وجود الإسلام الحكمي عند القائل بالإسراء بالروح.

الثاني : الذهاب إلى القول بالإسراء بالروح عن قول ينسب إلى بعض الصحابة أو شبهة أو هو ظن .

الثالث : على المسلمين أن يتنزهوا من رمي بعضهم بعضاً بالكفر أو الفسوق لقول أو رأي أو شبهة لا تتعلق بضرورات الدين .

الرابع : موضوعية الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي هي سور الموجبة الكلية الشامل لجميع المسلمين، فهي ثابتة حصل الإسراء أم لم يحصل.

وهذا الإقرار والتسليم من عامة المسلمين كاف للوصف بالإسلام وحلية المناكح وحقن الدماء.

وقيل أن الأخبار الدالة على الإسراء بالروح والبدن لا تحصى ولا اعتبار لشبهات المتكلمين والحكماء.

ومن أنكر المعراج الجسماني لإمتناع الخرق والإلتيام في السماوات فقد رد على الله والرسول وهو على حد الشرك.

ولكن القول بعدم حصول الإسراء الجسماني لا يصدق عليه أنه رد على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يصل إلى الشرك .

ومن اعجاز القرآن وعلومه أنه يفسر بعضه بعضاً، فتجد الآية تفسر غيرها وغيرها تفسرها سواء ذات الآية المفسرة ومن نفس السورة أو من سورة أخرى.

الإسراء بالبدن

هل حصل الإسراء بالبدن وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسري به فعلاً وواقعاً وانتقل شخصه الكريم إلى المسجد الأقصى وهو ظاهر الآية الكريمة وظواهر القرآن حجة ، الجواب نعم .
وإجماع علماء المسلمين على حصول الإسراء بالجسد والروح، وليس بالروح فقط ولا عبرة بالشاذ والنادر.

ولكن القول بأن الإسراء بالروح وحدها ليس بالجديد فقد نسب إلى معاوية وحذيفة وروي عنه انه قال : ذلك رؤيا ، وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما أسري بروحه.

وقال به بعض المعتزلة وهذه النسبة إلى حذيفة تحتاج الى تحقيق رجالي، فنحن مثلاً نستدل على تفضل الله تعالى بجعل الجوهر الأساسي لشخص الزهراء من موجودات الجنة ليكون نبراساً للفضيلة وفيضاً ملكوتياً مباركاً، ودليلاً على اكرام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، الأمر الذي يدل بالدلالة التضمنية وبحسب النصوص بأن الإسراء حدث بالجسد والروح.

فقد روي عن أبي سعيد الخدري وابن عباس وعن الإمام الرضا عليه السلام قال (قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنة فناولي من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام ففاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة)^(١).

وبالنسبة لحذيفة فهذا الاسم على الظاهر يقصد به حذيفة بن اليمان وإن ذكر أكثر من واحد باسم حذيفة وأنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعضهم مجهول فلم يثبت أن المراد هو حذيفة بن اليمان .

وحذيفة بن اليمان نسبة إلى اليمن لأن جده جردة أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل ، فسماه قومه باليمان لأنه من اليمن حالف الأنصار وهم في المدينة ، وقيل أن اليمان مأخوذ من اليمين وهو الحلف والأول أنسب .

وتوفى حذيفة والياً في المدائن بعد بيعة الإمام علي عليه السلام بأربعين يوماً وجلالة قدره ووثاقته وورعه عليها الإتفاق والإجماع ، وكان يعرف المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم ، عرفهم ليلة العقبة لما أرادوا ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منصرفهم من تبوك ، وكان حذيفة تلك الليلة قد أخذ بزمام الناقة يقودها ، وعمار من خلف الناقة يسوقها .

وروي أن عدد أصحاب العقبة إثنا عشر واختلف هل هم من الأنصار كما عليه الجمهور ، أم هم من الأنصار والمهاجرين .

وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن حذيفة قال : إن الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر كيما أعرفه فأتقيه^(١) .

وفي هذا الخبر دلالة على السعة والعلم في السنة النبوية وإنتقال علوم القرآن والسنة أو شطر منها للمسلمين بواسطتهم وبسعيهم ،

روى عروة بن الزبير أن حذيفة بن اليمان كان مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد فأخطأ المسلمون وظنوا أن أباه اليمان واحد من الكفار ، فأخذوه وضربوه بأسيا فهم وحذيفة يقول : إنه أبي فلم يفهموا قوله إلا بعد أن قتلوه .

فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فلما سمع الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم ذلك إزداد وقع حذيفة عنده^(١).
وفي أسد الغابة أنه شهد حذيفة الحرب بنهاوند فلما قتل النعمان بن
مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية ، وكان فتح همدان والري والدينور على
يده ، كما شهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج فيها.
وإن ثبت القول عنه بأن الإسراء بالروح فقط فإن الجواد قد يكبو
والصارم قد ينبو والعصمة لمن سده الله عز وجل وعصمه ، لأن مثل هذا
القول خلاف الدلائل والواقع ولكن إثبات هذا الحديث ونسبته لهذا
الصحابي الجليل بعيد كما يمكن أن يناقش القول دلالة وتأريخاً.

الإسراء عنوان المحبة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجلي مظاهر حب
الله عز وجل وإكرامه له ، واجتمع هذا الحب والإكرام في معجزة الإسراء
وما فيها من الوقائع من عالم الغيب والملكوت .
والإسراء عنوان محبة للمعشوق ، وسعي للعكوف على باب رحمة الله
عز وجل .

وورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : تخلقوا
بأخلاق الله تعالى^(٢) ، ليقبى الإنسان في جوار حضرة الكمال والجلال
متخلصاً من سنخ الظلمات ، وحب المال والشهوات وما يؤدي إلى الإمتناع
الإنطباقي عن تلقي رحمة الله.

لقد كان الإسراء عنوان فخر وعز للمؤمنين ، ومدرسة عرفانية مستقلة
تفيض بسعادات ذات مراتب ووجوه متعددة وتبحث عن الكمالات
الإنسانية وهو حرز وواقية للمؤمن.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه والبيهقي في
الأسماء والصفات عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما

(١) مفاتيح الغيب ٣٢٩/٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ٧/٤ .

يروى عن ربه ، من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرأ إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة أو يحوها الله ، ولا يهلك على الله إلا هالك^(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يروي عن ربه عز و ج قال : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر^(٢).

السياحة في عالم السماء

رؤية الملك النازل من السماء يختص بها الرسول دون النبي، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الله عز وجل أراد له أن يتفرد بحالة تشريفية خاصة لم ولن ينالها إنسان وهي السياحة والإرتقاء في عالم السموات ، وبالإسراء تعددت أسباب الفيض الإلهي وشعاب رحمة الله وروابط جوده وسبل المعرفة الإلهية والشهود العياني والقلبي، إنه كمال النبوة .

ومن الصفات التي تكون مؤهلات للنبوة ومن خصالها العصمة من الزلل والمعصية لأن القلوب لا تنجذب إلى صاحب المعصية ، فيكون النبي أفضل أهل زمانه بجميع الفضائل والمحسن والكمالات ، وأن يكون أميناً. ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان بن حرب عن صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال له: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ لَا . فقال هرقل: أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ لِيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ^(٣).

(١) الدر المنثور ٤/١٧٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٣٦٧.

(٣) أيسر التفاسير ١/١٣٨.

وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمى (الصادق الأمين) ومن خصائص رسول الله أنه شجاع لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهي من الاخلاق والصفات الحميدة.

لذا فان إخباره عن الإسراء حق وصدق ، وكما يصح ان نستدل بالبرهان اللمي أي من العلة على المعلول، كذلك يمكن ان نستدل بالبرهان الإنبي أي من المعلول إلى العلة .

فإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإسراء دليل على صدقه في الإخبار عن النبوة لأن حديث الإسراء يتضمن أسراراً لا يمكن للإنسان أن يطلع عليها بقدرته الشخصية بل التسخيرية لبعض المحكومات فقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منازل لم يطأها أحد غيره .

وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى ، فأعطي ثلاثاً : أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحّمات^(١).

وقال السيوطي : في كيفية الوحي ان يكلمه الله أما في اليقظة كما في ليلة الإسراء أو في النوم^(٢) ، أي ان الوحي ليلة الإسراء اتصف بخصوصية التكليم من غير واسطة وفي حال اليقظة وليس وحي منام فكما كان موسى عليه السلام كليم الله فكذلك الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كَلَّمَهُ الله ليلة الإسراء.

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وراثه الكليم موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣).

وفي الصناعة النحوية إذ تم تأكيد الفعل بالمصدر فانه يكون حقيقة وليس

(١) الدر المنثور ٢/٢٧٢.

(٢) الإتيقان في علوم القرآن ١/٥٠.

(٣) سورة النساء ١٦٤.

مجازاً ، ويدل عليه تفسير القرآن الذاتى ، قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَكَانَ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ١٠﴾.

الإيمان بالمعراج

المعراج من غرر المعجزات التي اختص الله عز وجل بها النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحاز شرفها المسلمون جميعاً، وهو مدرسة تترشح عنها دروس وعبر ومواعظ بل وأحكام شرعية لذا وردت نصوص تؤكد على لزوم الإيمان بالمعراج، (وفي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: انه نهى عن انكار اربعة اشياء: المعراج، والمساءلة في القبر، وخلق الجنة والنار، والشفاعة).

وهل المراد الإيمان بها على نحو العموم الإستغراقي أم العموم البدلي الأقوى هو الأول أي يلزم الإيمان بكل واحد منها مستقلاً وعدم انكار أي منها.

وثلاثة من أفراد الحديث تتعلق بمستقبل الإنسان وعالم ما بعد الموت، والمعراج وحده يتعلق بما مضى كمعجزة نبوية مما يدل على موضوعية المعراج في دائرة عقيدة التوحيد والإيمان بالمعاد.

والمراد من المعراج هو صعود النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ليلة الإسراء، والسنة بيان للقرآن فصحيح أن الآية تعلقت بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلا أن السنة توسع حديث الإسراء وتخبر عن تفاصيله، وتبين أنه يتكون من معراجين :

الأول : من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والذي تدل عليه آية الإسراء .

الثاني : المعراج من بيت المقدس إلى السموات .

لقاء النبي محمد (ص) موسى (ع)

في حديث الإسراء : ثم إنني رفعت إلى سدرة المنتهى فتغشاه فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة ثم إن الله أمرني بأمره وفرض علي خمسين صلاة.

وقال : لك بكل حسنة عشر وإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فإذا عملتها كتبت لك عشرا وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فإن عملتها كتبت عليك سيئة .

ثم دفعت إلى موسى فقال : بم أمرك ربك ؟ قلت : بخمسين صلاة قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا يطيقون ذلك فرجعت إلى ربي .

فقلت : يا رب خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم فوضع عني عشرا فما زلت أختلف بين موسى وبين ربي حتى جعلها خمسا فناداني ملك : عندها تمت فريضتي وخففت عن عبادي فأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت إلى موسى .

فقال : بم أمرت ؟ قلت : بخمس صلوات : قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييته .

ثم أصبح بمكة يخبرهم العجائب : إنني رأيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ثم رأيت كذا وكذا فقال أبو جهل : ألا تعجبون مما يقول محمد ؟ قال : فأخبرته بغير لقريش لما كانت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا وإنها نفرت فلما رجعت رأيتها عند العقبة وأخبرتهم بكل رجل وبغيره كذا ومتاعه كذا .

فقال رجل : أنا أعلم الناس ببيت المقدس فكيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل .

فرفع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت المقدس فنظر إليه فقال :

بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فقال: صدقت ^(١).

إسراء إبراهيم

لقد شهد القرآن لإبراهيم بالعروج في السماء قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ^(٢).

قال الطبري حدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب، عن عوف، عن أسامة: أن إبراهيم خليل الرحمن حدث نفسه أنه أرحم الخلق، وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض، فأبصر أعمالهم. فلما رأهم يعملون بالمعاصي قال: اللهم دمر عليهم! فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك، اهبط، فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويراجعوا ^(٣).

ومع دلالة الحديث على مكانة إبراهيم بين الأنبياء وعلى جهاده في سبيل الله وسعيه للصالح، فانه في مفهومه وبلحاظ المقارنة مع إسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم تتضح بجلاء وجوه الرأفة والرحمة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي أدت إلى هداية الناس فما أخبر عنه الله تعالى في هذا الحديث "فلعلهم يتوبوا او يرجعوا أو أستخرج من صلبهم ولداً صالحاً" فان الشطر الأخير تحقق بإتباع الناس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهدايتهم بالإسلام.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام وجوه :

الأول : هداية أجيال الناس إلى الإيمان .

الثاني : قانون استدامة حنيفية إبراهيم في الأرض برسالة النبي محمد

صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى

(١) الدر المنثور ٦/١٩٤.

(٢) سورة الأنعام ٧٥.

(٣) تفسير الطبري ١١/٤٧٣.

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا فِيمَا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ .

الثالث : كان دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الإسراء والمعراج للناس ، وبما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

لقاء النبي محمد (ص) الأنبياء السابقين

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن بينه وبين آخر الرسل وهو عيسى عليه السلام نحو ستمائة سنة مما يدل على عدم لقائه مع أي من الأنبياء ولكن تفضل الله عليه وأكرمه بلقاء الأنبياء في المعراج ، وهي نعمة ومرتبة رفيعة لم ينلها غيره من البشر .

وفي هذا اللقاء منافع كثيرة ، قال تعالى ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٣).

و(عن أبي الربيع قال: سأل نافع أبا جعفر عليه السلام عن قوله الله ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (٤) من ذا الذي سأل محمد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة.

قال : فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ (٥) فكان من الآيات التي أراها الله محمدا صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس أنه حشر الله الأولين والآخرين من النبيين

(١) سورة الأنعام ١٦١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة الزخرف ٤٥.

(٤) سورة الزخرف ٤٥.

(٥) سورة الإسراء ١.

والمرسلين ، ثم أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعا وأقام شفعا .
وقال في إقامته : حي على خير العمل ، ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله
وسلم فصلى بالقوم ، فأنزل الله عليه ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ .
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : على ما تشهدون ، وما كنتم
تعبدون .

قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت رسول الله ،
أخذت على ذلك عهدونا وموآثيقنا، فقال نافع: صدقت يا أبا جعفر^(١) .
و(عن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رُسُلِنَا﴾^(٢) قال : ليلة اسري به لقي الرسل)^(٣) .

قانون إنذار أم القرى

يحتمل منع مشركي قريش لدخول الناس الإسلام من جهة الكثرة والقلة
وجوهاً :

الأول : إرادة خصوص أهل مكة .

الثاني : أهل مكة والقبائل المحيطة بها .

الثالث : أهل زمانهم .

الرابع : أهل زمانهم مع الأجيال اللاحقة .

والمختار هو الأخير .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإنذار المتجدد .

(١) البحار ٣٦٣/١٨ .

(٢) سورة الزخرف ٤٥ .

(٣) الدر المنثور ١٠٠/٩ .

ليكون تقدير قوله تعالى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١)، أمس واليوم وغداً بتقريب أن رجال قريش الذين يصدون عن البشارة والإنذار الذي جاء بهما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أضروا أنفسهم ومن حولهم ، والأجيال اللاحقة لذا كان سقوط سبعين منهم في معركة بدر إزاحة مانع دون سيادة الإيمان ، قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

ومن خصائص نعم الله في القرآن وأحكامه أنها توليدية تتفرع عنها فروع كثيرة كل يوم ، ولا يحصيها إلا الله عز وجل وإن علم بشرط منها الأنبياء والملائكة والمؤمنون .

ترى ما هي النسبة بين الإحاطة المطلقة في قوله تعالى ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَلَهُمْ أَتَمَّةً وَبَجَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣) ، وبين الإحصاء العام، الجواب هو العموم والخصوص المطلق .

فالإحاطة أعم ، ولا يقدر على الإحاطة بالناس وأفعالهم وأحوالهم ومذاهبهم وعواقب أمورهم إلا الله عز وجل ، ومن معاني هذه الإحاطة تفضل الله عز وجل باصلاح الناس ، وجعل العواقب إلى خير . وهل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرع هذه الإحاطة الإلهية ومنافعها ، الجواب نعم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يحصي حاجة أجيال الناس المتعاقبة إلى رسالته إلا الله عز وجل .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١) ، وهل تستبين يوم القيامة إضاءات هذه الحاجة العامة لرسالته بما يثبت امتيازته وأتمته

(١) سورة الشورى ٧.

(٢) سورة النحل ١١٨.

(٣) سورة القصص ٥.

بهذه النعمة والفضل الإلهي ، الجواب نعم ، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة .

السجود لله وحده

لقد تفضل الله عز وجل بالوحي وتنزيل الآيات الباهرات قال سبحانه ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾^(٢)، وقيل أوحى إليه، أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك^(٣) وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة .

وفي سورة الفاتحة التي يقرأها المسلمون كل يوم في فرائض الصلاة ورد قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤) فقدمت العبادة والاقرار بالعبودية لله عز وجل على الاستعانة وكأنه مقدمة للحاجة والفقاهاة بلسان الذل والخضوع وقصد القرية .

ويأتي المسلمون بالشهادتين في الصلاة وتتضمن الإقرار بالتوحيد والتصديق بالنبوة فقدمت صفة العبودية في حال الثناء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والشهادة بنبوته، وفيه بيان لموضوعية صفة العبودية وما يترشح عنها من الفضل والشرف والعز.

لقد بالغ أقوام في منازل الانبياء وقاربوا بها الربوبية، فجاء الاسلام ليتصدى الى تلك المبالغة بنفس الصيغ الجهادية والتربوية التي رسخها في إكرام الانبياء، ومعرفة حقيقة ارتقائهم على البشر منزلة وعلماً وكرامة.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نظامه وخشوعه المتصل لله عز وجل بما يمنع من الغلو بشخصه ، فمثلاً قوله (صلوا كما

(١) سورة الجن ٢٨.

(٢) سورة النجم ١٠.

(٣) الكشف ٢٩/٤ .

(٤) سورة الفاتحة ٥.

رأيتُموني أصلي) ^(١) وقوله (خذوا عني مناسككم) ^(٢) دعوة لمحاكاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه منع للغلو بشخصه الكريم .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تثيته مبادئ وأركان التوحيد في الأرض ، ودعوة الناس جميعاً إلى توحيد الربوبية لله وحده .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة قيامه بكسر ثلاثمائة وستين صنماً في البيت الحرام ، لتقطع عبادة الأوثان إلى يوم القيامة .

والسجود لغة هو التطامن والخضوع ، وفي الإصطلاح وضع الجبهة والمساجد الأخرى على الأرض طاعة لله عز وجل .
والنسبة بين توحيد الله عز وجل وبين السجود له عموم وخصوص مطلق ، فالسجود لله شعبة من التوحيد ، وشاهد عملي عليه .

قانون التعاضد بين القرآن والسنة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التعاضد بين سنته وبين القرآن في الدعوة إلى التوحيد وبيان الأحكام الشرعية ، ويدل هذا التعاضد على انتفاء التزاحم أو التعارض بينهما ، والسنة النبوية مرآة وبيان للقرآن .

و(عن صهيب أن معاذاً لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا معاذ ما هذا قال : إن اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورأيت النصراني تسجد لقسيسها وبطارقتها قلت : ما هذا قالوا : تحية الأنبياء فقال عليه السلام كذبوا على أنبيائهم) ^(٣) .

وبذا تظهر الحاجة للإسلام في منع الغلو في الدين وفضح التحريف .

(١) تفسير القرطبي ٧٢/١ .

(٢) تفسير الرازي ١٥٠/١١ .

(٣) مفاتيح الغيب ٤٩٤/١ .

واستمر الصحابة والائمة عليهم السلام في التصدي لصيغ الغلو وأماراته ليتجه الناس الى التوحيد والاخلاص في العبادة.
فعن الثوري سماك بن هاني قال: دخل الجاثليق^(١) على علي بن ابي طالب فاراد ان يسجد له.
فقال له علي: اسجد لله ولا تسجد لي^(٢).

ولما رأى النصارى الآيات من عيسى باحيائه الموتى وابرائه الأكمه والأبرص جرده بعضهم من صفة العبودية واتخذوه معبوداً لذا ورد في التنزيل ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يُكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣).

النعمة على بني إسرائيل

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته نعمة ورحمة للناس جميعاً ومنهم بنو إسرائيل وعامة اليهود وأهل الكتاب ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

ومن نعم الله على بني إسرائيل في المقام وجوه:
الأول : من نعم الله عز وجل على بني إسرائيل كثرة الأنبياء الذين بعثهم من بين ظهرانيهم .

الثاني : بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنها النعمة العظمى والرحمة العامة للناس .

الثالث : هدى الله عز وجل نعمة على بني إسرائيل والناس جميعاً، ولولا هذا الهدى لما نجى بنو إسرائيل من فرعون وبطشه، خصوصاً وأن نجاتهم كانت بمعجزة وآية وهي صيرورة ممر خاص من بين ماء البحر الأحمر ليعبروا فيه .

(١) الجاثليق: بفتح التاء، هو رئيس النصارى في بلاد الإسلام، ولغتهم السريانية.

(٢) تفسير الرازي ١١٢/٢.

(٣) سورة النساء ١٧٢.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

وتكررت شواهد له في هذا الزمان ولكن بالعلم والعمل والإنفاق وهو إنشاء أنفاق وسكك حديد لمرور المركبات البرية تحت ماء البحر.

الرابع : من نعمة الله على بني إسرائيل أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بشير ونذير لهم وللناس وجاء بالهدى والصلاح.

الخامس : ومن نعمة الله في المقام مجيء القرآن بالزجر عن إتباع الأهواء ، وقد توجه الخطاب والنداء من عند الله عز وجل ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أربع مرات في القرآن منها قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾^(١) .

السادس : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم اتباع ملة اليهود أو النصارى .

السابع : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجيؤه بالعلم وأحكام الشريعة المتكاملة التي هي من مصاديق العلم ، وأول آية نزلت من القرآن هي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٢) لإفادة وجوب الكسب العلمي والتحصيل المقيد بأنه في طاعة الله .

الثامن : بعث النفرة في نفوسهم والناس جميعاً من الهوى وإتباعه لقبحه الذاتي ولأنه ضد للعلم والإيمان.

تفضيل النبي محمد (ص)

لقد أجمع المسلمون على أفضلية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على آدم، وفي القرآن والسنة شواهد كثيرة ومصاديق تؤكد سيادته صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن آدم عليه

(١) سورة البقرة ٤٠.

(٢) سورة العلق ١.

السلام الذي جعله الله عز وجل ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، اتخذ له خاتماً. وكان نقشه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهذا الخاتم هبط معه من الجنة. وفيه دلالات منها أن أبا البشر يدعو لسيد النبيين ويشر برسالته، ويجعل موضوعها زينة له ووساماً، قال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٢).

لقد كان هبوط الإنسان للأرض مناسبة للإبتلاء والإمتحان والاختبار فجاء الإسراء بالإتجاه المعاكس للهبوط وكأنه عنوان رضا الله تعالى على الإنسان وثبوت أهليته لخلافة الأرض، وهو بشارة دخول الجنة فهو الرزق الإلهي العاجل والإفاضة النورانية التي تبعث في الأرض السكينة والأمل والإعلان عن الصلة الوثيقة بين السماء والأرض، إنه سفر روعي يصعد بالعبد إلى عالم الملكوت.

ويجتمع هذا الحدث مع أكل آدم وحواء عليه السلام من الشجرة التي نهيا عنها ليظهر استحقاق الإنسان للخلافة، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، والتوفيق الذي تغش الإنسان للتمسك بأحكام الشريعة على الأرض وهو عنوان الغبطة والسعادة بنيل الدرجات العلى والإعانة على الإطلاع على أسرار السماء.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن معراجة حجة تدل على تعلق روحه بالسماء، وأنه منقطع عن الدنيا، وفيه بيان لتعدد وجوه الفضل الإلهي في كيفية تلقي الوحي.

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأحزاب ٤٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

التفضيل بين الملائكة والأنبياء

اختلف علماء الإسلام في أفضلية الملائكة على الأنبياء أو العكس، والمشهور الأكثر قالوا بأفضلية الأنبياء على الملائكة لأن الله عز وجل أمر الملائكة بالسجود لآدم وقيل أن الأدميين أفضل من الملائكة .

ومنهم من استدل على أفضلية الملائكة بقوله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١) فدخول الملائكة بالسلام والتحية والإكرام دليل على تقدمهم رتبة وشرفاً .

وقد يكون الإستدلال غير تام وقد يكون العكس خلافه لأن أهل الجنة وصلوا إلى منازلها الرفيعة بعد الإمتحان والاختبار فجاء الملائكة معترفين بفضلهم واستحقاقهم.

وقال المعتزلة بأن الملائكة العلوية أفضل .

ولكل ادلته وإحتجاجة في مباحث كلامية وما يتعلق بالمقام ان القائل بأفضلية النبي على الملك جاء في الإستدلال بأمرين:

الأول : ما روي بأن جبرئيل عليه السلام أخذ بركاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى أركبه البراق ليلة المعراج ولما وصل إلى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل وقال: لو دنوت ائمة لأحترقت^(٢)، أي ان جبرئيل يتعذر عليه التقدم إلى الموضع الذي بلغه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن المرتبة السامية التي رزقه الله عز وجل حجة للإستدلال العام .

ومن خصائصه أخذ جبرئيل عليه السلام بركابه ، وهو من الوجوه التي احتج بها على أفضلية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على آدم الذي أسجد الله له الملائكة .

وأن الله تعالى صلى بنفسه على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمر

(١) سورة الرعد ٢٣ - ٢٤ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٨/٢ .

الملائكة والمؤمنين أن يصلوا عليه والأمر بالسجود تأديباً ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) ، وقد ورد النداء التشریفی ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في القرآن تسعاً وثمانين مرة ، كلها في أول الآية إلا الآية أعلاه إذ ورد في أوسطها ، وأن السجود كان لأجل نور محمد الذي في جبهته والصلاة دائمة على النبي ، وليس مرة واحدة كالسجود لآدم .

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين^(٢).

ورد القائل بأفضلية الملائكة بأنه خبر واحد ، والمشهور على حجية خبر الواحد الأصل ، وخبر الواحد هو الخبر الذي اتحد طريق سنده ولم يحصل منه القطع بثبوت مؤداه في قبال الخبر المتواتر الذي يرويه جماعة عن جماعة مع إمتناع تواطئهم على الكذب وهو مما يفيد العلم . هذا بالإضافة إلى قاعدة التسامح في أدلة السنن وعدم معارضة الحديث للكتاب والسنة لأن المقصود بالمعراج هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس كل الأنبياء .

الثاني : روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان لي وزيرين في السماء ، وأشار الى جبرئيل وميكائيل^(٣) ، وأشكل على الحديث سنداً ورواية.

وهذا الحديث ييان للحديث الأول وان جبرئيل عليه السلام تخلف عن منازل القرب التي تشرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوصول إليها ، وأن الوزير أدنى رتبة ممن استوزره ، أو صار عنده وزيراً . وقد ورد ذكر الوزير في القرآن مرتين ، كلاهما بخصوص وزارة هارون

(١) سورة الأحزاب ٥٦ .

(٢) مفاتيح الغيب ٤٣٢/٣ .

(٣) أنظر مفاتيح الغيب ١٨/٢ .

لموسى :

الأولى : دعاء موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ * هَارُونَ أَخِي ﴿^(١) .

الثانية : استجابة الله عز وجل لدعاء موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ^(٢) .

تجليات تفضيل النبي محمد (ص)

لقد بعث الله عز وجل جبرئيل وحده لهلاك قوم لوط ودمار ما يملكون ، فالله سبحانه أنزل آلافاً من الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يوم بدر وأحد ، قال تعالى ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ ^(٣) ، وفيه مسائل :

الأولى : تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء ، وعن الإمام علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع) ^(٤) .

وعن أبي هريرة قال (سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي الناس أكرم؟

قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ، قالوا : ليس عن هذا نسألك .

قال : فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا : نعم .

(١) سورة طه ٢٩-٣٠ .

(٢) سورة الفرقان ٣٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٤ .

(٤) البحار ٢٢٦/١٦ .

قال : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^(١) .
فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضليته وأنه خير البشر، فهو إمام المتقين .

الثانية: إنه من الشواهد على العناية الإلهية بالمسلمين .
الثالثة: في كثرة عدد الملائكة الذين نزلوا لنصرة النبي والمؤمنين يوم بدر وأحد شاهد على منزلة النبي محمد عند الله ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرِّ وَاتِّمَّ أَذْلَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) .

الرابع: في المقارنة في المقام إنذار للكفار من التعدي على المسلمين وثغورهم ، ودعوة للناس لدخول الإسلام .
وفي محاورة اليهود مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له ابن صوريا خصلة واحدة إن قلتها أمنت بك و اتبعتك أي ملك يأتيك بما ينزل الله عليك قال جبريل ، قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب و ميكائيل ينزل باليسر و الرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنا بك^(٣) .
وكان جبرئيل عند مجيئه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل أحياناً بصورة الصحابي دحية الكلبي الذي كان جميلاً حسن الهيئة وبدا له مرتين بصورته الحقيقية وله ستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت ، أو أن يأتيه بمثال يسمع الصوت ويرى الضوء .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توالي نزول جبرئيل عليه بالقرآن وبالوحي ، كما ينزل عليه مدداً وعوناً .

(١) الدر المنثور ٩/٢٦٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٣) مجمع البيان ١/٢٨٨ .

وفي معركة بدر ورد عن ابن عباس قال (وأمد الله نبيه والمؤمنين بألف من الملائكة، وكان جبريل في خمسمائة مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة)^(١).

الثناء على جبرئيل

مما وصف الله عز وجل في القرآن ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾^(٢) لجبرئيل قوة في أداء ما أمره الله به ، وهو الذي ينزل بالوحي على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمانة .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم وصول الشياطين للوحي إلى حين القاء جبرئيل له عليه ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي قوة وخلق حسن ، وجمال وبهاء .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً تفضل الله عز وجل بسلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصية ، وتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الآيات والسور على الناس وتدوين أهل البيت والصحابة لها ، وسلامة علم تفسير وتأويل القرآن من زيغ وأباطيل شياطين الجن والإنس ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شِيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أقرب الخلق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل وهم منه مسيرة خمسين ألف سنة^(٤).
وجبرئيل من أقرب الملائكة إلى الله، وذكر أنه من الروحانيين الذين لا

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٤١٨/٢ .

(٢) سورة النجم ٥-٦ .

(٣) سورة الأنعام ١١٢ .

(٤) الدر المنثور ١٧٤/١ .

يعلم ماهية خلقهم ولا صفتهم الا الله رب العالمين.
ومنزلة جبرئيل الرفيعة لا يختلف فيها اثنان من الملمين، ويمثل عند المسلمين مقاماً سامياً فهو الواسطة الكريمة الذي نزل بالقرآن وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة، اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت).

لقد أمر الله جبرئيل ليدمر مدائن لوط بعد شيوع الفاحشة بينهم وأخبر عن قوته لما سأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها إذ قال : حملت المدائن من الأرضين السفلى الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم، بريشة واحدة من جناحي انتظر امر ربي إلى الصبح.
لقد اقتلع جبرئيل قري قوم لوط الخمسة سدوم ، وهي أكبرها .
(وعامورا ودادوما وضعوه وقتم فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء بما فيها حتى سمع أهل السماء نهيق حمرهم وصياح ديكتهم لم تنكفيء لهم جرة ولم ينكسر لهم إناء ثم نكسوا على رؤوسهم وأتبعهم الله بالحجارة ، مقاتل : أهلك أربعة ونجت ضعوه وقيل غير هذا والله أعلم^(١)).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صبره على أذى قومه إلى أن تم يوم فتح مكة الإسلام ، وهل قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) أمان من الخسف وبطش جبرئيل بكفار قريش ونحوهم ، الجواب نعم .

ومع هذا تراه ﷺ يتخلف عن الموضع الذي بلغه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السماء السابعة ولا يتقدمه في الصلاة ويبالغ في اكرامه وفي ذلك دعوة للناس جميعاً للإتقياد لما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) تفسير القرطبي ٧١/٩.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

وسلم واتباعه خصوصاً وإن الله عز وجل قد زكى قوله وفعله ونسبه إليه بالواسطة قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

قانون الترغيب بتأويل الرؤيا

قد تأتي الرؤيا على نحو الرموز والإشارات وتستلزم بيانها بالأحسن والأنفع والأصلح ولا يتعجل المعبر بالتأويل الذي يجلب الأذى والشر. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحث أصحابه على ذكر رؤاهم ثم يأولها بما فيه التفاؤل والبشارة والأمل إلا أن تكون رؤيا إنذار فيدعو الله عز وجل لصرفها.

و(عن ابن زمل الجهني، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الصبح قال، وهو ثاب رجله: "سبحان الله وبحمده. أستغفر الله، إن الله كان تواباً" سبعين مرة، ثم يقول: "سبعين بسبعمئة، لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمئة".

ثم يقول ذلك مرتين، ثم يستقبل الناس بوجهه، وكان يعجبه الرؤيا، ثم يقول: "هل رأى أحد منكم شيئاً؟"

قال ابن زمل: فقلت: أنا يا رسول الله.

فقال: "خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين"^(٢).

فمن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المقام أمور :

الأول : العناية بالرؤيا ، وهل هذه العناية باجتهاد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب إنما هي من الوحي .

الثاني : بعث المسلمين لذكر رؤاهم ، والإنشغال منها بشارة أو إنذاراً وعدم الإستخفاف بها .

الثالث : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سعيه لجعل

(١) سورة النجم ٣ - ٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٠/٧.

المسلمين يرجعون إليه في الأمور الخاصة والعامة من غير ملل أو سأم ، فمن خصائصه أنه الرحمة المهداة ، والنعمة المزجاة لأهل الأرض ، وأن جوابه على أسئلتهم وأقواله ونصائحه لهم حجة وشعبة من الوحي .

الرابع : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيامه بتأويل رؤى أصحابه ، وفيه دعوة نبوية لعلماء الإسلام بالعناية بعلم تأويل الرؤيا ، وقد وردت دعوة قرآنية للتأويل بذكر سبع من الرؤيا في القرآن مع تأويلها ، وفي يوسف ورد قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (١) .

الخامس : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيانه لأقسام الرؤيا ليتفقه المسلمون والناس جميعاً بعلم الرؤيا وتأويلها . جاء رجل الى الامام الباقر عليه السلام فقال : يا ابن رسول الله عزمت على طلاق امرأتي واني رأيت في المنام كأن كبشين ينتطحان على فرجها . فقال عليه السلام: لا تطلقها وذلك انها لما سمعت بقدومك من السفر عمدت الى الموضع فأخذت شعره بالمقراض .

ليزجر الامام عليه السلام الرجل على فعل قائم على خطأ في التأويل وعلى امر اجنبي عن مدارك الحكم والفتوى . وليدخل البشرى الى بيته وقلوب افراد اسرته بحسن تأويل الرؤيا وصواب التعبير وطرده الظن البعيد عن الواقع اصلاً وفعلاً .

فالرؤيا على اول عابر اذا ما احسن تحليل رموزها واستنباط علومها في الوجه الذي اختاره من الوجوه المحتملة ، لذا يلزم التقيد بالحرص على عرض الرؤيا على العالم والمختص ذي الاطلاع والمعرفة والدين .

قانون موضوعية الدعاء في تحقيق الرؤيا

إذ ينعم المسلمون اليوم بالاسلام وقوانينه وأحكامه وقضائه ودولته ومعهم كتاب سماوي منزل. فأن الرؤيا الصادقة وتأويلها صفحة من بناء الاسلام مملوءة بالعلم والاسرار والوحي والإيحاء والمناجاة والهداية.

وهي طريق للهداية والرفعة والنصر كما ساهمت كهبة إلهية في عز المؤمنين وستبقى عندهم ذخيرة من ذخائر الاسلام رسخ قواعد بنائها في صدورهم وكتبهم وحياتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسنته القولية والفعلية وعنايته بالرؤيا وتأويلها الى جانب القرآن.

وزاد الله عز وجل عليهم من فضله فاحسوا بالوجدان والتجربة والبرهان عبر اجيالهم المتعاقبة حضور الرؤيا الصادقة وما فيها من البشارة وعموم النفع الا ان استثمار الدعاء في دفع رؤيا الإنذار وتقريب وإتمام ما فيها من البشارة لم يكن مناسباً وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يُنْحَوِّلُهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

انها تجارة كريمة من غير جهد أو مشقة لما فيها من الدعوة إلى الدعاء وقرب الإستجابة.

ومن فضل الله في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) قانون عدم الملازمة بين رموز الرؤيا وتنجز مصداقها الواقعي ، فقد تأتي الرؤيا بصورة واضحة لوقوع حادثة أو مصيبة ، فيدعو الإنسان الله عز وجل لصرفها ، وينصرف فيمحو الله مصداقها الواقعي ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣).

(١) سورة الرعد ٣٩.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة غافر ٦٠.

خصائص النبي (ص) في العبادات

للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خصائص في باب العبادات منها قيامه الليل ، قال تعالى ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) ، ومن خصائصه اجتهاده من حين تحنثه في غار حراء وحالما نزل عليه القرآن جاءه الأمر من عند الله بالمواظبة على الصلاة والذكر ، قال تعالى ﴿أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ اقْصُ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَبُّ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٢) لبيان أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بذل الوسع في طاعة الله ، ولم يهنا بنوم أو مأكلاً وملبساً ، إذ كان دائب التسبيح والسعي في إصلاح الناس . وكان يبادر إلى الصلاة عند الحزن فيقول : أرحنا بها يا بلال . وقال صلى الله عليه وآله وسلم (وجعلت قرّة عيني في الصلاة)^(٣) . وكان يصوم صوم الوصال بصوم يومين والليلة التي بينهما أو ثلاثة أيام والليلتين بينهما ، ويقول (إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين)^(٤) . وعن (مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيْزٌ كَأَزِيْزِ الْمَرْجَلِ)^(٥) . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إطالته الصلاة ، وقراءته السور الطوال في الصلاة من غير تعب أو ملل ، وعن عبد الله بن مسعود (قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطال حتى هممت بأمر سوء قال : قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه)^(٦) .

(١) سورة المزمل ٢.

(٢) سورة المزمل ١-٥.

(٣) الدر المنثور ٢/٢٩٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/١٣٧.

(٥) مسند أحمد ٣٣/٥٦.

(٦) صحيح ابن حبان ٩/٢٦٥.

وهل يشمل قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(١) طول صلاة وقراءة وركوع وسجود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب لا فالقادر المتيقن من الأمر النبوي هو اتقان واجبات وأركان الصلاة ، ومحركاته في صلاة الجماعة .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تخفيفه الصلاة في صلاة الجماعة فلا يكون مطولاً ولا ناقراً ، وهو يصلي بالناس وسطاً بين الطول والقصر ، وغالباً ما يقرأ السور القصار من المفصل .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يتدبر الآية القرآنية ، ويظهر عليه الخشوع عند التلاوة .

و(عن رجل من الأنصار إنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وقال : لأنظرن كيف يصلي النبي صلى الله عليه وسلم قال : فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إستيقظ فرفع رأسه إلى السماء فتلا أربع آيات من سورة آل عمران ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٢) ثم أهوى يده إلى القربة وأخذ مسواكاً فأستن به ثم توضأ ثم صلى ثم نام ثم إستيقظ ، فصنع كصنيعه أول مرة)^(٣) .

الإسراء / حديث متواتر

ينقسم الحديث إلى قسمين :

الأول : الحديث المتواتر ، وهو الذي يرويه جماعة عن جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعصوم بما يمتنع معه التواطئ على الكذب أو حدوث الوهم واختلف في عدد الرواة في كل طبقة من طبقات الرواة وقيل ثلاث ، وقيل أكثر .

والملاك هو وثاقة المتعدد ، ويشترط أن يكون سندهم في الحديث بأن

(١) مفاتيح الغيب ١/١٧٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٠ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٨/٥٤ .

يقولوا رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل كذا أو سمعنا رسول الله يقول كذا .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجود أحاديث متواترة عنه حرص أن يقول وأن يفعل أمامه جماعة من المسلمين سواء في مجلس واحد أو عدة مجالس وحالات ، وهو من مصاديق ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١) بتقريب .

الثاني : حديث الآحاد ، وهو الذي تفرد بروايته راو واحد أو اثنان ، وما لم يبلغ حد التواتر .

ولقد وردت في الإسراء أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر عن جم غفير من الصحابة من المهاجرين والأنصار ، منهم علي بن أبي طالب عليه السلام وعمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وبريدة وحذيفة بن اليمان وصهيب وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد وأبي بن كعب وأبي ذر وأبي الحمراء وأبي الدرداء وعروة وأم سلمة وأم هاني وأسماء بنت أبي بكر كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيانه المتعدد لحديث الإسراء للدلالة على أنه معجزة عظمى ، وفيه دعوة لتوثيقه ، وعناية أجيال المسلمين به .

إن تواتر الحديث لفظاً أو معنى يبين أهمية حديث الإسراء وما فيه من عبر وعظات يجب أن تنتفع منها الإنسانية ولتغدو باب هدى ورحمة وسعي للفوز بدار النعيم (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال يا محمد إقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا

(١) سورة الأنعام ١٤٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٤/٣ .

الله والله واكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).
إنها بشارة مركبة، إذ تدل بالدلالة التضمنية على أن الجنة مستقر
المسلمين، ويمكن جعلها مصداقاً لقوله تعالى ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ...﴾^(٢).

بلوغ سدره المنتهى

في حديث التلبية في الحج "لييك ذا المعارج لبيك" والمعارج جمع معراج
وهو المصعد والمرقى، يقال: عرج يعرج عروجاً: صعد وارتقى، قال تعالى
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾^(٣)، وأخرج عن ابن مسعود قال: لما
أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى به إلى سدره المنتهى وهي
في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها وإليها
ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها.

{ إذ يغشى السدره ما يغشى }^(٤) قال: فراش من ذهب قال: وأعطي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس،
وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته
المقحّمات^(٥).

لقد اختص الله عز وجل النبي محمداً بأرفع منزلة بأن ارتقى إلى شجرة
المنتهى في السماء السادسة، ولم يصل إلى هذا المقام أحد من الأنبياء، وفيه
حجة على الناس بالتصديق برسائله، ودعوة للمسلمين للشكر لله عز وجل
، وهل هو من مصاديق الصلاة والثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) الدر المنثور ٤/١٥٣.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) سورة النجم ١٣ - ١٤.

(٤) سورة النجم ١٦.

(٥) الدر المنثور ٩/٣٢١.

وسلم في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) الجواب نعم .

ولقد كانت لجبرئيل نزلات عديدة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها نزلتان كانتا بصورته الحقيقية وأنه بسط جناحيه وقد ستر الجانب الشرقي وسده ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول جبرئيل عليه أربعاً وعشرين ألف مرة .

واختلف في المرئي في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(٢) والظاهر أنه جبرئيل خصوصاً وإن النزول والصعود من صفات الأجسام والمخلوقات والله منزّه عن الحركة والسكون فالمعنى اللغوي للكلمة قرينة تنفي تعلق الرؤية بالباري تعالى في الإسراء وفي غيره بالإضافة إلى النصوص .
والرؤية عند سدرة المنتهى لأن الظرف يعود للرائي كما يقال: أين رأيته .

(والمنتهى) أي ذروة العلم والمعرفة التي تبلغها الخلائق فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفضيله وترجيحه على غيره من الأنبياء ، والوصول إلى شجرة المنتهى درجة تفضيل لا تنال إلا بفضل الله تعالى فهو إرتقاء وصعود في سلم الكمالات ، ووسام عز على جبين كل مسلم ، وعنوان فخر لكل إنسان فقد حل الصعود والإرتقاء محل الهبوط ، وأصبحت الحياة على الأرض قريبة من السماء .

إن قول الله تعالى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾^(٣) منع للتردد والشك والريبة فيقول حديث المعراج ، وتوكيد على توظيف البصر والبصيرة في الإسراء .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يغش عليه

(١) سورة الأحزاب ٥٦ .

(٢) سورة النجم ١٣ .

(٣) سورة النجم ١٧ .

كما أصاب موسى عليه السلام الصعقة، وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يلتفت ولم يطلب شيئاً وراء السدرة وهو الأمر الذي يؤكد قوله تعالى ﴿وَمَا طَفَى﴾^(١) ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تزكيته وبيان أهليته للمعراج.

تجليات المعراج

قال تعالى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^(٢) وعن (ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما واحدة فإنه سأل أن يراه في صورته فأراه صورته فسد الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله { وهو بالأفق الأعلى لقد رأى من آيات ربه الكبرى } قال : خلق جبريل^(٣).

وجاءت الآية أعلاه بصيغة الجمع في الآيات، وأنها الكبرى فلا بد أنها متعددة وكثيرة، ويمكن جمع عدد منها من التنزيل والسنة النبوية في المقام. ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكره لحديث الإسراء من جهات :

الأولى : ليلة الإسراء وبمحضر من رؤساء قريش أو أيام وجود النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة .

الثانية : بعد هجرته إلى المدينة .

الثالثة : ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإسراء على المنبر .

الرابعة : في تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن .

الخامسة : بلحاظ الوقائع والأحداث أو عندما يسأله بعض المسلمين أو

غيرهم .

السادسة : ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإسراء والمعراج ابتداء

(١) سورة النجم ١٧.

(٢) سورة النجم ١٨.

(٣) الدر المنثور ٢١٦/٩.

بمحضور عدد من الصحابة .

فتلك الرؤية مقدمة وسبب لتثبيت لواء التوحيد في الأرض وعبرة عن تصديقات وشواهد تؤدي إلى صلاح الأمة .
وهي نكتة ووجه من وجوه الإسراء والمعراج يجب الوقوف عندها وإن لم يشر إليها .

سؤال الأنبياء حقيقة أم مجاز

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سؤاله الأنبياء السابقين مع أنه بينه وبين آخر الرسل وهو عيسى عليه السلام نحو ستمائة سنة ، وفيه إكرام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتفضيل ومعجزة له ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انفراده بتلقي الخطاب والأمر من عند الله بسؤال الأنبياء الذين بعثهم الله قبله مع الفترة ومدة إنقطاع النبوة بين آخر الأنبياء السابقين وهو عيسى عليه السلام وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي قوله تعالى ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(١) ورد عن ابن عباس أنه: "لما أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى المسجد الأقصى بعث الله له آدم وجميع المرسلين من ولده، فاذن جبريل ثم أقام فقال: يا محمد تقدم فصل بهم، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة، قال له جبرئيل عليه السلام: واسأل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا أسأل لأنني لست شاكاً فيه"^(٢).

والآية أعلاه سماوية النزول في مقابل الأرضي منه، وقال الرازي: (فهنا سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأنبياء الذين كانوا قبله ممتنع، فكان المراد منه أنظر في هذه المسألة بعقلك وتدبر فيها بفهمك والله اعلم).

(١) سورة الزخرف ٤٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٤٧٩/١٣ .

ولكن سؤال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء السابقين حقيقة ومعجزة بفضل من عند الله عز وجل ، ومن معاني المعجزة أنها أمر خارق للعادة .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجلي الصلة بين الأجيال السابقة واللاحقة بشخصه الكريم وما رزقه الله عز وجل من المعجزات ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١).

دلائل سؤال الأنبياء

قال الرازي في معنى تأويل قوله تعالى ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾^(٢) : واسأل مؤمني أهل الكتاب أي أهل التوراة والإنجيل فانهم سيخبرونك انه لم يرد في دين أحد من الأنبياء عبادة الأصنام^(٣).

والجواب عليه من وجوه:

الأول: يحمل الكلام العربي على ظاهره ، ولا ينتقل إلى المجاز إلا مع القرينة او تعذر الظاهر، ووردت الآية بسؤال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للرسل والأنبياء السابقين.

الثاني: ورود النصوص التي تدل على حصول اللقاء بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء في الإسراء والمعراج ، وعليه الإجماع المترشح عن الكتاب والسنة .

الثالث: هناك قاعدة قرآنية وهي أن الآية قد يكون صدرها في شيء ووسطها في شيء وآخرها في شيء وأمر آخر.

فسؤاله صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء أعم من نفي الشرك،

(١) سورة النساء ١١٣.

(٢) سورة الزخرف ٤٥.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٧/٢١٦.

خصوصاً وأنه على يقين من ربه.

الرابع: السؤال مناسبة كريمة للإخبار عن أحوال الدنيا والحساب في عالم البرزخ.

الخامس: أراد الله عز وجل بيان منافع عظيمة من الإسراء، ومنها إخبار الأنبياء للمسلمين بواسطة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن عالم الآخرة، والمنزلة الرفيعة التي أعدها الله لهم.

السادس: لقد بقى سؤال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأنبياء وثيقة وتراثاً عند المسلمين، وهو من المصاديق على أن المسلمين ورثة الأنبياء، وتلك منزلة لم تنلها أمة غيرهم.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إحرازه لعلوم لا تأتي إلا في السماء، ومنها المواعظ من قصص وصبر الأنبياء، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) ومن خصائصه إرتقاء أمته في سلم المعارف الإلهية.

السابع: إنه دليل على كون القرآن ﴿تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢). وفيه الإخبار عن عالم السماء، قال تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣).

وبيان حال المؤمنين بعد الموت وسيلة مباركة لبعث الشوق في نفوسهم للقاء الله.

وفي الآية دلالة على تضمن الإسراء لأمر وأحكام أعم مما شاهده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوقائع والمشاهد لأن السؤال لا ينحصر بحال الإسراء بل هو أعم ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل، وأحوال الناس

(١) سورة يوسف ١١١.

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) سورة الأنعام ٣٨.

والملك وغيرها.

وتدل الآية على خصيصة من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم المباركة بسؤاله وإنفاعه من الأنبياء وما واجههم في دعوتهم إلى الله ، وتكذيب قومهم لهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ كُلَّ الْكَاذِبِ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾^(١) ، وكذا الإستماع لهم في نصائحهم واقوالهم ، نعم ورد قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢).

لقد اقترح موسى ﷺ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يرجع للسؤال بتخفيف الصلاة عن المسلمين لينتفعوا منهم في شؤون الدين والدنيا ، وجاء في الآية التي سبقتها ، ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(٣).

الإرتقاء العلمي في الإسراء

من الإعجاز القرآني إحاطة كلمات القرآن بالعلوم الحديثة إخباراً أو إشارة أو تحريضاً على البحث العلمي والتحقيق ، ومن الآيات ان لا ترى تعارضاً بين القرآن والتطور العلمي الحديث مع ما فيه من المخترعات السريعة المذهلة ولا ينحصر الأمر بعدم التعارض فحسب وإن كان حجة تدل على سماوية القرآن ، فهناك توافق والتقاء بينهما يكون إعلاناً متجدداً. وقد تكون آية اعجازية ترى لها ما يشبهها في بعض الجوانب في هذا الزمان ولكن من غير إعجاز بل بالتحصيل والسعي العلمي والاجتهاد لعدم إجتماع شرائط المعجزة فيها ، فهي في هذا الزمان ليست أمراً خارقاً للعادة أو سالماً عن المعارضة أو مقروناً بالتحدي ، ولكنه مصداق لفضل الله تعالى ، وقوله تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٤) ، والكبرى الكلية وهي ان الله عز

(١) سورة ص ١٤.

(٢) سورة العلق ٥.

(٣) سورة الزخرف ٤٤.

(٤) سورة .

وجل إذا أنزل نعمة فإنه أكرم من أن يرفعها، فتأتي النعمة معجزة وكرامة، ثم يأتي المدد والإعانة الإلهية وما حصل عند الناس من علم مع بقاء المعجزة على حالها لإختلاف الموضوع وتبعية الحكم للموضوع قهراً.

فمن فضل الله تعالى على مريم عليها السلام إحضار فاكهة الصيف لها في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، كما قال تعالى ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

فجاءت الآن الزراعة المغطاة والنقل السريع للفاكهة والخضر والاستمطار الصناعي لزيادة هطول الأمطار ودفع الجفاف، ووسائل الحزن والتجميد الحديثة كفضل نوعي على الناس يستحق الشكر لله تعالى. والكل يعلم انه ليس بمعجزة ولم يؤثر على أصل المعجزة لمريم عليها السلام.

ولم يرق إلى معشارها فان حديث الإسراء معجزة أراد الله عز وجل أن يحصل الناس على شطر منها بالعلم والتحصيل من غير أن يؤثر على أصل الإعجاز في الإسراء، وهو حجة دائمة تحول دون غرور الإنسان وزهوه فالعلوم الآن تنتقل بسرعة وترتقي في الفضاء، وعالم السماء الدنيا ولا يزداد الناس معها إلا إقراراً بالتوحيد والرسالات.

وهذا من الإعجاز المتجدد للقرآن وللآيات التي رزق الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من الإسراء والعروج به في السماء، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ٣٧.

(٢) سورة النجم ١٣-١٦.

قانون الوحي دليل النبوة

الوحي مصدر التكاليف والشرائع، وبه تعرف النبوة، وقيل لولاه لا تقطعت أخبار السماء، أقول: أنه نوع طريق للتبليغ والله واسع كريم، فاذا لم يكن الوحي فإن الله تعالى يختار أنبياءه، ويبلغ الأحكام للناس بكيفيات متعددة، قال تعالى ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنقطاع الوحي عن أهل الأرض بموته، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، فبعد أن أوحى الله عز وجل إلى مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء ابتداءً من آدم عليه السلام توقف وانقطع الوحي حتى يوم القيامة.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقاء القرآن وكأنه وحي للمسلمين والناس جميعاً ليتزودوا منه لأمر الدنيا والآخرة.

وقد ورد بصيغة الجمع ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢) و﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) مع أن نزول القرآن خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن سور القرآن التي أنزلت إليه تم تبليغها كاملة إلى المسلمين وأجيالهم المتعاقبة، وفيه شاهد على سلامة القرآن من التحريف ومن الزيادة والنقصان.

قال الإمام علي عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله وسلم وتجهيزه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء^(٤).

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) سورة الأنبياء ١٠.

(٣) سورة النور ٣٤.

(٤) نهج البلاغة ١٧٠/٢.

حرمة الإحتكار والخمر

الإحتكار هو حبس الطعام إنتظاراً به الغلاء مع حاجة الناس له وهو حرام، ويتحقق الإحتكار في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والدهن وما يحتاج إليه الناس من الطعام.

ولو كان هناك طعام غير هذه الخمسة يحتاج إليه الناس عرفاً فتشملة أدلة الإحتكار، كما في بعض البلدان يكون الغذاء الرئيسي فيها الرز أو الذرة ونحوها.

وفي الخبر عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل قال: اطلعت في النار فرأيت وادياً في جهنم يغلي فقلت: يا مالك لمن هذا؟ فقال لثلاثة: المحتكرين، والمدمنين الخمر، والقوادين^(١).

والظاهر ان هذه الرؤية غير رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنار في الإسراء إنما إخبار من جبرئيل لحالة موجودة لذا ترى الشريعة تؤكد على حرمة كل واحدة من هذه الثلاثة.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إخبار الملائكة له عن أحوال الناس يوم القيامة ، وهو من مصاديق إتصافه بالبشارة والإنذار ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إشاعة الأمن الغذائي ، وقدرة عامة الناس على الحصول على التغذية الكافية خاصة عند حال الجذب والجوع والنكبات .

وقد أختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأحكام زاجرة عن شرب الخمر ، وبيان اضراره ، وقد قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣) .

(١) الوسائل ٤١٢/١٧ عن كتاب ورام بن أبي فراس.

(٢) سورة الإسراء ١٠٥.

(٣) سورة المائدة ٩٠.

ووردت النصوص المتواترة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما يفيد حرمة الخمر واللعة على شاربيها.

(و) عن جابر بن عبد الله أن رجلاً قدم من اليمن ، فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يسكر هو؟ قالوا : نعم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل مسكر حرام ، إن الله عهد لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال .

قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال؟

قال : عرق أهل النار ، أو عصارة أهل النار^(١).

ومن خصائص محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكره المحرمات على نحو التفصيل ، تلك التي تتنافى والأخلاق الحميدة ، ومن المحرمات القيادة بين ذكر وأنثى على الفجور والزنا ، وما يكتسب من المال بسببها سحت ، وهو من التعاون على الإثم والعدوان ، وهو فاحشة ومقدمة للفواحش ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢).

والمحتكر يجبر من قبل الحاكم على البيع ، ولا يعين له السعر ، بل يكفي إخراج بضاعته إلى السوق وله ان يبيع بما شاء ، نعم لو أجحف يجبر على تخفيض السعر من دون تسعير عليه.

ويصدق عنوان الإحتكار في الخصب بمرور أربعين يوماً على حاجة الناس للطعام مع وجوده عند المحتكر ، أما في الشدة والغلاء فثلاثة أيام ، وقد تختلف المدة بحسب الحاجة فتكون في مراتب القحط والإبتلاء ساعات معدودات.

وقد جاءت الأخبار بالنهي عن الإحتكار ، وبذل أولو الأمر وأهل الحل

(١) الدر المنثور ٣/٤٦٧.

(٢) سورة الإسراء ٣٢.

والعقد في العالم الإسلامي الوسع في الحد منه واجتناب مقدماته.

النهي عن صوم الصمت

من علامات الحقيقة التبادر ، وعليه الإجماع وهو أظهر علاماتها إذا انسب المعنى إلى الذهن من اللفظ حال النطق به .

لأن المجاز يتخلف رتبة عن الحقيقة ، فلا يتبادر إلى الذهن إلا بالعلاقة بين الحقيقة والمجاز والقرينة الصارفة إلى المجاز ، بالإضافة إلى الإطراد ، وهو صحة استعمال اللفظ في المعنى المشكوك كونه حقيقة بجميع أفرادهِ ومصاديقه الطولية المتكررة في الخارج ، فلو شككنا في فرد من أفراد الصيام هل هو صيام فإذا كان شاملاً للإمساك ساعات النهار من جميع المفطرات مع النية والقصد فهو صيام.

أما إذا جعل السكوت عن الكلام أو الصيام إلى الزوال صياماً ، فانه فرد مشكوك ولا يصدق على جميع أفرادهِ العرضية والطولية فهو يطلق عليه صيام من باب المجاز.

وقد ورد في مريم ابنة عمران عليها السلام ، قوله تعالى ﴿إِنِّي نَذَرْتُ

لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾^(١) ، وفيه معنيان:

الأول: إرادة الصمت والإمساك عن الكلام.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود صمتاً بدل صوماً.

الثاني: المراد الصيام عن الأكل والشرب ، إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم.

(وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته)^(٢).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التخفيف عن أجيال المسلمين بخصوص أنواع عبادات الأمم السابقة ، إذ أكد النبي صلى

(١) سورة مريم ٢٦.

(٢) الكشف ٥٠٧/٢.

الله عليه وآله وسلم حصر القرآن وجوب الصيام بالإمساك عن الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان دون غيره من أيام السنة ، قال تعالى ﴿وَأَشْرُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(١).

وانتفاء أي نوع آخر من أنواع الصيام ، ومنه صيام الصمت ، والذي يسمى أيضاً صوم السكون بان لا يتحدث الصائم اثناء ساعات النهار ، أو شطر منه تقريباً إلى الله عز وجل ، وإجماع علماء الإسلام على حرمة صوم الصمت .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نسخ بعض السنن التي في الملل السابقة ، وبما فيه التخفيف عن المسلمين وعن أهل الكتاب ، وهو من مصاديق صيغة العموم في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) .

إياك والقوارير

من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن سنته القولية والعملية مدرسة وكذا أمثاله في الاستعارة والكناية ، ومن خصائصه حاجة أرباب الفن والعلم إلى القرآن والسنة النبوية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم في النساء : إياك والقوارير.

وعن (أنس بن مالك يقول : كان البراء بن مالك رجلاً حسن الصوت ، فكان يرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، فبينما هو يرجز إذ قارب النساء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياك والقوارير)^(٣).

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) المستدرک للحاکم ١٨٦/١٢ .

كره النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماع النساء صوته ، فقد يكون مادة للإفتتان.

والقوارير جمع قارورة وهي وعاء من زجاج تحفظ فيه السوائل ، وفي بلقيس ملكة اليمن حين قدومها على سليمان ، قال تعالى ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾^(١). وترمز القارورة للمرأة للضعف خاطرها ، وإنكسارها وسرعة تأثرها. وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (إن المرأة خلقت من ضلع ، فإن ذهب تقيمها كسرتها)^(٢).

شهادة العقل على تحقق الإسراء

لقد جعل الله عز وجل العقل رسولا دائما ، وهو يلح بقبول الإسراء بالجسد للكبرى ، وهي أن القرآن كتاب نازل من عند الله تعالى وأنه حق ، والصغرى وهي أن القرآن جاء بالإسراء ببيان واضح يدل في الظاهر على حصوله بالجسد بالإضافة الى النصوص التي تدل ضمن سياقها ومضامينها على حصوله بالجسد والتقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأنبياء الآخرين ، قال تعالى ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(٣).

واستدل بعضهم في موضوع الإسراء وانه بالروح باستبعاد وصعود الجسم الكثيف وأن صعود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجسمه ممتنع عقلا ، ويناقش من وجوه:

الأول : الملازمة بين حكم الشرع وحكم العقل ، وإذا كانت هذه الملازمة مأخوذة من دليل عقلي فهي ملازمة عقلية ، وفي علم الأصول مباحث

(١) سورة النمل ٤٤.

(٢) المحرر الوجيز ٦٧/٢ .

(٣) سورة الزخرف ٤٥.

مستقلة لها تثبت الكبريات العقلية التي ترد في مقدمات الحكم الشرعي وإثباته.

الثاني : العقل لا يمتنع عن قبول صعود الجسم الكثيف لأن الصعود والإسراء لم يحصل بالأسباب العادية بل بالإعجاز والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم من المعارضة، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشريف أن الإسراء بيدنه وروحه معجزة تدخل ضمن التصديق العقلي، وليس للعقل إلا التسليم بالتنزيل، وهذا التسليم من التكليف، ومن الشكر لله على نعمة العقل والإسراء، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

الثالث : أظهر الارتقاء العلمي في هذا الزمان إمكان صعود الجسم الكثيف في الفضاء وانه غير ممتنع عقلاً مع تحقق أسبابه المادية. وبذا يكون التطور التقني عوناً على إثبات الحقائق القرآنية، وفضحاً لأولئك الذين أشكلوا على علوم القرآن، وهذا وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهذه الحقائق مقدمة وطريق يفتح آفاق العلم، وتتمثل صيغ الإشكال التي ذكرها بعضهم بثلاثة وجوه:

الأول : صعود الجرم الثقيل إلى السماوات غير معقول.

الثاني : الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد غير معقولة.

الثالث : الصعود إلى السماوات يوجب انخراق الأفلاك.

وبالنسبة للأول والثاني فإن العلم الحديث هو أدنى بمراتب من الإعجاز أمس واليوم وغداً، وموضوع مستقل يختلف عن الإعجاز الذي له مميزات خارقة لعقول البشر ويأتي بلحاظ العلم الحديث أيضاً فقد صعدت الطائرات والمركبات الفضائية في عالم السماء.

إن صعود أهل العلوم الحديثة في طبقات السماء وإلى الكواكب لا يصل بهم الا حيث يأذن الله، إذ يتوقف العلم وقدرة البشر عن حل مخصوص

بخلاف إرتقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السماوات العلى .
أما الثالث فإن السماء والكواكب مخلوقات مستجيبة لأمر الله تعالى ،
وفي التنزيل ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١).

إسراء سليمان

لقد سخر الله عز وجل لسليمان الرياح لتقلعه إلى الأماكن البعيدة في
ساعات قليلة ، وعندما تشتد تنتقل به إلى حيث يريد في لحظات معدودات .
ولقد أحضر وزيره آصف بن برخيا بما آتاه الله من علم عرش ملكة سبأ
من اليمن إلى بلاد الشام بأقل من لمح البصر سواء بطي الأرض او بخسف
الأرض بينه وبين سرير بلقيس فتناوله بيده ثم عادت الأرض كما كانت
أسرع من طرفة عين كما في الخبر، أو أنه مد بصره ثم مد يده فاذا هو ممثّل
بين يديه وقال بيده هكذا فاذا هو بعرش أميرة سبأ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ
مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
مِنْ فَضْلِ رَبِّي ... ﴾^(٢).

ولم يكن سليمان عليه السلام يعجز عن إحضاره بنفسه وبدون الإستعانة
بآصف وغيره، ولكنه أراد أن يري جنوده العلوم التي عند آصف لكي
يدركوا أنه الحجة من بعده لتبقى كلمة التوحيد وسيادتها، ولنزع الفرقة
والإنشقاق كما بين داود عليه السلام إمامة سليمان لبني إسرائيل.
ولم يكن عند آصف الا حرفاً واحداً من الاسم الأعظم فتكلم به
وأحضر العرش.

وعند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اثنان وسبعون حرفاً منه،

(١) سورة فصلت ١١.

(٢) سورة النمل ٤٠.

وتجد شواهد هذا في القرآن فالآية الكريمة تقول ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنْ الْكِتَابِ﴾^(١) بينما قال تعالى في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢)، وفي بعض الروايات انه الإمام علي عليه السلام.

لقد تولى سليمان الحكيم في بني إسرائيل بعد وفاة داود عليه السلام ، وقيل كان عمره حينئذ ثلاث عشرة سنة ، وآتاه الله النبوة والملك ، وسخر الله له الإنس والجن والطير والشياطين والريح ، قال تعالى ﴿وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَهِ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾^(٣).

إذ كان يأمر الريح فتوجه إلى إحدى الجهات الأربعة بأمره ، وصاحبه هذه المعجزة مدة حياته .

وقد خص الله عز وجل النبي محمداً بالوحي الذي صاحبه مدة أيام نبوته ، ونزول آيات القرآن وطاعة أهل البيت والصحابة وأجيال المسلمين المتعاقبة له ، قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(٤).

واختص النبي محمد بالإسراء والمعراج في طبقات السماوات واللقاء بالأنبياء السابقين .

ويشير القرآن إلى معراج مستمر للسيد المسيح ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

(١) سورة النمل ٤٠.

(٢) سورة الرعد ٤٣.

(٣) سورة الأنبياء ٨١.

(٤) سورة النساء ٨٠.

وَكُنْ شَبَبَهُمْ^(١) ، وتقول المسيحية بقيامة المسيح بعد مضي ثلاثة أيام وفاته كما في إنجيل مرقس وإنجيل لوقا.

اليوم في القرآن

ورد لفظ يوم في القرآن (٤٧٢) مرة بما يدل على فرد من أفراد الزمان منها ما يخص الحياة الدنيا ، ومنها ما يخص الآخرة منها .

❖ يوم الفرقان ، الذي نزل بخصوص معركة بدر ، قال تعالى ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْأَجْعَانِ﴾^(٢) ، وفيه إكرام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشهادة من الله على دفاعه وأصحابه عن بيضة الإسلام.

❖ يوم الحج الأكبر ، وهو العاشر من شهر ذي الحجة ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضبطه وأتمه أداء الشعائر المكانية والزمانية والفعلية الخاصة بيوم الحج الأكبر ومناسك الحج إلى يوم القيامة .

❖ يوم الزينة وهو عيد يجتمع فيه فرعون وقومه آل فرعون .

❖ يوم الظلة ، قال تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) إذ اجتهد النبي شعيب عليه السلام في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده وإنذارهم من سوء عاقبة المعاصي من نقصهم المكيال والميزان ، وقطع الطريق على الناس ، وإصرارهم على الكفر والجحود ، فنزل بهم عذاب يوم الظلة ، والظلة سحابة أظلتهم فلما تغشتهم صارت عليهم ناراً فأهلكتهم ، إذ أزهقت أرواحهم برجفة وصيحة أخرجت القلوب من ضاجرها ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾^(٤).

(١) سورة النساء ١٥٧.

(٢) سورة الأنفال ٤١.

(٣) سورة الشعراء ١٨٩.

(٤) سورة الأعراف ٧٨.

ليان أن من خصائص النبي محمد رحمة الله عز وجل بالناس بيعته إذ أمهل الله عز وجل قريشاً مع شدة عتوهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه مع محاربة المشركين له ، فانه كان يدعو الله لهدايتهم ، وفيه صرف للعذاب عنهم ، إلى أن تم فتح مكة ، فلم يتخلف عن دخول الإسلام إلا أفراد قلائل ضاقت بهم السبل .

❖ يوم الفتح ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾^(١) ، ومن معانيه يوم فتح مكة ، ويوم القيامة لإنذار الذين كفروا من العذاب في النشأتين .

ويطلق يوم الفتح على فتح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، لبيان ما خصه الله عز وجل من الفتح ، وقهر الشرك ، وهدم الأصنام إلى يوم القيامة إذ دخل مكة ومعه عشرة آلاف من أصحابه لتبدأ صفحة ايمان مشرقة في حياة الإنسانية .

❖ يوم الوقت المعلوم .

❖ يوم الأحزاب .

❖ يوم التناد .

❖ يوم الجمعة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إكرام الله عز وجل له ولأمته بيوم الجمعة ، وجعله عيداً لهم ، ومناسبة لصلاة مخصوصة ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

(١) سورة السجدة ٢٩ .

(٢) سورة الجمعة ٩ .

ولم يذكر أحد أيام الأسبوع بصفة يوم إلا (يوم الجمعة) نعم ذكر السبت خمس مرات من غير أن يضاف له لفظ يوم ، وورد أكثرها بصيغة اللوم والإنذار للذين اعتدوا في السبت ، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(١).

❖ يوم التقى الجمعان ، وهو يوم معركة بدر في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وكذا يوم معركة أحد في النصف من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

لييان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ملاقاته أشد الأذى من المشركين بقتاله في الميدان.

ولم تذكر الآية النبي صلى الله عليه وآله وسلم على نحو الخصوص إنما ذكرت الجمعين ، جمع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وجمع المشركين للثناء على أهل البيت والصحابة الذين قاتلوا مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولتوثيق فرار عدد من الصحابة من الميدان يوم معركة أحد ، مع عفو الله عز وجل عنهم برحمته وحلمه ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثباته في الميدان ، وإتعاظ أصحابه من ثباته في معركة أحد ، ليصبروا في المعارك الدفاعية اللاحقة ومنها معركة حنين حيث فاجأت جيوش هوازن وثقيف المسلمين في الوادي عند خروجهم من مكة بعد الفتح.

(١) سورة النساء ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران ١٥٥.

فانهزمت الطلائع الأولى للمسلمين ، وأنكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن خصائصه سلامته من القتل حتى مع إنكشافه للمشركين مع قلة من أهل البيت والصحابة إلى أن عاد أكثرهم ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الآن حمى الوطيس)^(١). والوطيس شدة المجادلة والمسايفة ، كأنه مثل شدة لهيب النار .

❖ يوم عصيب .

❖ أيام معلومات ، قال تعالى ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾^(٢).

اليوم بمعنى الحين

يأتي اليوم بمعنى (الحين) والأوان كما في قوله تعالى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٣).

ومنه ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾^(٤).

﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾^(٥).

﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾^(٦).

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾^(٧).

(١) البحار ١٩/١٩١.

(٢) سورة الحج ٢٨.

(٣) سورة مريم ١٥.

(٤) سورة النحل ٨٠.

(٥) سورة الأنعام ١٤١.

(٦) سورة الروم ٤-٥.

(٧) سورة الأنعام ١٥٨.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾^(١).

﴿وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٢).

وأكثر ذكر يوم في القرآن ورود مضافاً إلى القيامة (يوم القيامة) إذ ورد سبعين مرة في القرآن ، وسميت باسم (القيامة) سورة من القرآن هي سورة القيامة التي تبدأ بقوله ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَبْجَعَ عَظَامَهُ﴾^(٣).

ثم وروده بالإضافة إلى ذات المعنى ولكن بالفاظ أخرى مثل : يوم الدين ، يوم الحسرة ، يوم البعث كما في قوله تعالى ﴿قَدْ بَشِّرْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ وَلَكِنِّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

ويوم الفصل ، يوم الحساب ، اليوم الآخر .

رؤيا النبي من شواهد القرآن

ومن مصاديق ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥)، وجوه :

الأول : قانون رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعبة من الوحي.

الثاني : تأويل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لرؤياه والإلتعاض

منه .

(١) سورة الجاثية ١٤.

(٢) سورة إبراهيم ٥.

(٣) سورة القيامة ١-٣.

(٤) سورة الروم ٥٦.

(٥) سورة الحشر ٧.

الثالث : تأويل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لرؤى المسلمين والمسلمات ، لذا كان يحرص على سؤال أصحابه بعد صلاة الصبح هل رأى أحد منهم رؤيا .

وذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا)^(١).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ترغيب المسلمين بذكر الرؤيا وتعبيرها.

وفي الرؤيا الصادقة وجوه :

الأول : إنها من مصاديق قوله تعالى بخصوص آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(٢) ، مع موضوعية الروح في خلق الناس كافة .

الثاني : إنها نعمة من علم الغيب ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ، في باب الرؤيا مسائل :

الأولى : عجز الخلائق عن إحصاء الرؤى التي رآها ويراها الناس .
الثانية : لا يميز ويفصل في إحصاء الرؤى الصادقة عن غيرها إلا الله عز وجل .

الثالثة : ذات عالم الرؤيا نعمة عظيمة تستلزم الشكر من العباد ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿لَنْ شُكِرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٤) ، الزيادة في رؤيا البشارة والإنذار والهداية الخاصة والعامة للعمل بمضامينها ، والتوقي من شرور رؤيا الإنذار .

الثالث : الرؤيا الصادقة آية في بديع خلق الإنسان .

(١) صحيح مسلم ٧٨١/٤ .

(٢) سورة السجدة ٩ .

(٣) سورة النحل ١٨ .

(٤) سورة إبراهيم ٧ .

الرابع : بيان بأن حال نوم الإنسان ليس سكوناً تاماً ، إنما فيه البشارة والإنذار.

الخامس : النوم مناسبة للاحتراز والتوبة والسعي والكسب ومنع اليأس والقنوط ، قال تعالى ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

لماذا يقوم النبي (ص) بتأويل رؤياه

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا الوحي ، إذ تأتي رؤياه كفلق الصبح في المطابقة بين الرؤيا وحدث مصداقها في الواقع ، وحينما يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رؤياه فانه يقوم بتأويلها بنفسه ، وفيه وجوه :

الأول : بيان معاني الوحي .

الثاني : منع الاختلاف في تأويل رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : عدم تضييع نعمة رؤيا الوحي .

الرابع : التأكيد على الشأن الرفيع لرؤيا الوحي .

الخامس : الإنتفاع العام الأمثل من رؤيا الوحي .

السادس : تنمية ملكة العناية بالرؤيا الصادقة عند المسلمين .

السابع : فقاهاة وفهم المسلمين لرموز الرؤيا .

الثامن : دعوة الناس للجوء للعالم والفقهاء في تأويل الرؤيا .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى يوماً (أنه وأصحابه في دار عقبة بن رافع فأتوا برطب من رطب ابن طاب فأولاه بأن لهم الرفعة في الدنيا ، والعاقبة في الآخرة وأن الدين الذي قد اختاره الله لهم قد أرطب وطاب)^(٢).

(١) سورة يوسف ٨٧.

(٢) زاد المعاد ٣/٣٠٧.

لقد كانت الرؤيا التي يراها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي وهو من خصائص رسالته ، ولكن ليس كل رؤيا يراها النبي وحياً فقد تكون رؤيا صالحة وهي مع حسنها أدنى مرتبة من الوحي .

وقد تأتي رؤيا البشارة ، ورؤيا الإنذار ، فيقوم بتأويلها فينتفع منها المسلمون في أجيالهم المتعاقبة ، ليبقى علم الرؤيا ثروة بأيديهم ، تترشح منافعها على الناس جميعاً وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١).

لقد بدأت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرؤيا، فلا يرى رؤيا إلا وجاءت كفلق الصبح ، والنسبة بينها وبين الرؤيا الصادقة عموم وخصوص مطلق ، فالرؤيا الصادقة أعم.

ويمكن أن نطلق عليها اسم رؤيا النبوة ، فمن خصائص النبي محمد أنه يلتقي مع الناس بالرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام ، ولكنه يمتاز عليهم برؤيا النبوة .

وهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بهذا المائز الذي هو من مختصاته ، الجواب نعم ، وهو مقدمة للوحي في اليقظة .

قانون التعبير من السنة النبوية

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه الإمام في تأويل الرؤيا ، والمختار أن تأويله للرؤيا بالوحي وليس عن اجتهاد وتحليل لرموز الرؤيا ، لذا ففي انتقاله إلى الرفيق الأعلى فقد قانون علم تأويل الرؤيا بالوحي ، ولكنه بقي مدرسة بالشواهد التي خلفها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من سنته لذا كان يلتفت لأصحابه بعد صلاة الصبح ، ويسألهم عن رؤاهم .

و(عن عبادة بن الصامت قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) قال : هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له)^(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (أصدقكم رؤيا ، أصدقكم حديثاً)^(٣).

ليبان الجزء العاجل على صدق الحديث ، فالذي يصدق في حديثه ويتجنب الكذب والإفتراء يكرمه الله في الدنيا بالرؤيا الصادقة ذات الدلالات والمعاني وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٤).

فمن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لمدة مديدة اذا ما انتهى من صلاة الصبح التفت الى أصحابه قائلاً: هل من مبشرات وذلك لترسيخ أهمية الرؤيا والانتفاع بها وبتأويلها.

وكانت تلك التربية والتأديب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم طريقة علاجية نفسية من الاسناد الجماعي مثل تلك التي افرزتها التجارب والدراسات من طرق علاج جماعية حديثة مثل (جماعة التلاقي).

وتمضي ايام يسأل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه صباح كل يوم منها هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا فيقصوا رؤاهم عليه فيعبرها لهم ثم سألهم أياماً فلم يقص عليه أحد منهم رؤيا، فقال كيف ترون وفي أظفاركم الرفع^(٥).

(١) سورة يونس ٦٤.

(٢) تفسير الطبري ١٣٦/١٥ .

(٣) ابن عادل / تفسير اللباب ٢٠٩/٩ .

(٤) سورة البقرة ٢٠١.

(٥) الرفع: وسخ الظفر وما بين الاظفر والظفر منه. وكل موضع اجتمع فيه الوسخ فهو رفع وجمعه ارفاغ.

وذلك ان أظفارهم قد طالت وتعلق بها درن ووسخ ما يحك من مواضعه في البدن كما ان تقليمها من الفطرة لبيان وجوب توفر عناصر ومقدمات الرؤيا التي تبدو سهلة وضرورية عند اجراء دراسة وعرض لمنافع الرؤيا واشاراتها.

وفي سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه عن رؤاهم مسائل:
الأولى : إنها مدرسة تأديبية .

الثانية : إنها سنة نبوية ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَىٰ * أَذْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) ، وسنة كريمة.

الثالثة : فيها تنبيه على موضوعية الرؤيا .

الرابعة : لزوم العناية العامة بالرؤيا وتلمس تأويلها .

الخامسة : التدبر بما في البشارة والإنذار ، فقد تكون هي او تأويلها او هما معاً سبباً للهداية والرشاد والنفع الخاص أو العام .

السادسة : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوة العلماء للإنصات لمسائل ورؤى الناس من غير ضجر وملل ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى يا رسول الله فقال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يأمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه)^(٣).

(١) سورة النجم ٣.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) عوالي اللآلي ٢٢/٤ .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم الإكتفاء بسؤال الصحابة عن رؤاهم ، إنما كان يقوم بتعبيرها وتأويلها ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) الجواب نعم.

مقدمات الرسالة

تتعدد البشارة بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الماهية والأثر وتسخير الأسباب لنصرة النبوة ، ومن لطف الله عز وجل في خصائص النبي محمد في باب مقدمات النبوة أمور :

الأول : سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حين ولادته وحضاته في أيام قحط وجذب إذ ازدهرت ربوع بني سعد حينما حلّ رضيعاً بين ظهرائهم.

الثاني : سلامة النسب ، وشرف ورفعة البيت الذي ينتمي إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين العرب عامة وقريش خاصة.

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير العرب مضر ، وخير مضر بنو عبد مناف ، وخير بني عبد مناف بنو هاشم ، وخير بنو هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق شعبتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما .

وأخرج البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أنس قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية ، وأخرجت من نكاح ولم أخرج

من سفاح من لدن آدم ، حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً^(١).

الثالث : بداية نزول الوحي بجوار البيت الحرام الذي ، قال فيه الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ليكون من خصائص نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته بركة وثناء لأهل الأرض وأموالهم وحسن سمتهم وسبب للهداية، ونزول شأبيب الرحمة عليهم.

الرابع : من خصائص محمد صلى الله عليه وآله وسلم اصغاء الناس له في دعوته إلى الله لما فيها من التدبر في ماهية الدعوة وما يعضدها من المعجزات.

والنسبة بين الإصغاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين دخول الإسلام عموم وخصوص مطلق ، فالإصغاء أعم ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استماع المسلم والكتابي ، والكافر لآيات القرآن ، ودعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإسلام .

ليزداد المسلم إيماناً ، ويدرك الكتابي موافقة دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لرسالات الأنبياء السابقين والذين جاءوا بالبشارة به .

أما الكافر فانه باصغائه واستماعه لرسول الله إما أن يهتدي أو يقوم بنقل ما سمعه من النبي لغيره فينتفع منه .

(١) الدر المنثور ١٩٧/٥ .

(٢) سورة آل عمران ٩٦ .

قانون الحاجة العامة للرسالة الخاتمة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته لطف ورحمة من عند الله بالناس ، فحينما عبد رجالات قریش الأصنام لم ينتقم منهم الله ، ولم ينزل عليهم العذاب كما في أمم سابقة مثل قوم صالح وقوم لوط بعد إنذار الأنبياء لهم ، وفي قوم عاد في الأحقاف بعث الله عز وجل عليهم ريحاً عاتية ﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِيهِمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسائل :

الأولى : تفضل الله عز وجل بتهيئة مقدمات رسالته .

الثانية : إزاحة الله عز وجل الموانع دون وصول آيات القرآن للناس عامة.

الثالثة : تجلي حاجة الناس لرسالته.

الرابعة : ظهور علامات كونية واجتماعية تدل على حلول وقتها.

وهو من خصائص بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ، وأسباب ميل الناس إلى التصديق بالمعجزات التي جاء بها ، ومن هذه المقدمات :

الأول : حاجة أهل مكة والناس إلى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢).

الثاني : الإنحراف والتبديل والتشويه الذي طرأ على الحنيفية الإبراهيمية.

الثالث : امتناع وعزوف العرب عن الديانة اليهودية والنصرانية خصوصاً وأنها جاءتا في بني إسرائيل .

(١) سورة الأحقاف ٢٥.

(٢) سورة .

الرابع : طرو التحريف من قبل المشركين على مناسك الحج التي جاء بها إبراهيم عليه السلام .

وقد أبى الله عز وجل إلا أن تبقى سالمة إلى يوم القيامة وشاء الله أن تنحصر هذه السلامة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وترشح المنافع العامة من رسالته المباركة ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان عقيدة التوحيد والأحكام الشرعية بما منع سلطان الاختلاف بين أهل الملل والنحل على النفوس ، كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَلُونِ الْكِتَابِ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾^(٢).

ومن خصائصه شيوع بشارات الأنبياء السابقين ، والكتب السابقة برسائله ومصادق هذه البشارات بحلول أوانها.

بشارة ولادة الحسين (ع)

قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٣).

(عن جابر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾^(٤) قال : ما سألتني عنها أحد : هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، وفي الآخرة الجنة)^(٥).

(١) سورة الأحزاب ٤٥.

(٢) سورة البقرة ١١٣.

(٣) سورة يونس ٤٦.

(٤) سورة يونس ٦٣-٦٤.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً يسأل أصحابه بعد صلاة الصبح هل رأى أحد منكم من رؤيا ، ليأدر إلى تأويل الرؤيا في جزء من رسالته وهو المبعوث ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

لتنمية ملكة العناية بالرؤيا والانتفاع من تأويلها بشارة كانت أو إنذاراً لتكون عنايته بالرؤيا تعبيراً وتفسيراً وترجمة لنزول آيات قرآنية خاصة بالرؤيا ابتداء من رؤيا إبراهيم بذبح ابنه لولا صرف الله عز وجل الذبح بفداء بكبش ، قال تعالى ﴿وَدَيْتَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) ، أي خروف كبير .

وعدد الرؤى في القرآن سبعة ، وأفردت لإحصائها باباً في الجزء الثاني من كتابي الموسوم (فلسفة الرؤيا في الإسلام) وذكرت آيات عديدة أخرى تتصل بها بخصوص تأويلها وأثرها ونفعها .
ومن آخر ما كتبت في الكتاب أعلاه :

الأول : قانون الرؤيا الصادقة شعبة من الخلافة في الأرض .

الثاني : قانون الرؤيا الصادقة من نفخ الروح في آدم .

ورأت أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : رأيت رؤيا أعظمها أن أذكرها لك ، أي أن الرؤيا هالتها وأفزعها وخشيت من روايتها للنبي كيلا تحزنه .

فقال : اذكرها ، لبيان عدم إخفاء الرؤيا ذات الاعتبار والإعطاء ، وللدلالة على دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدم التفريط بالرؤيا سواء كانت رؤيا بشارة أو إنذار ، وإن كان ظاهر كلام أم الفضل أنها رؤيا إنذار .

فقالت رأيت كأن بضعة منك قطعت فوضعت في حجري .

(١) الدر المنثور ٥/ ٢٥٢ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة الصافات ١٠٧ .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن فاطمة حبلى تلد غلاماً أسميه حسيناً وتضعيه في حجرى .

ليكون تحديده لجنس المولود من الوحي ، وهذه النعمة الخاصة ببيت النبوة صارت عامة للناس في هذا الزمان بالإرتقاء الطبي وكشف المختبر والسونار في هذا الزمان ، لأن الله عز وجل إذا أنعم على أهل الأرض بنعمة فانه أكرم من أن يرفعها .

ولبيان البون الشاسع بين خشية أم الفضل من الرؤيا وبين تأويل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها وهو من قانون انقياد تفسير الرؤيا بالضد للوحي ، ليشرق على الأرض نور ولادة الحسين في الثالث من شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة ، وشاء الله أن يشع بريق صبره وجهاده ما بين المشرق والمغرب .

قالت أم الفضل : فولدت فاطمة حسيناً فكان في حجري أريبه . وهكذا ساهم تأويل الرؤيا في ترسيخ الإيمان وتوكيد صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجمعه وحيازته للعلوم والمعارف والكمالات بقسميها الكسبي والهبة فضلاً من الله ورحمة وحجة ودعوة للإيمان .

وقالت أم الفضل (فدخلت به يوماً على النبي فوضعت في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم حانت مني التفاتة ، فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدموع ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لك ، قال : أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمتي تقتل ابني هذا وأتاني بترية حمراء من تربته) ^(١) .

وقالت أم الفضل (فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي يوماً وحسين معي فأخذه يلعبه ساعة ثم ذرفت عيناه فقلت ما يبكيك قال هذا جبريل يخبرني أن أمتي تقتل ابني هذا) ^(٢) .

(١) البحار ٢٣٩/٤٤ .

(٢) تاريخ دمشق ١٩٦/١٤ .

عن أم سلمة قالت : بينا رسول الله ذات يوم جالسا والحسين جالس في حجره إذ هملت عيناه بالدموع ، فقلت له يا رسول الله ما لي أراك تبكي جعلت فداك ؟ قال: جاءني جبرئيل فعزاني بابني الحسين وأخبرني أن طائفة من أمتي تقتله ، لا أنالها الله شفاعتي.

قانون النجاة من القتل بالمعجزة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نجاته من محاولات الاغتيال والقتل مع اجتماع مقدماته ، لبيان معجزة حسية متعددة له ، لأن هذه النجاة والسلامة من القتل تمت بالمعجزة.

ومن خصائصه دخول الذي يريد قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام من ساعته ، ومن خصائص النبي محمد قبول إسلامه ، وأمره إلى أصحابه بتعليمه أحكام الإسلام مع التفقه في الدين وتلاوة آيات القرآن. ولما جاء عمير بن وهب من مكة بعد معركة بدر بقصد قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسيف مسموم بتحريض من صفوان بن أمية. وعمير بن وهب من شياطين قريش ، اشترك هو وابنه بمعركة بدر ، ووقع ابنه في الأسر بيد المسلمين فلما دخل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة أخبره النبي محمد وبالوحي بما اتفق عليه هو وصفوان من أرادة قتله .

فقال عمير (أشهد أنك رسول الله قد كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكْذِبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَهُوْا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ . وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ فَفَعَلُوا)^(١).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١٢/٦٦٣ .

وفي معركة أحد أقبل أبي بن خلف وهو من رؤساء قريش مقنعا بالحديد نحو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو (لَا نَجَوْتَ إِن نَجَا مُحَمَّدٌ وَكَانَ حَلْفَ بَمَكَّةَ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ فَقَتَلَ مُضْعَبٌ وَأَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَرْقُوةَ أَبِي بَنِ خَلْفٍ مِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الدَّرْعِ وَالْبَيْضَةِ فَطَعَنَهُ بِحَرْبَتِهِ فَوَقَعَ عَنْ فَرَسِهِ فَاحْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ يَخُورُ خَوَارِ الثَّوَرِ .

فَقَالُوا : مَا أَجْزَعَكَ ؟ إِنَّمَا هُوَ خَدَشٌ فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَنَا أَقْتَلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَاتَ بِرَابِغٍ .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : إِنِّي لَأَسِيرُ بَيْطُنِ رَابِغٍ بَعْدَ هَوْيٍ مِنَ اللَّيْلِ إِذَا نَارٌ تَأَجَّجُ لِي فَيَمْتَمُهَا وَإِذَا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا فِي سِلْسَلَةٍ يَجْتَذِبُهَا يَصِيحُ الْعَطَشَ وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ لَا تَسْقِهِ هَذَا قَتِيلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَبِي بَنِ خَلْفٍ^(١) .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجلي الشواهد من عذاب البرزخ للذي آذى وحارب النبي محمداً وسعى في قتله ، إذ ظهرت آية للناس .

وأبي بن خلف الجمحي من رؤساء قريش ، ومن أكثر الكفار إيذاءً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من الرهط الذين أرادوا قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة الهجرة .

وعن ابن عباس أن أبي بن خلف قال (والله لا قتلن محمداً فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فافزعه ذلك ف وقعت في نفسه لأنهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قولاً إلا كان حقاً ، فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليحمل عليه .

(١) زاد المعاد ٣/ ١٨٠ .

فيحول رجل من المسلمين بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينه . فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه : خلفوا عنه فأخذ الحربة فرماه بها ، ف وقعت ترقوته .

فلم يخرج منه كبير دم واحتقن الدم في جوفه ، فخار كما يخور الثور فأتى أصحابه حتى احتملوه وهو يخور وقالوا : ما هذا فوالله ما بك إلا خدش فقال : والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني أليس قد قال : أنا أقتله ، والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم .

قال : فما لبث إلا يوماً أو نحو ذلك حتى مات إلى النار ، وأنزل الله فيه ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾^(١) إلى قوله ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(٢) (٣) .

ولم يقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيده أحد غيره ، ولم يقتله إلا دفاعاً عن النفس بعد أن أصر على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يضربه بالسيف ، إنما خدشه خدشة ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٤) .

أم أن القدر المتيقن من الآية أعلاه هو الرمي بالحصى والسهم ، الجواب هو الأول .

وعن سعيد بن المسيب أنه في قتل أبي بن خلف نزلت الآية أعلاه ، ولكن المشهور والمختار نزول الآية أعلاه في معركة بدر وانبساط نفعها على معارك الإسلام الأولى .

البرزخ في السنة النبوية

(١) سورة الفرقان ٢٧ .

(٢) سورة الفرقان ٢٩ .

(٣) الدر المنثور ٣٤٧/٧ .

(٤) سورة الأنفال ١٧ .

قد تنكشف صورة وفرد من عذاب البرزخ لبعض الصحابة ، وأهل البيت والأتقياء ، ليكون موعظة وعبرة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١) نعم قد تنكشف لغيرهم أيضاً بفضل من الله عز وجل لأنه سبحانه جعل الدنيا دار الموعظة ، والعبرة ، والبشارة ، والإنذار.

وقد نزلت آيات القرآن ببيان عذاب البرزخ منها قوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢). وعالم البرزخ هو مدة بقاء الناس في القبر إلى حين النفخ في الصور والبعث من القبر ، قال تعالى ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾^(٣) ، قال تعالى ﴿وَمَنْ وَّرَاءَهُمْ بَرَزَخَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٤).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اكثاره من الإستعاذة من عذاب القبر وتذكير الناس بأنه حق .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو في الصلاة اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم فقال قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف^(٥). وكما أن هناك عذاباً للكافر في البرزخ ففيه ثواب للمؤمن إذ يكون قبره روضة من رياض الجنة .

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة غافر ٤٦.

(٣) سورة النبأ ١٨.

(٤) سورة المؤمنون ١٠٠.

(٥) أنظر النسائي / السنن الكبرى ٣٨٩/١.

وقد تتبين أحوال الناس في عالم البرزخ في عالم الرؤيا ، وفيه شواهد كثيرة ، خاصة لذوي القربى والمعارف الذين فارقوا حديثاً .

قانون الوحي معجزة

من خصائص الوحي أنه سور جامع في باب المعجزة للأنبياء جميعاً ، فكل نبي يأتيه الوحي من عند الله ، نعم الوحي من الكلي المشكك في كيفيته وكمه ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ملازمة الوحي له من جهات :

الأولى : مجئ الملك جبرئيل بالتنزيل وآيات القرآن .

الثانية : يأتي الملك بالسنة النبوية

الثالثة : الوحي بوسائط وفيض ولطف من عند الله ، وفي التنزيل ﴿وَمَا

يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

وكانت معجزات الأنبياء السابقين حسية آمن بها الذي حضرها وشاهدها ، والذين تلقوها منهم .

أما معجزة القرآن فهي الوحي والتنزيل الذي تبقى إطلالته وإشراقاته بالقرآن وأسراره وبلاغته وعلومه إلى يوم القيامة ، إلى جانب معجزاته الحسية وفيه دلالة وبرهان على عظمة الإسلام والإرتقاء الفكري عند المسلمين والمجتمع الذي نزل فيه الوحي ، لأن الوحي وآيات القرآن أثبتت معجزات الأنبياء توكيداً وتوثيقاً كسفينة نوح ، وناقة صالح ، ونجاة إبراهيم من النار ، وعصا موسى ، وعصمة يوسف ، والآيات التي جاء بها عيسى عليه السلام ، وفي التنزيل حكاية عن عيسى وخطابه إلى بني إسرائيل ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَأُبْرِى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

و(عن سعيد بن جبیر قال : سألت قريش اليهود فقالوا : حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات ، فأخبروهم أنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله .

فقلت قريش عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً فتزداد به يقيناً ونتقوى به على عدونا ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه . فأوحى الله إليه : إني معطيكم ذلك ، ولكن إن كذبوا بعد عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين . فقال : ذرني وقومي فأدعوهم يوماً بيوم ، فأنزل الله عليه ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢)، فخلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار أعظم من أن أجعل الصفا ذهباً) (٣).

وسعيد بن جبیر تابعي ، ولم يرفع الحديث ، نعم ورد قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ * ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤﴾.

ولو صار جبل الصفا ذهباً لقالوا سحر ، ولكسروه بالمعاول وباعوه ، ولكن جبل الصفا من شعائر الله ، ثم أنه صار لأهل مكة ذهباً في كل سنة إذ يفد وفد الحاج والمعتمرون طيلة أيام السنة ، وازدهرت التجارة في مكة .

(١) سورة آل عمران ٤٩.

(٢) سورة آل عمران ١٩٠.

(٣) الدر المنثور ١/٣٢٨ .

(٤) سورة البقرة ٥٥-٥٦.

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحقيق الرغائب والأمانى التي سألتها قريش ولكن بقيد الإيمان .
لذا يمكن إستقراء إعجاز قرآني وقاعدة كلامية كلية وهي : بالوحي بقيت معجزات الأنبياء معروفة وحاضرة.

وبين الإعجاز والوحي عموم وخصوص مطلق، فكل وحي إعجاز وليس كل إعجاز هو وحي، مع عدم إمكان التفكيك بينهما، وكل واحد منهما شاهد صدق ودليل ومتمم للآخر.

والوحي من عالم الأمر، وفيه شاهد على علو مرتبته ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه^(١). ويمكن معرفة المقصود من اللفظ بلحاظ القرائن والأمارات وهل المقصود من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (أوتيت) خصوص القرآن أم يشمل الأحاديث النبوية وما فيها من علوم الغيب وجزالة المعاني مع إعجاز ووضوح اللفظ ، الجواب هو الثاني .

وفيه تأكيد لإرتقاء القرآن على الكتب السماوية الأخرى ، واستغراق علومه في عالم الملكوت وهو كمال حقيقي وتحصيل في العلوم يترشح عنه إنطباقاً للإيمان واليقين، وترجمة واقعية لعالم الغيب بالدليل والبرهان واستدلال بالشاهد الحسي على الغائب العقلي.

الوحي لطف

الوحي عنوان القدرة الإلهية، وكلام الله تعالى غير منحصر بالأصوات والحروف أو الالفاظ أو المعاني والأعراض.
وقيل بأن نزول الوحي إنما هو مجاز، ولكنه حقيقة عقائدية عقلية وحسية.

وفسر المعتزلة الوحي بأن الله يخلق أصواتاً وحروفاً على لسان جبرئيل ولكن الله عز وجل سمى القرآن بأنه كلامه ، قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وقال الأشاعرة بأن الله يخلق في اللوح المحفوظ كتابة فيقرأها الملك ويحفظها، وتارة تكون أصواتاً في جسم معين يأخذها جبرئيل مع علم ضروري بأنها كلام الله.

وهل الكلام مصدر، أم اسم مصدر، والأول ما دل على الحدث مثل تكليم مصدر كلم، والثاني ما دل على لفظ، وهذا اللفظ يدل على الحدث، مثل اغتسال المصدر، والغسل اسم مصدر.

والكلام اسم مصدر، وهو لغة الأصوات والحروف المتتابعة الصادرة من المتكلم، وعند جماعة من النحويين المركب من المسند والمسند إليه، والحروف المنتظمة والأصوات المسموعة.

ومنهم من جعله المعنى القائم في نفس المتكلم، ويبرز إلى الخارج بالحروف والأصوات المسموعة.

وأكثر المتكلمين على الأول، والنزاع صغروي لأن تلك الحروف لا تصدر من المتكلم الا على نحو الإخبار والبيان لما يريد وما قام في نفسه، لذا اختلف في إطلاق الكلام على المعاني النفسانية. وهل هو إطلاق حقيقي أم مجازي، الأرجح هو الثاني.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصاحبة الوحي له، وحضوره في حال اليسر والعسر، والسلم والحرب، لبيان تعيين الأحكام الشرعية في الإسلام بالقرآن والوحي، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا

يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * أَن هُوَ الْوَحْيُ يُوحَىٰ ﴿٢﴾.

(١) سورة التوبة ٦.

(٢) سورة النجم ٣.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن قوله وفعله من عالم الملكوت مما يلزم تلقف المسلمين له بالقبول والتسليم والشكر لله عز وجل على نعمة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن خصائصه أنه لا يحصي انتفاع المسلمين والناس من الوحي إليه إلا الله عز وجل .

أولو العزم

قال تعالى ﴿وَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(١).
العزم : هو ثبات الإرادة ودوامها ، ويقال عزمت عزمًا - بالضم - وعزيمة إذا أردت فعل الشيء وقطعت عليه ، والوجود هنا نقيض العدم .
ويحتمل في الآية الكريمة أعلاه معنيان :
الأول : إرادة المدح بمعنى : لم نجد له عزمًا على إتيان المعصية ، ومخالفة العهد والميثاق .

الثاني : لم نجد له عزمًا على اجتناب المعصية والتحرز من الإقتراب من الشجرة بقرينة النسيان في الآية ، وما تدل عليه الآيات القرآنية الأخرى بالموضوع خاصة وأن القرآن يفسر بعضه بعضاً .
ومن الصعب النظر إلى موضوع العزم في الآية الكريمة بمعناه اللغوي فقط ، بل يمكن تأويله وفق المعنى الإصطلاحي وأن الأمر يتعلق بالرسول أولي العزم من الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) .

وهم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بالإضافة إلى النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل هم أربعة إبراهيم ونوح وهود ومحمد

(١) سورة طه ١١٥ .

(٢) سورة الإحقاف ٣٥ .

صلى الله عليه وآله وسلم، وذهب بعضهم إلى أنهم ستة : نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب، والأول أصح وأشهر.

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توجه الأمر الإلهي له بالتحلي بأعلى مراتب الصبر، ومحاكاة كبار الرسل .
وفي تسميتهم أولي العزم وجوه :

الأول : صبروا على مكروه الدنيا وصبروا عن محبوبها، وهو المروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفسيره للقرآن بما يفيد التبصر في تأريخ النبوة وقصص الأنبياء والشواهد التي تدل على تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : إنهم بعثوا إلى مشارق الأرض ومغاربها، وجنّها وإنسها. أي أن رسالاتهم عامة. وقيل إن رسالة موسى وعيسى خاصتان.

الثالث : إنهم أولو الجد والثبات والصبر.

الرابع : المراد في الآية الكريمة جميع الرسل، وأن (من) في قوله تعالى ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ في الآية أعلاه لليبان. وأن كل نبي ذو عزم وثبات، والأقرب أنها للتبعض.

الخامس : إنهم محور النبوة وهم أصحاب الشرائع، كل واحد منهم جاء بشريعة نسخت الشريعة التي جاء بها الرسول الذي قبله.

السادس : هم الذين أمروا بالقتال والجهاد، وأظهروا المكاشفة، وجاهدوا في الدين.

السابع : الأنبياء الذين سبقوا إلى الإقرار بالعبودية لله، وأقروا بكل نبي كان قبلهم وبعدهم وعزموا على الصبر مع التكذيب وصنوف الأذى.

الثامن : عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام قال : سموا أولو العزم لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي بعد نوح

كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه، إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام^(١).

التاسع : لما عهد إليهم في النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فاجمع عزمهم على الإقرار به وأنه كذلك.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشارة الرسل ببعثته واتباع الأنبياء للرسل في تجديد هذه البشارة في زمانهم وبين قومهم. لقد وسوس الشيطان لآدم عليه السلام فأكل من الشجرة بعد أن عهد له ولحواء الله عز وجل أن لا يأكلا منها ، فكان ذلك منه نسياناً سواء كان النسيان بمعنى الترك أو نقيض الذكر^(٢) مما يدل على التشريف والتخصيص بنعت أولي العزم، وأنها مدرسة إرتقاء تدل على إجتياز مرحلة الإبتلاء بيقين وثبات وإحترام.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اختتام الأنبياء والرسل مطلقاً برسالاته ، لترث أمته علوم النبوة .

خصائص انفراد بها النبي محمد (ص)

للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خصائص كثيرة إنفرد بها بين الأنبياء وهي عديدة منها :

الأول : نبوة محمد دعوة للإيمان بالله عز وجل ، وعون ومادة لإجتذاب القلوب ، وبعث الرعب والفرع في قلوب الكافرين وشعورهم بالتقصير والخطأ.

الثاني : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين وصاحب الشريعة الناسخة للشرائع السابقة، وليس من شريعة تنسخ شريعته وإلى يوم القيامة.

(١) البحار ١١/٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/١٧٢.

الثالث : نزول القرآن على صدر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصيرورته ﴿نَبِيًّا نَّالِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

الرابع : هو النبي الذي جعل الله أمته آخر الأمم .

الخامس : جاءت معجزات الأنبياء حسية، ومعجزة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عقلية متجددة في كل زمان وهو القرآن.

السادس : جهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخروجه في كتائب بنفسه، وبعث الرعب في نفوس أعدائه مسيرة شهر ، وتحقيق النصر والغلبة لجيوش المسلمين.

السابع : قانون بقاء العمل بأحكام الإسلام إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢).

الخصائص في بيعة العقبة

وفي بيعة العقبة قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورد عن عبادة بن الصامت أن النقباء (بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا ننتهب ولا نعصي بالجنة إن فعلنا ذلك فإن غشنا من ذلك شيئاً كان قضاؤه إلى الله عز وجل)^(٣).

وعدد الذين حضروا بيعة العقبة الأولى من الأنصار أثني عشر رجلاً ، وبعد بيعة العقبة الأولى بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير مع وفد الأوس والخزرج .

فحضر في موسم الحج في السنة الثانية عشرة للهجرة مع مصعب بن عمير ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأوس والخزرج ، وأكثرهم من الخزرج .

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٩ .

(٣) تهذيب الكمال ١٨٦/١٤ .

وهل بيعة العقبة الأولى والثانية من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم من وجوه :

الأول : فضل الله في خروج الدعوة النبوية إلى الأمصار .

الثاني : تحقق استجابة الأنصار لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إيوائه .

الثالث : عدم خشية وفد الحاج من الأوس والخزرج من بطش قريش . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه جاهد ثلاث عشرة سنة في مكة بعد البعثة في مكة وهو يدعو الناس للإسلام ، ويسعى في موسم الحج بين وفد الحاج ، ويذهب إلى منازل القبائل في أسواق مكة مثل عكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، وكان يدعوهم لأمر : الأول : دخول الإسلام .

الثاني : إيواء رسول الله ودفع أذى قريش عنه .

الثالث : الإلتجاء إلى قبيلة عربية ينجو بجوارها من القتل .

الرابع : نصره النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

والنسبة بين هذا الأمر والأمر الثالث أعلاه العموم والخصوص المطلق ، فالنصرة أعم وأعظم ، وتجتمع هذه الوجوه في إعانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتبليغ الرسالة .

وكان يعدمهم بالجنة ، فلا يجد من أكثرهم إلا الإعراض والجفاء ، بل أن الرجل يخرج من اليمن أو من بلدته وقريته قادماً إلى مكة فيحذره الناس من الإنصات إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا مر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشار إليه بالأصابع تحذيراً لغيره ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُمْرَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١) .

فبعث الله وفد الأنصار من الأوس والخزرج لنصرته ومبايعته ودعوته ليس لقرية إنما لمدينة كبيرة وهي يثرب ، لذا يتفاخر جابر بن عبد الله بالبيان

إذ يقول في حديث (حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام)^(١).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم العز والرفعة في الدنيا والثواب في الآخرة للذين نصره وآووه ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).

فلسفة النبوة

الحمد لله الذي برأ النسم وتفضل علينا بإتصال النعم ، وأثار فينا لفهم القرآن الهمم ، لتتخذ طريقاً للأمان والعصم، والصلاة والسلام على محمد رسوله الكريم الذي اختاره من بين العباد وجعله شافعاً لنا يوم المعاد، وعلى أهل بيته وصحبه ذوي الصواب والسداد.

لا بد من انحلال هذا البحث إلى موضوعين عام يتعلق بالنبوة والأنبياء مطلقاً، وخاص يتعلق بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته ، وما خصه الله به من الفضائل في دراسة مقارنة بينها وبين النبوات الأخرى بل وفضلها ونفعها للنبوات والأنبياء الآخرين.

ولغة سمي النبي نبياً لأنه أنبأ عن الله تعالى أي أخبر وهو فعيل بمعنى مفعول ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١٩٥/٢ .

(٢) سورة الأنفال ٧٤.

(٣) سورة فصلت ٦.

وقيل من النبوة والنباوة وهو الموضع المرتفع من الأرض لإرتفاع النبي بشريعته، وتشريفه بالنبوة على سائر الخلق، وأن أصله غير مهمز، والمختار الأول.

ففي الإصطلاح النبي هو الإنسان الذي اختاره الله عز وجل للإخبار عنه من غير واسطة إنسان آخر وبقولنا الذي إختاره الله أي أنه نال النبوة بمشيئة الله عز وجل وإرادته وليس من فعل غيره، وفيه مسائل :

الأولى : النبوة نعمة من عند الله عز وجل .

الثانية : منع الغلو بأشخاص الأنبياء .

الثالثة : المنزلة العظيمة للأنبياء بين أهل السموات والأرض .

الرابعة : حاجة الأنبياء إلى الوحي وإلى المعجزة من عند الله عز وجل .

الخامسة : قيام الأنبياء بتبليغ الرسالة ، وجذب الناس لمنازل الإيمان .

وبتقييده بالإخبار عنه، أي بالإخبار عن الله عز وجل وليس عن غيره كالملائكة ، وأن النبي لا يتكلم عن نفسه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * أَن هُوَ الْوَحْيُ يُوحَىٰ﴾^(١).

ونعت جبرئيل في القرآن بالأمانة والوثاقة كما في قوله تعالى ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٢) شاهد على أن جبرئيل ناقل لآيات القرآن بأمانة ومن دون تصرف .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتماع خصال النبوة المباركة بشخصه الكريم وبأرقى معانيها ومضامينها فهو مجمع الكمالات الإنسانية وأشرف المخلوقات، وعز الإسلام والكمال الذي تتباهى به الملائكة وعبوديته وجهاده وتبليغ الرسالة.

(١) سورة النجم ٣.

(٢) سورة الشعراء ١٩٣.

ولا يحصي مصاديق الرحمة في النبوة ووظائفها في الأرض كثرة إلا الله عز وجل ، بلحاظ وجود الإنسان على الأرض ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ

الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

قانون النبوة هداية ورشاد

النبوة نعمة وفيها بعث حياة الإيمان ودوام العبودية ، وحسن الإمثال للأوامر الالهية ، والعبادة حاجة ومنفعة للناس وليس لله عز وجل ، فهو سبحانه غير محتاج والحاجة ملازمة للإمكان .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه نعمة مزجاة ، ورحمة للناس جميعاً إذ تصاحب نبوته وأحكامها الناس إلى يوم القيامة . وعبادة الجن والناس أمر تراه الملائكة وغيرهم من خلق الله اذ يرون عبادة المؤمنين وحسن إمثالهم للأوامر الالهية ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رؤية وسماع الناس لسعيه الخيثة لتبليغ الرسالة وتسابق أصحابه في الدفاع عن بيضة الإسلام وإختيار الشهادة لما بينه الإسلام من فلسفتها .

والموت ليس أمراً عديمياً بل هو مناسبة للإنتقال إلى عالم الخلود وأن الدنيا مزرعة للأخرة ، قال تعالى ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢).

ويدل عليه الوجدان وقصر أيام الإنسان في الحياة الدنيا بعد طموحه وسعة أمله ، والموت قريب منه يهدده بزيارته في كل لحظة ، تلك الزيارة التي لا تتكرر ، يأتي ملك الموت لينقل الإنسان من دار الإمتحان والاختبار إلى دار الحساب والجزاء ، قال تعالى ﴿فَقُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة الملك ٢.

(٣) سورة الصافات ٢٤.

والنبوة نوع طريقية إلى العبادة وإرشاد الناس لمصالحهم وأحوال معاشهم وحفظ النوع الإنساني ومنع الأضرار والظلم بينهم، لذا ترى الأنبياء جميعاً يشتركون في نبذ الظلم، ويتبعون الشرع الذي يجري وفق أسس الصلاح والنفع العام.

البراهمة والنبوة

بالنسبة لأحوال الآخرة فإن النبوة تهدي الناس إلى الحق وتدلهم على الأعمال الصالحة وسبيل الجنة، ويقر المليون بالنبوة ولا عبرة بمن أنكرها كالبراهمة ، ولهم علامة في لباسهم ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد الا أنهم ينكرون النبوات.

البراهمة أعلى طائفة في الديانة الهندوسية مأخوذ من براهما وهو خالق الكون والمعبود الأعلى في الثلاث الهندوسي وهو سيد الآلهة وأنه إله أزلي منزّه معنوي وليس مادياً.

وقالوا لما صح أن الله حكيم وكان من بعث رسولاً وما يدري أنه لا يُصدق ، فلا شك أنه تمتعت عابث فوجب نفي بعث الرسل لنفي العبث والتمتعت عنه تعالى ، وقالوا إذا كانت الغاية من بعث الرسل هداية الناس فقد كان أولى في حكمته وأوثق أن يضطر العقول إلى الهداية والإيمان.

وبعثة الأنبياء عندهم ليس من الممكن بل ممتنعة في ذاتها ، ولكن النبوة من حكمة الله تعالى ، وهي رحمة للناس وحاجة لهم وهي رافة بالبراهمة وشبههم أيضاً لو انتفعوا منها في الدنيا ولم يضعوها بدعوى أثبت الواقع خلافها.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيانه لأمر من الأرادة التكوينية :

الأول : قانون النبوة حق وصدق وحاجة للناس .

الثاني : قانون التصديق بالنبوة واجب على الرجال والنساء .

الثالث : قانون الرسول واسطة بين الله والناس .

الرابع : قانون رسالة النبي محمد سبيل هداية وصلاح .

الخامس : قانون إتباع الرسول محمد سلامة ونجاة من النشاطين .

ومن خصائصه مجيؤه بالقرآن ، قال تعالى ﴿وَزَكَّأْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ﴾^(١).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهادة الله عز وجل بأنه هو الذي أنزل القرآن وفي التنزيل ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

ويدرك العقل أن النبوة رحمة بالناس ممن يؤمن بها أو ينكرها ، وهي من اللطف الإلهي بالعباد إذ جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار امتحان واختبار.

الإجتهد في الدعوة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتهداه بدعوة الناس للإسلام وجاء بالمعجزات التي تدل على صدق النبوة والحاجة إليها لإصلاح النفوس ، وتجنب الإسلام شر الكفار ، والنبوة رحمة لهم بما أثبتته الواقع والوجدان .

سئل الإمام الصادق عليه السلام (أين أثبت أنبياء ورسلا ، قال : إنا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيما لم يجوز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه ، ولا يباشرهم ولا يباشره ، ويحاجهم ويحاجوه .

فثبت أن له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم: فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة يوسف ١١١.

في خلقه، وثبت عند ذلك أن له معبرين وهم الانبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد : من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والابرص^(١).

ومن الخصال التي يتصف بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأول : العصمة من الزلل والمعصية ، لأن القلوب لا تنجذب إلى صاحب المعصية.

الثاني : هو أفضل أهل زمانه بجميع الفضائل والمحسن والكمالات لعدم تقديم المفضول على الفاضل في باب الوحي والإمامة العامة .

الثالث : وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمى قبل البعثة (الصادق الأمين).

الرابع : لم تأخذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الله لومة لائم ، ونحوها من الأخلاق والصفات الحميدة ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يغادر ميدان المعركة في أشد وأحلك الأحوال كما في معركة أحد ، ومعركة الخندق ، ومعركة حنين ، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تُقِنِّ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٢).

لم تبدأ النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بل هي ملازمة للناس من قبل ، فقد تفضل الله سبحانه وجعل آدم عليه السلام أبا البشر نبياً إكراماً لبني الإنسان ولكي لا تنقطع حجته في الأرض ابتداءً وبقاءً .

(١) البحار ١٩٩/١٠ .

(٢) سورة التوبة ٢٥ .

ويتجلى قانون إتصال الحجة في الأرض بسلامة القرآن من التحريف إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ﴾^(١)، وقال تعالى ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٢).

وفي نبوة آدم عليه السلام تأكيد على عدم ترك الناس بلا نبي، فإن كانت هناك فترات بين الأنبياء فبسبب وجود بقية وتركة من الأنبياء السابقين وما يتفرع عنها، ولا بشر قبل آدم عليه السلام فاقتضت الحكمة كون آدم نبياً وأن يُبشر بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعده لأنه سيد الأنبياء، وتدل عليه جملة من النصوص، وأن النبوة الآن موجودة عندنا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوزه بمرتبة النبوة من قبل خلق آدم وبعث الروح فيه .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : كنت نبياً وآدم بين الماء الطين^(٣)، وأن آدم لما أذنب سأل الله بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم جاءت فترات خالية من الرسل أي أيام من السكون والانقطاع كما في قوله تعالى ﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٤) تتخلل بعثة الأنبياء تكون الأرض خالية واقعاً من أشخاص الانبياء من غير أن تخلو من سنن وأتباع الأنبياء وأهل الصلاح، الذين يحملون وصية الأنبياء بلزوم إتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد يكون أحياناً عدد من الأنبياء في فترة واحدة.

النعمة المسداة

(١) سورة فصلت ٤٢ .

(٢) سورة الحجر ٨ .

(٣) مفاتيح الغيب ٤٣٢/٣ .

(٤) سورة المائدة ١٩ .

يتجلى الإعجاز في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، بالبيان للناس في كل زمان بمصاديق الرحمة التي تترشح عن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بأحكام شريعة الإسلام التي هي من الكتاب والسنة ، والجامع بينهما هو الوحي كأساس وأصل وسور جامع لأحكام الإسلام ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة إلى أجيال الناس المتعاقبة .

لقد جاء نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على فترة من الرسل فبين بعثة عيسى عليه السلام وبعثته نحو ستمائة عام ، فكانت نبوته حاجة للناس بعد الحادهم وجحودهم، وتلك آية في كرامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم منزلته في سلم النبوة.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحمله مسؤولية قيادة أمم الأرض في منازل التوحيد وسبل النجاة وبلوغ المقاصد السامية في السعادة الأخروية.

لقد ظهر أن بعض الديانات القديمة لا تمتلك مقومات القيادة الدائمة للإنسانية ومعاشر الأمم نحو الصلاح والجنة، وهو من مفاهيم قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

هذه الآية التي يمكن أن تتلمس منها منافع نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإنسانية جميعاً، لمن آمن به ومن حاربه وعاداه، وللأجيال من أبنائهم لأن الإسلام ديانة وعقيدة متكاملة فمن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحمل أعظم المسؤوليات بتوفيق ولطف ومدد من عند الله

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

عز وجل ونزل عليه جبرئيل على نحو متصل، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

من قصص الأنبياء

لقد اجتهد الأنبياء في الدعوة إلى الله ، وثبتت سنن التوحيد ومعالم الإيمان في الأرض وكانوا الأئمة في الصبر وطاعة الله ، لينزل القرآن بالدعوة السماوية للمسلمين والمسلمات بالإقتداء بهم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وراثته لمنهاج الأنبياء في سبل التقوى ، وتعاهداها ، وثبتيها في الأرض إلى يوم القيامة. فمن الأنبياء من أخبر عنه بعض أصحابه وأتباعه ولم يستوف بعد تمام رسالته وحاربه السلطان أو وكيل السلطان ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى الا وقد تولى الحكم في الأرض بأحكام الشريعة السمحاء ، وتولى المسلمون من بعده الحكم وابتساع في رقعة حكمهم وسلطان شريعتهم ودخول الأمم الأخرى في الإسلام، حتى أن الشعوب التي أسلمت تفتخر وتعز وتجاهد من أجل إسلامها والذب عن عقيدتها.

وحاربت طائفة من اليهود المسيحية، وجاء الإسلام ليجعلها بعرض واحد مع اليهودية من حيث المعاملة الحسنة والاعتبار والإقرار كأهل كتاب سماوي .

فلقد فرضت عليهم الجزية دون غيرهم، والجزية إكرام لأهل الكتاب وثبتت لشريعتهم وإذن سماوي لهم بالبقاء على ديانتهم، وصاروا في ذمة الإسلام والمسلمين.

(١) سورة المائدة ٤.

(٢) سورة البقرة ١٥٣.

ولابد من مدرسة كلامية جديدة تبين فضل ملة التوحيد والكتاب السماوي ، ومنافع نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن على الأديان الأخرى وعامة الناس ، ليكون عندنا باب في إعجاز القرآن هو أثره على الديانات والكتب السماوية الأخرى ، قال تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

ومن إعجاز القرآن الغيري ما يتعلق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيتها ، وهو مدرسة عقائدية ولا يمنع أن يبحث مستقلاً ومتداخلاً معه أثر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشخص الرسول في تبليغ آيات القرآن وتثبيت أحكامه.

لقد كانت آيات الأنبياء السابقين حسية كما في عصا موسى وناقة صالح ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن معجزاته عقلية حسية ، مما يؤكد أهلية المسلمين لحمل الرسالة وحفظها ووعي فيوضاتها العقلية ، أي أنهم مؤهلون للتصديق بالآيات العقلية ، ومن بركاتها أن الدوام كتب لها ، وكانت ضياءً للإيمان وآلة لحفظ الأديان الأخرى.

حفظ القرآن

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعمة حفظ الله عز وجل للقرآن ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) ، وفي موضوع تعلق الحفظ الإلهي في الآية قولان :
الأول : وإنا لمحمد حافظون من أعدائه الذين أرادوا به السوء ، حكاها ابن جرير^(٣).

الثاني : إنا للقرآن حافظون.

(١) سورة التوبة ٣٣.

(٢) سورة الحجر ٩.

(٣) النكت والعيون ٣٤٢/٢.

والصحيح هو الثاني، وهو المتبادر إلى الأذهان، وفيه تشريف وإكرام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن، ورحمة بالمسلمين، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن أن آياته محفوظة بأمر ومشية متصلة ومستديمة من الله عز وجل، فكما يحفظ الله عز وجل السموات والأرض، قال تعالى ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾^(١)، يحفظ الله عز وجل القرآن لمنع حصول الفناء بالإقتتال بين الناس، وقد جاءت الآيات بحفظ الله عز وجل للنبي وصرف الكيد والمكر عنه.

ومن العلماء من ذكر أن للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات ما لم يكن لأحد من الأنبياء، وقد بلغت (أربعة آلاف وأربعمئة وأربعين معجزة واقواها وابقاها القرآن)^(٢).

ذكرت منها ثلاثة آلاف

وأنها تنقسم إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : قبل ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : بعد ميلاده .

الثالث : بعد بعثته الشريفة .

الرابع : بعد إنتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وهو إحصاء لطيف ويمكن أن يكون التقسيم وتعدد الأنواع أكثر وأبين بتقسيم إستقرائي أكثر تفصيلاً، مع إضافة نوع وهو المعجزات عند ميلاده وما رافقه من آيات إعجازية وتعدد أبوابها وموضوعاتها .

وجاء كتابنا هذا بأجزائه المتعددة آية علمية في باب خصائص ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومدرسة ينهل منها العلماء وتستنبط منها المسائل والمواعظ، والشواهد على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله عز وجل.

(١) سورة الحج ٦٥.

(٢) بحار الأنوار ١٠٧/٢٤١.

لقد صاحب علم الإحصاء الإنسان من حين عمارته الأرض ، وليس من إنسان إلا ويلجأ في كثير من أموره إلى العد والإحصاء وتتعدد وجوه أبواب علم الإحصاء في معجزات وخصائص النبي محمد وهي من فضل الله الذي ليس له حد أو منتهى ، قال تعالى ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(١).

تعدد وجوه الإعجاز

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأول : ما يتعلق بالتنزيل.

الثاني : في ميادين التشريع.

الثالث : باب القتال والدفاع .

الرابع : الحكم بين الناس.

الخامس : الإمامة والرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا.

وكل فرد منها مناسبة كريمة للتدبر والاتعاظ واستحضار لزوم الوحدة والأخوة بين المسلمين بعد الاجتماع العبادي في كل سنة مرة بفريضة الحج. لتكون شاهداً عملياً على حقيقة الوحدة عبر المناسك المشتركة التي يؤديها جميع الحجاج من غير اختلاف أو تباين.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرصه على أداء مناسك الحج من مقام العبودية لله ، وأمره للمسلمين باتيان ذات المناسك التي أداها بقوله (لتأخذوا عني مناسككم)^(٢).

لفوز المسلمين بالثواب ، ومنع الاختلاف بينهم في الحج.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاده وفوزه باجتئاب أجيال المسلمين الخلاف والخصومة في موسم الحج ، وكيفية أداء المناسك وهو تعضيد وامثال عام لقوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ

(١) سورة النساء ١١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٧١/١ .

فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ الْحَجَّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقَوْا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١﴾.

إنها أرقى حضارة جاءت للبشرية بالشواهد الحسية والعقلية والتكامل في الأحكام والفرائض، بدأت بنزول الوحي وآيات القرآن.

فعندما نزل جبرئيل بآيات القرآن نجوماً تغير وجه الأرض وما عليها، وبدأت مرحلة النبوة المباركة ذات المرتبة العليا في سلم الرسالات، والمتضمنة للسنن والشرائع لتشق طريقها سريعاً إلى قلوب الصالحين، ويقبض الله عز وجل لها جنوداً مهاجرين وأنصاراً.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قول جبرئيل له سلام عليك يا محمد، أنت صاحب لواء التوحيد، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿٢﴾.

وبالبعثة النبوية انفتحت أبواب من الرحمة على أهل الأرض وحق القول على المشركين والكافرين، ثلاث وعشرون سنة في الدنيا مدة بعثة النبي محمد لا تعد كثيرة فهي بالذات والقياس الزماني قاصرة عن تحقيق الأمانى الشخصية المحدودة.

لكنها بآية من الله تعالى رسخت أعظم عقيدة في الأرض، ومنها ينبثق القول (حلال محمد حلال حتى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) ﴿٣﴾.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استدامة أحكام شريعته في الأجيال المتعاقبة من غير تحريف.

(١) سورة البقرة ١٩٧.

(٢) سورة المدثر ٣١.

(٣) البحار ٣٥/٢٦.

وهل هذه الإستدامة معجزة لاحقة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجواب نعم ، ليكون من خصائصه توالي المعجزات في حياته وبعد مماته ، وكل يوم يتقيد فيه المسلمون بسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو معجزة مستقلة بذاتها ، مما يستلزم الشكر لله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَكُلُوا فِضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَبْعُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

السنة مصدر للتشريع

مما أجمع عليه المسلمون أن السنة النبوية هي المصدر الثاني لتفسير القرآن مما يدل على عظيم منزلتها في التشريع الإسلامي وتأريخ الأمة العقائدي والأخلاقي والسياسي ، ويترشح عنه بالضرورة لزوم اتفاق المسلمين ، ولو على نحو الإجمال في كثير من مواضعها.

قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢) ، وفيه شهادة وتوثيق سماوي للسنة النبوية القولية.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن سنته تفسير وبيان للقرآن ، ومانع دون التحريف في تفسير وتأويل آياته . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن خلقه وسيرته مرآة للقرآن ، وبيان عملي لأحكامه وسنته ، وفيه عون للمسلمين للإمتثال لأوامر الله عز وجل ونواهيه .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن سيرته وعمله مستوحى من القرآن وترجمة عملية لآيات القرآن ، وهذا يؤكد علم وقانون إرجاع السنة إلى القرآن.

وفي خبر أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام قال : إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله ، ثم قال في حديثه : نهى الله عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال .

(١) سورة النساء ٨٣.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

فقالوا له أين ذلك في كتاب الله يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١) وقال أيضاً ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾^(٢) وقال ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ أَنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم تأديبه أهل بيته وأصحابه على اللجوء إلى القرآن وصدوره عنه في القول والعمل ، كيف لا ، وفيه تبيان كل شيء.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إلا وإنني قد أوتيت الكتاب ومثله معه إلا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)^(٤).

ومن خصائصه أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعوته للأخذ بالسنة والعمل بمضامينها ، وكان يحذر وينهى عن الإعراض عن السنة. وقد أمر الله تعالى بالصلاة وجاء الأمر في القرآن وبينت السنة أوقاتها وعدد فرائضها وركعاتها وأحكامها ، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"^(٥).

وورد وجوب الحج في القرآن قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، مع بيان

(١) سورة آل عمران ١١٤.

(٢) سورة النساء ٥.

(٣) سورة المائدة ١٠١.

(٤) تفسير القرطبي ٧٢/١.

(٥) مفاتيح الغيب ١٧٠/١.

(٦) سورة آل عمران ٩٧.

المناسك وتفصيلها لمنع الإختلاف والفرقة والخصومة ، ولتثبيت أعمال الحج وترتيبها إلى يوم القيامة بالقرآن والسنة النبوية المباركة وتوارث المسلمين لها بالسيرة القطعية ، كما قيد المطلق وخصص العام ، وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : خذوا عني مناسككم^(١).

الاستعاذة بالله

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجيؤه بالإستعاذة بالله وتثبيتها في الأرض إلى يوم القيامة بعد نزول القرآن بها ، وأخبر باتخاذ الأنبياء لها سلاحاً.

واختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته باستحضار الإستعاذة عند الشروع بتلاوة القرآن ، وفي الملمات ، والإستعاذة عند قراءة القرآن مستحبة .

والاستعاذة مشتقة من العوذ وهو الإلتجاء والاستجارة ، وقيل أنه بمعنى الإلتصاق يقال أطيب اللحم أعوزه ، وهو الملتصق منه بالعظم ، ولا بد أن تعني الإستعاذة بهذا المعنى الإلتجاء إلى رحمة الله ، وعظمته والأشياء جميعاً مستجيبة لإرادته ، وصيغة الإطلاق والعموم ظاهرة في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٢).

والاستعاذة لغة : الاستجارة واللجوء والتحيز إلى الغير بقصد الإمتناع به من الأذى والشر .

وفي الإصطلاح هي الإلتجاء إلى الله ، والتحصن بفضله ، وقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وشروره .

(١) البحار ١٠٧/١٠٨ .

(٢) سورة يس ٨٢ .

ولا تكون الاستعاذة إلا بالله عز وجل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١) وهناك سورتان في القرآن ابتدأت الأولى بعد البسملة بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٢) ، فمن خصائص النبي ممد صلى الله عليه وآله وسلم اقراره بالعبودية لله عز وجل واستجارته بالله ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾^(٣).

والثانية بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٤) وهما آخر سورتين من القرآن ، والخطاب فيهما موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى أجيال الأمة المتعاقبة ذكوراً وإناثاً .

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعاذته بالله ، ومنها (أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرق له السموات والارض ، وكشفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تحمل علي غضبك ، أو تنزل بي سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة تقمته ، وتحول عافيتك وجميع سخطك .

لك العتبي عندي خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك)^(٥).

(اعوذ بكلمات الله التامات).

(اعوذ برضاك من سخطك).

ومن خصائص النبي محمد أن برسالته تجلّى قانون الملازمة بين الحياة والإستعاذة بالله ، وقانون الحاجة إلى الإستعاذة .

والإستعاذة ترغيب ومقدمة للإستغفار و(عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ألا لا تحقرن شيئاً وإن صغر في أعينكم ، فإنه لا صغيرة بصغيرة مع

(١) سورة النحل ٩٨.

(٢) سورة الفلق ١.

(٣) سورة الأنعام ٩٦.

(٤) سورة الناس ١.

(٥) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/٢٣٤.

الإصرار ، ولا كبيرة بكبيرة مع الاستغفار ، ألا وإن الله سائلكم عن أعمالكم حتى عن مس أحدكم ثوب أخيه بين إصبعيه^(١).

و(روي أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنني البارحة .

قال : أما إنك لو قلت حين أمسيت ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " لم تضرك"^(٢).

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإستماع إلى الناس في همومهم وأحوالهم الخاصة مع هدايتهم للذكر وسبل التقوى ، والنجاة في النشاطين .

مسائل في الاستعاذة

في رسالتي العملية (الحجة) الجزء الأول والمسجلة بدار الكتب والوثائق في بغداد برقم ٣٤٥ لسنة ٢٠٠١ أفردت باباً اسمه الاستعاذة تضمن عدة مسائل وهي :

(مسألة ٣٦٠) تستحب الاستعاذة استحباباً مؤكداً قبل قراءة الفاتحة ، وصيغتها ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ويجوز أن يقول المصلي ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وكل منهما نزل به القرآن وجاء به النص ، والأولى هي الأشهر.

(مسألة ٣٦١) يؤتى بالاستعاذة اخفائاً وادعي الاجماع عليه ، ويجوز أن يؤتى بها جهراً في الصلاة الجهرية ، والأول هو الأحوط.

(مسألة ٣٦٢) في الاستعاذة نوع اقرار واعتراف بضعف النفس والتجاء الى الباري عز وجل وواقية وحرز من اغواء الشيطان ومحاولات اضلاله ، واقحام للنفس في دروب الكمالات الانسانية وقهرها على الابتعاد عن رذائل الشيطان وتحصين لها من الكدورات الظلمانية.

(١) الوسائل ٩/١٢١.

(٢) البحار ٦٠/٢٠.

(مسألة ٣٦٣) الظاهر وجود ملازمة اجمالية وتداخل بين الاستعاذة اللفظية والاستعاذة المعنوية، فاللفظية مقدمة للمعنوية وترشح عنها، لتكون النفس مؤهلة لمنازل الفضيلة والكمال والتماس السعادة الأبدية باخلاص العبودية^(١).

ورد عن ابن عباس أن أول ما نزل به جبرئيل على محمد عليه الصلاة والسلام : قل يا محمد أستعِذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قال ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ^(٢) وفيه بيان لموضوعية الاستعاذة ومنزلتها في مراتب العبادة والصلاح ، ودليل على أنها مقدمة حميدة للتلاوة ، وإصلاح للذات للسياحة في كنوز القرآن .
والاستعاذة مستحبة ، وهي قولك (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).
ولا مانع من تعدد صيغتها للنص واتحاد المعنى والمفهوم .

معجزة الإستعاذة

كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من الإستعاذة ، ومن المستعاذ منه فكان يستعِذ من الشيطان ، ومن الفقر ، ومن العجز ، ومما يترشح عن الغنى من الفتنة ، ومن الكسل ، والجبن ، والبخل ، والهرم ، والغفلة ، والعيلة ، والدلة ، والمسكنة ، والشقاق ، والنفاق ، والسمعة ، والرياء ، والصمم ، والبكم ، والجنون ، والجذام ، ومن عذاب البرزخ من عذاب النار ، والبرص ، وسوء الأسقام ، وفيه مدرسة في الإستعاذة ، ودعوة للمسلمين للملازمة الإستعاذة وعدم التهاون أو التفريط فيها .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص الإستعاذة وجوه :

الأول : تلقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأمر الإلهي بالاستعاذة من الشيطان الرجيم .

(١) أنظر الحجة ج ١ / ٢٨١ .

(٢) سورة الفلق ١ .

الثاني : قانون إكثار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الاستعاذة من الشيطان الرجيم .

الثالث : شمول المسلمين بالخطاب القرآني إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعاذة من الشيطان .

الرابع : استعاذة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشيطان عند الإبتداء بالتلاوة والصلاة ، وعلى المنبر ، وفي أحاديثه ، منها (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ فَأَعْطُوهُ)^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد وجوه استعاذته من الشيطان والبلاء الظاهر والخفي ، فقد استعاذ من الدين وشماته الأعداء ، ومن الهرم ، ومن سوء القضاء ، ومن درك الشقاء ، وجهد البلاء ، ومن الجنون^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إكثاره من الإستعاذة وترغيب المسلمين بالإستعاذة بالله ، وفيه منع من الغلو بشخصه الكريم لأن الإستعاذة إقرار بالحاجة إلى رحمة الله .

قانون الإستعاذة احتراز عام

لقد أمر الله تعالى النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعاذة ، ومنه ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣) ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توجه الخطاب والأمر القرآني له ، ولكن المقصود الأمة بأجيالها المتعاقبة وعلى نحو المجموع الإستغراقي للأولوية ومناسبة الحكم والموضوع ، فاذا كان النبي المعصوم مأموراً بالاستعاذة فغيره أجدر بإتيانها والمواظبة عليها .

(١) مسند أحمد ١٦٨/٥ .

(٢) أنظر سنن النسائي ٤٥٧/٤ .

(٣) المؤمنون ٩٧ .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اقتداء المسلمين به في سنته القولية والفعلية ، وأنهم أولى منه بالإكثار من الإستعاذة ، مع تأكيد قانون لا تصح الإستعاذة إلا بالله عز وجل واللجوء إليه .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تنمية وتثبيت ملكة الإستعاذة عند أجيال المسلمين إلى يوم القيامة ، وبيان أن الإستعاذة واقية وحرز جعله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تركة عند المسلمين .

ويدل قوله تعالى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَنبَغُ مِنْ أُيْدِهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(١) ، على أن فتنة إبليس قريبة من كل إنسان لتكون الإستعاذة حصناً وواقية منها .

والاستعاذة إقرار من العبد بالعجز عن مواجهة الإبتلاء والإفتتان ، فهي نوع معرفة بالله عز وجل وتعلق قدرته بالمقدورات جميعاً لإشتراكها في الإمكان وملازمة الحاجة للممكن ، ولإنتفاء المانع لأن المقتضي قدرة الله تعالى ، وهي مطلقة ومتساوية بالنسبة للجميع لتجردها من الزمان والمكان والجهة .

والاستعاذة مصداق لفظي خارجي في أوانه المحدد ، مع موضوعية الاستعاذة المعنوية باستكمال صفات الصلاح وإحاطة النفوس بقيود الإيمان ، وواقية التقوى لتكون حرزاً من رذائل الأعمال وإغواء الشيطان ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

وتدخل هذه المنافع في العلة الغائية للإستعاذة وفي أصل تشريعها والحكمة منها لتكون من وظائف الاستعاذة ايضاً ، لتصير سلاحاً مركباً ، وحصانة للنفس ، ومناسبة للإلتفات المتجدد إلى صلاحها .

(١) سورة الأعراف ١٦-١٧ .

(٢) سورة القلم ٤ .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر والخطاب القرآني بالإستعاذة متوجه إليه مع تعدد هذه الخطابات ، وليس في القرآن لفظ (استعيذوا).

وحتى سورة الفلق والناس ابتدأت كل واحدة منها بـ (قل) ففي سورة الفلق ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(١).

والتقدير على وجوه :

الأول : قل يا رسول الله أعوذ برب الفلق .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا قولوا نعوذ برب الفلق .

الثالث : يا أيها المسلم قل أعوذ برب الفلق .

الرابع : يا أيها المسلمة قل أعوذ برب الفلق .

الخامس : يا أيها الناس قولوا نستعيذ برب الفلق .

وذاات الوجوه بالنسبة لسورة الناس وموارد الإستعاذة الأخرى.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه الإمام الذي يقتدي به المسلمون والناس في مسالك الإستعاذة من الشيطان ، ومنها انتفاع المسلمين والناس من الخطاب الإلهي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كثرة استعاذته بالله ، ونزول شآبيب الرحمة على الناس باستعاذته وتلاوة المسلمين لآيات الإستعاذة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾^(٣) أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله استعاذة حذفت الكلام عليه ، ولأن الإستعاذة نوع مقدمة للقراءة .

(١) سورة الفلق ١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة النحل ٩٨.

ومن خالف المشهور والمتبادر قال بأن المراد هو الإستعاذة عند الفراغ من قراءة القرآن .

ومن صيغ الإستعاذة :

الأولى : أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي .

الثانية : أعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد .

وكل واحدة منهما لم ترفع إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو أهل البيت .

الوقاية من الآفات

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعليم المسلمين الوقاية من الآفات بالدعاء وابتداء واختتام اليوم بالإستعاذة.

وهل تلاوة المسلم لآيات القرآن من المعنى الأعم للإستعاذة والإستجارة بالله عز وجل ، الجواب نعم ، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن .

وعن (علقمة بن قيس قال : قلت لعبد الله بن مسعود : من كان منكم مع النبي صلى الله عليه وآله ليلة الجن .

فقال : ما كان منا معه أحد، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة، فقلنا اغتيل رسول الله صلى الله عليه وآله أو استطير، فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حرا، فقلنا: يا رسول الله أين كنت لقد أشفقنا عليك .

وقلنا له بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك، فقال لنا: إنه أتاني داعي الجن فذهبت أقرئهم القرآن، فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. فأما أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه.

وعن أبي روق قال : هم تسعة نفر من الجن قال أبو حمزة الثمالي : وبلغنا أنهم من بني الشيبان وهم أكثر الجن عددا، وهم عامة جنود إبليس، وقيل: كانوا سبعة نفر من جن نصيبين، رآهم النبي صلى الله عليه وآله فآمنوا به ، وأرسلهم إلى سائر الجن^(١) قال تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمَعَ

نَقَرُ مِنَ الْجِنِّ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿١﴾.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه رسول للإنس والجن ، وهدايته لطائفة من الجن ليتوارثوا الإيمان .

معنى الشيطان

هل المقصود من الشيطان المستعاذ منه إبليس أو الأعم منه .
الجواب إنه أعم من إبليس ، والألف واللام للجنس وليس للعهد لأن المراد بالشيطان ما كان شراً مطبقاً بالذات والعرض .
والمدار على عموم اللفظ لا خصوص السبب فلا تنحصر الاستعاذة بالتوقي من إبليس وحده وإن كان الفرد الأهم والأصل المستديم في الشر والإفتتان ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٢).

والشيطان مأخوذ من الشطن وهو البعد ، يقال شيطان دارك أي بعد ، ولأن الشيطان يتلبس بالمعصية والجحود فانه ابتعد عن الرشاد والسداد أو طرد من رحمة الله ، أو كلاهما معاً لما بينهما من نوع ملازمة وتسيب .

والرجيم : فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم ، وفي التنزيل ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تُنْتَهُ لَارْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٣).

(١) سورة الجن ١-٢.

(٢) سورة الحجر ٣٨.

(٣) سورة مريم ٤٦.

و(عن ابن عباس في قوله {لأرجمنك} قال : لأشتمنك {واهجرني ملياً} قال : حيناً)^(١).

ونعت الشيطان بهذا الوصف لأمر الله تعالى الملائكة برمي إبليس بالشهب والثواب طرداً له من عالم السماوات ، ثم وصف به كل شرير متمرد ، وفي تعميم هذا الوصف وعيد وإنذار وتخويف لهم ، وتحذير للمؤمنين من شرهم ، وجاءت الاستعاذة مطلقة عامة كما وردت شخصية خاصة .

وهل الشيطان من المجردات أم أنه من عالم الخلق والمادة ، وغير مجرد عن الزمان والمكان والجهة ، الأصح هو الثاني لأنه لو كان أمراً عقلياً لما كان مزاحماً أو مضاداً لشيء .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رؤيته للشيطان بحضرة أصحابه ومبادرته للإستعاذة بالله منه مع لعنه للشيطان .

و(عن أبي الدرداء قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً .

فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب بن ولدان أهل المدينة الاخذ بحلق الشيطان وخنقه في الصلاة)^(٢).

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلقي الأذى من شياطين الجن إلى جانب الأذى الذي تلقاه من شياطين الأنس ، ومن

(١) الدر المنثور ٤٦٦/٦.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ١٩٦/١.

خصائصه أن الله عز وجل نصره عليهم بالمعجزة ، وفيه دعوة للناس للتصديق برسالته ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١).

المراد من الشيطان

يحتمل لفظ الشيطان في الاستعاذة وجهين :
الأول : إرادة العهد في الألف واللام في لفظ (الشيطان) والمراد إبليس على نحو الحصر والتعيين .

الثاني : إرادة الجنس ، والمراد شياطين الجن والإنس .
والصحيح هو الثاني ، فالمراد إبليس وأعوانه ، ويشمل كل متمرعات من الجن والإنس ، قال تعالى ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا...﴾^(٢) لورود نعت الرجيم ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، والمراد أنه طريد من رحمة الله ، وفي التنزيل ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(٣) نعم يكون الوجه الثاني أعلاه في طوله ، وتشمله الاستعاذة كفرع من الأصل .

وجاءت الاستعاذة بصيغة المضارع ﴿وَقُلْ رَبِّ اعْزُودْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ^(٤) لأنها دعاء ولجوء إلى الله عز وجل في مستقل الأيام ، وهل هي من مصاديق الاستغفار ، الجواب لا ،

(١) سورة الأنعام ١١٢.

(٢) سورة الأنعام ١١٢.

(٣) سورة الحجر ٣٤-٣٥.

(٤) سورة المؤمنون ٩٧-٩٨.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾^(١).

والإستعاذة سلاح الأنبياء والأولياء والمسلمين عامة في جميع الأزمان ، ولما احتجت الملائكة على جعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض ، قال الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) فاذعنوا وأقروا بحكمة الله ، وأن خلافة الإنسان في الأرض من بديع صنع الله ، ومن علمه تعالى أنه علم الإنسان الإستعاذة ، وجعلها سلاحاً وواقية من إبليس وجنوده ، ليكون من عمومات لعن إبليس في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٣) أن المؤمنين يستعيذون بالله منه ، ويطردونه من قلوبهم ويحترزون من إغوائه.

وجاءت الإستعاذة على لسان أم مريم كما ورد في التنزيل ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٤) وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا الشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِحاً مِنْ مَسَةِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا)^(٥).
ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم العناية بالطفل من حين ولادته

(١) سورة آل عمران ١٣٥ / أنظر الأجزاء الثلاثة (١٠٠-١٠١-١٠٢) التي اختصت بتفسير هذه الآية من سورة آل عمران .

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الحجر ٣٥.

(٤) سورة آل عمران ٣٦.

(٥) مسند أحمد ٤٥٥/١٦.

بحث أصولي / معنى الفتح

المتبادر من معنى الفتح هو النصر وقهر العدو ، ودخول داره والإستيلاء على ماله ، والتبادر من علامات الحقيقة ، كما بيناه في علم الأصول .
ولكن القرآن جاء بمعنى آخر للفتح وهو الصلح ووقف القتال ، ليكون خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التبدل النوعي في الوقائع ونتائجها ، وفي المسميات لما فيه الرحمة والإحسان والصلاح ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ونزل القرآن بتسمية صلح الحديبية ﴿فَتَحَامِيْنَا﴾^(٢) .

ويحتمل إطلاق القرآن اسم الفتح على صلح الحديبية وجوهاً :
الأول : إنه من الحقيقة ، ووضع هذا الاسم للصلح .

الثاني : هو من المجاز الذي انتقل إليه الاسم من معنى آخر بينه وبين المعنى الذي وضع له نوع علاقة مشابهة مع قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي للفتح الذي هو دخول البلد عنوة وقهراً .

الثالث : إنه من الحقيقة الشرعية ، وهو استعمال الشرع للفظ في مسمى آخر غير الذي وضع له في اللغة ، بما هو أخص من المسمى اللغوي الذي وضع له اللفظ بتقادم الأيام وكثرة استعمال اللفظ في المعنى الشرعي .
كما في لفظ (الصيام) الذي هو لغة الإمساك وانصرافه إلى العبادة المعروفة من الإمساك عن الأكل والشرب والجماع .

واستعمال لفظ (الصلاة) و(الحج) و(النكاح) و (الربا) من غير أن يمحى المعنى الذي وضع له اللفظ في أصل اللغة ، قال تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٣) .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة البقرة ٢٧٥.

ومنهم من قيد الحقيقة الشرعية بهجران المسمى الذي وضع له اللفظ في أصل اللغة مطلقاً ، والواقع بخلافه .

الرابع : هو استعمال اسم الفتح في صلح الحديبية من النقل الموضوع له إلى المعنى المستحدث .

الخامس : إنه من المشترك اللفظي بمعنى وضع اسم الفتح لدخول البلد عنوة للصلح بين طرفين أيضاً .

وعلى فرض هذا المعنى فمثلاً يكون الصلح فتحاً لطرف واحد أم لطرفين ، ولا بد من قرينة وبيان .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن صلح الحديبية فتح خاص له ، ومن ورائه الصحابة والأمة ، لقوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^(١) .

السادس : المراد من الفتح في قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^(٢) فتح مكة والذي سيتم بواسطة صلح الحديبية ، فالصلح وسيلة وواسطة ومقدمة سلمية .

ولكن السنة النبوية خلاف هذا المعنى إذ أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن ذات صلح الحديبية فتح بذاته لحديث (مجمع ابن جارية الأنصاري قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إلى كراع الغميم إذا الناس يوجفون الأباعر فقال الناس بعضهم لبعض : ما للناس؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرجنا مع الناس نوجف .

فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على راحلته على كراع الغميم فاجتمع الناس عليه ، فقرأ عليهم : { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا }^(٣) .

(١) سورة الفتح .١

(٢) سورة الفتح .١

(٣) سورة الفتح .١

فقال رجل : يا رسول الله : أو فتح هو؟ قال : والذي نفس محمد بيده إنه لفتح^(١) .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان وتفسير القرآن بما فيه تفقه المسلمين في الدين ، وشكرهم لله عز وجل ، ومنع الخلاف والإختلاف والريب بينهم .
والمختار هو الأول والثالث والرابع أعلاه .

وأن إطلاق القرآن اسم الفتح على صلح الحديبية وتأکید النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذا المعنى آية ونعمة ومدرسة من غير أن يحى المعنى اللغوي والمسمى الذي وضع له اسم الفتح.

الصلح حجة على المشركين

لقد كانت الحديبية صلحاً ، والأصل هو الثناء على طرفي الصلح ، ولكن قانوناً يحكم الحياة الدنيا ، وهو منع وصول المدح والثناء إلى الذين كفروا لتخلفهم عنه بتركهم الواجب ، وعلة الخلق ، وهو التوحيد ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) ولإصرارهم على فرض شروط على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهم ينصبون الأصنام في البيت الحرام ، ويقومون بتيسير حج المشركين ، ولكنهم يمنعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار الذين لا غاية عندهم في دخول مكة إلا أداء المناسك ، وقول (لييك اللهم لييك ، لييك لا شريك لك لييك) وهذا النداء شاهد على استدامة السلم وعدم نسخ آياته .
لقد علم المسلمون أن أداء حج البيت الحرام واجب عيني على المسلم البالغ العاقل المستطيع لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، والأحاديث النبوية

(١) الدر المنثور ٢٠٨/٩ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران ٩٧ .

في وجوب الحج ، فلا يجوز صدّ المشركين لهم عن البيت الحرام .
ومن خصائصه تهيئة المسلمين للصلح ، وفضح المشركين بهذا الصلح ،
وابتات عجزهم عن استئصال الإسلام.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كشف رضاه
بشروطهم في صلح الحديبية استكبار قريش وأنه أظهر وهنهم وضعفهم
وحملهم على الصلح ، وعجزهم عن القيام بغزو المدينة أو التعدي على
المؤمنين ، وعدم الممانعة بدخول القبائل في الإسلام لمدة عشر سنوات ،
وفضح قبح أفعال صلح الحديبية قريش وحلفائهم من مصاديق تسميته من
عند الله ﴿قَتَحَا مَيْتًا﴾^(١).

وهل صلح الحديبية من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ
يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) نعم ، ليس عند كفار قريش من أسباب دفع
العذاب عنهم ، فلا إيمان ولا عمل صالح ولا تعاهد منهم لأمانة ولاية
المسجد الحرام ، فلا شئ يمنع من نزول العذاب بساحتهم ، فقد خلوا بينهم
وبينه باختيارهم وإصرارهم على الظلم والجور.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن صلح الحديبية
مناسبة لتدبر الناس في معجزاته ، والمبادرة لدخولهم الإسلام ، قال تعالى
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة الأنفال ٣٤.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُكَ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١﴾ .

شواهد الصلح

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والشواهد على أنه لا يريد القتال ولا يسعى للغزو وأن آيات السلم محكمة عقده (صلح الحديبية) ورضاه بشروط المشركين.

وقد يقال أن الصلح أمر يقع في كل زمان بين طرفين أو أطراف متخاصمة أو متحاربة ، وقد يتم بلا حرب أو قتال .

والجواب نعم ، ولكن صلح الحديبية تتجلى فيه معالم النبوة ، وسلطان الوحي والتنزيل في عالم السلوك والفعل من جهة المسلمين ، ومن طرف المشركين .

فمن أسرار الوحي عدم انحصار موضوعه وحكمه بالسنة النبوية القولية والفعلية ولا بسيرة ومنهاج المسلمين ، إذ تظهر مصاديقه وأثره حتى في أحوال المشركين وعملهم ، وخذلانهم وظهور الإرباك والخوف والفرقة في صفوفهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصاحبة الوحي له في معارك الإسلام ومقدماتها ، وهو من سبل نصر الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٢) .

ومن إعجاز الآية أعلاه وشواهد نصر الله الذي تذكره الآية عدم خسارة وهزيمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أي معركة من معارك الإسلام مع أن المشركين هم الذين كانوا يختارون أوانها ومكان وقوعها وكيفيتها ، ويأتون بأعداد من الرجال وأسلحة أضعاف المسلمين وما عندهم

(١) سورة النصر ١-٣ .

(٢) سورة غافر ٥١ .

من العدة .

إذ لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يخفون أمرهم
فالدعوة إلى الإسلام علنية ، والنفير إلى الدفاع اختياري في الجملة مع قلة ما
في اليد من المال والظهر والسلاح ، قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا
كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ^(١) .

وهو لا يتعارض مع قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ
رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا
تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ ﴾ ^(٢) .

ومن الإعجاز في اللفظ القرآني المتحد جمعه بين الماضي والحاضر
والمستقبل ، ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ﴾ ^(٣) إخبار وقطع بنصر الله عز
وجل للرسل السابقين ، وهل تشمل هذه الآية الأنبياء ويكون تقديرها إنا
لننصر أنبياءنا .

الجواب نعم ، لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، ولأن لفظ الرسل قد
يأتي في القرآن ويراد منه جميع الأنبياء والرسل ، ويدل على إفادة الآية
عموم الأنبياء قوله تعالى ﴿ وَكَانَ مِنْ نَّبِيِّ قَاتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ ^(٤) فلم
تقل الآية : وكأين من رسول .

ليكون في الآية أعلاه دعوة للمسلمين للشكر لله عز وجل فانهم يدافعون
مع نبي رسول ينزل عليه الوحي ويصاحبه الملك جبرئيل ومن خصائص

(١) سورة التوبة ١٢٢.

(٢) سورة الأنفال ٣.

(٣) سورة غافر ٥١.

(٤) سورة آل عمران ١٤٦.

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته للناس كافة ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وهل صلح الحديبية نصر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أم أن القدر المتيقن من النصر هو بميدان القتال ، الجواب هو الأول ، ومن إعجاز القرآن بيانه لقانون صلح الحديبية نصر بنزول قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تجلت في صلح الحديبية وجوه :

الأول : مقدمات هذا الصلح البعيدة والقرية عند الإعداد للخروج من المدينة إلى مكة برؤيا وحي ، وماهية هذا الخروج وهو أداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه العمرة ، أما القرية فهي اقتراب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحديبية عقد مفاوضات الصلح .

الثاني : بنود صلح الحديبية .

الثالث : نتائج صلح الحديبية .

وفي هذا التقسيم دعوة للعلماء لإستقراء معجزات وخصائص النبي محمد في سعيه للسلم ، وانتفاء الغل والحق من صدره إذ أنه يبذل الوسع للصلح مع المشركين ويرضى بشروطهم مما يدل على عدم إرادته الإنتقام أو البطش أو الثأر.

والشواهد كثيرة من القرآن والسنة ، وكل فرد منها دليل على صبغة السلام التي تتصف بها رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتجلى قانون الإسلام والسلام توأمان.

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) سورة الفتح ١.

قانون منع الغلو بشخص النبي

يبين قوله تعالى ﴿قُلْ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١)، لقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الناس بأنه مخلوق وبشر مثلهم ليس بملك، ولكنه امتاز عنهم بإختياره للنبوته والتبليغ.

وفيها تأديب للمسلمين ومنع تأليه مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن مصاديق جهاد النبي محمد منع الغلو بشخصه الكريم إذ كان يقول لأصحابه.

لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله^(٢)، لذا لم يثن عليه المسلمون الا بما هو حق.

وقد خشي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإفتتان وهو رحمة المنان وأظهر التواضع والعرفان، وهذا ما تدل عليه السيرة والوجدان وبقي سلوكاً لعامة المسلمين على مر الأزمان ، ومن خصائصه أنه كان يقبل دعوة المسكين ويعود المريض ويداعب الأطفال وينشر شآبيب الأمان، ويقوم بحاجة الفقير والضعيف، أثر الفقر والمشقة والجهد على السلطان لتكون حياته مصداقاً، وشاهداً يومياً على صدق نبوته.

ومن خصائصه زهده في الدنيا ، واختياره الآخرة وكان يتوجه إلى الله بالدعاء (اللَّهُمَّ احْنِنِي مِسْكِيناً وَأَمْتِنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ)^(٣).

(١) سورة الكهف ١١٠.

(٢) الدر المنثور ٣/٣٠٣.

(٣) النكت والعيون ٣/٣٧١.

قراءة في علم الرجال

تجلت علوم التحقيق في علم الرجال والدراية ، وفيه وجوه:
الأول : توثيق الأحاديث الصحيحة والمتواترة وإسقاط الأحاديث
 الموضوعية من كتب المسلمين المعتبرة .

الثاني : اجتهاد العلماء في تنقيح سند الأحاديث ، ويمكن القول أن باب
 التفسير أعم من أحكام الفقه وأنه يمكن التسامح فيما يخص المواعظ
 والقصص ونحوها بقبول الحديث المرسل والضعيف سنداً بشرط عدم
 معارضته للكتاب والسنة .

ولا يتعارض مع علم الرجال بنظر الإعتبار ولو على الموجبة الجزئية،
 وبيان نوع الحديث وهل هو من الصحيح أو الحسن أو الموثق أو الضعيف.
الثالث : صيرورة موضوعية لعلم الرجال في علم التفسير ، فالأحاديث
 الواردة في أبواب الفقه تحقق رجالياً تحقيقاً وثائقياً ووافياً ، أما في باب
 التفسير فإنها تذكر إجمالاً في الغالب من غير إشارة إلى صحتها أو ضعفها،
 وحتى الذي لا يقول بجبر المشهور للحديث الضعيف السند ولا يعمل بقاعدة
 التسامح في أدلة السنن تراه في باب التفسير يتسامح في القواعد الرجالية .
 وهناك قولان :

الأول : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين جميع ما في القرآن من
 معاني والفاظ ، وما استدلووا به أن الصحابة كانوا يتعلمون آيات القرآن
 بالتوالي .

عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن
 حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا
 يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم
 يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(١)

(١) تفسير ابن كثير ٨/١ .

الثاني : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبين إلا الشيء اليسير ولم يفسر إلا آيات قليلة .

ويمكن الجمع بينهما أنه لا إفراط ولا تفريط بل منزلة بين المنزلتين، وأن من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضعه القواعد الكلية والمنهجية السليمة والضوابط الصحيحة لعلم التفسير والتأويل بالمصاديق وبيان تفسير جملة من الآيات والتي تصلح أن تكون قواعد كلية في علم التفسير خاصة وأن من التفسير ما يعلمه العرب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

لقد شاء الله عز وجل حفظ اتباع الأنبياء وتعاهد أجيالهم ليكونوا مقدمة لظهور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومادة الدعوة الإسلامية وموضوعها الذي به وفيه تترشح وتنتشر بركات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم متقدمة على زمانه والتي لا تنحصر بما بعد ولادته وبعثته صلى الله عليه وآله وسلم بل كانت البشارات بنبوته عنوان عز وفخر للمؤمنين المتقدمين منهم والمتأخرين وسبباً لبعث الهبة لهم في نفوس السلاطين والملوك ، لتقف وراء عدم تجرأهم على غزو الجزيرة وأرض الحرمين . فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تهيئة مقدمات بعثته باعجاز ومدد من عند الله عز وجل ، فلا تختص معجزات النبي محمد بما جرت على يديه ، بل منها ما هو سابق لأيامه .

قانون تأكيد التنزيل لصدق النبوة

تؤكد آيات القرآن مجتمعة ومتفرقة صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنها آية من عند الله للعالمين جميعاً، وتبين رحمة الله عز وجل بالناس عموماً وهي من مصاديق صفة (الرحمن) لأن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة بالناس ووسيلة سماوية للهداية .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن ما ينزل عليه يبعث السكينة في قلبه وقلوب المسلمين ، ويتضمن فضح أهل الباطل ، لأن الباطل لا يستطيع معارضة الحق والرسالة السماوية ، قال تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

وبيّن القرآن على نحو يومي بتلاوته في الصلاة الفصل بين أهل الإيمان والكفار ، ويدعو الى المسلمين إلى بذل الوسع للتفقه في الدين .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلاوته القرآن خمس مرات في اليوم في الصلاة الواجبة لإرشاد المسلمين لأحكام الحلال والحرام ، وتنمية الملكة العامة للعمل والتقيد بها .

ومن خصائصه قيامه ببحث المسلمين للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإعتصام بالله عز وجل ونبد الفرقة ، ومن خصائصه تعدد أدعيته لأمته وورد ان النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم القيامة (أمتي ، أمتي)^(٢).

وكل آية قرآنية وثيقة سماوية وحرب على أهل الجحود والذين يحاولون نشر الشك والريب .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن نسبة رسالته إلى الله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾^(٣) وعد كريم لظهور الإسلام وعلان كلمة الحق والمدد الغيبي للمسلمين ، ولتكون رسالته هدى للمسلمين ووعيداً وتخويفاً للكافرين ، لقد ورد قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ سبع مرات في القرآن كل واحدة منها خطاب إلى النبي محمد صلى

(١) سورة الإسراء ٨١.

(٢) الدر المنثور ١٦/٤.

(٣) سورة البقرة ١١٩.

الله عليه وآله وسلم يتضمن التكليف ولزوم بذل الوسع في الدعوة إلى الله وهي :

الأولى : قوله تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنِ يَشَاءُ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣).

الرابعة : قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).

الخامسة : قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٥).

السادسة : قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

السابعة : قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَبَا وَإِن تَصْبِهِمْ سَبَّةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾^(٧).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن آيات القرآن بشاراة النصر وإخبار عن استدامة العون الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة النساء ٨٠.

(٢) سورة الإسراء ٥٤.

(٣) سورة الإسراء ١٠٥.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٥) سورة الفرقان ٥٦.

(٦) سورة سبأ ٢٨.

(٧) سورة الشورى ٤٨.

وسلم وعزله ، وخيبة للكافرين وإنذار لمن يكفر برسالته ووعيد بأن النار مثواه ، وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾^(١) دلالة على اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلزوم دعوته إلى الله عز وجل والتوجه لنشر الإسلام وجذب عامة الناس وتمكين أحكام الإسلام من قلوب الناس ، وعدم الإنشغال بأهل الضلالة.

عموم الدعوة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفضل الله عز وجل بارساله إلى الناس جميعاً ، العربي وغير العربي ، والأبيض والأسود ، وفي خطاب وأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا... ﴾^(٢).

و(عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن ربكم واحد ، وأباكم واحد ، ولا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)^(٣) . ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجيؤه بالمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، وسلامة أحكام الشريعة الإسلامية عن الظلم وأسباب الفساد.

ومع عزلة الجزيرة فقد كان عدد من الصحابة من غير العرب منهم سلمان الفارسي ، وبلال بن رباح الحبشي ، وصهيب الرومي ، وذكر أن صهيباً عربي سباه الروم وهو غلام صغير فهو (صهيب بن سنان: بن مالك ويقال خالد بن عبد عمرو بن عقيل ويقال طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط النمري أبو يحيى.

(١) سورة البقرة ١١٩.

(٢) سورة الأعراف ١٥٨.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٤٦٢/١٠.

وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً قال بن سعد وكان أبوه وعمه على الأبله من جهة كسرى وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل فنشأ صهيب بالروم فصار أكن ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي فأعتقه ويقال بل هرب من الروم فقدم مكة فحالف بن جدعان.

وروى بن سعد أنه أسلم هو وعمار ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار الأرقم ونقل الوزير أبو القاسم المغربي أنه كان اسمه عميرة فسماه الروم صهيياً قال: وكانت أخته أمة تشده في المواسم وكذلك عماء لبيد وزحر ابنا مالك^(١).

وهل من صلة بين اختتام النبوة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين عموم دعوته الناس جميعاً للإسلام ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٢).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأولى : الجمع بين ختم النبوة برسالته فلا نبي بعده ، وبين توجهه للناس جميعاً بدعوتهم إلى مسالك الهدى والإيمان .

الثانية : إتصال وتجدد دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإسلام في كل زمان ، وهو من مصاديق تلاوة المسلمين للقرآن كل يوم وإلى يوم القيامة .

الثالثة : حضور السنة النبوية في الوقائع والأحداث .

الرابعة : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقاء صلاته في الأرض يأتي بها الملايين ، خمس مرات في اليوم ، وهو من مصاديق قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(٣).

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٤٦/٢.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

(٣) تفسير القرطبي ٧٢/١.

السنة النبوية شاهد صدق

السنة النبوية خير شاهد على صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
فقد حاربت قريش الرسول الأكرم وأرادوا قتله في فراشه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ
يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم ينشغل
طويلاً بمخاطبة ودعوة واستعطاف عظماء قريش للإسلام مع الحجة عليهم
لحسن حالهم وشأنهم من المنزلة الاجتماعية والسياسية والتأثير في القبائل
العربية بل وما لهم من سطوة عانى من آثارها النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم نفسه والمسلمون الأوائل ، قال تعالى ﴿لَا يَلَاكُ قَرْشٌ * إِلَّا فَنَّهُمْ رَحِلَةً الشَّاءِ
وَالصَّيْفِ﴾^(٢).

فلم يتوقف نشر الإسلام عليهم ، وحصر الدعوة أو جلها بهم مضیعة
للوقت ومجازفة بمجهود أهل الإيمان.

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يتصرف بوحى
من الله تعالى فقد هاجر إلى المدينة وقبلها إلى الطائف وكان يتصل بقبائل
العرب ووفودهم في الموسم ، ليصبح الإسلام قوياً من غير رجال قريش
رغم شدة محاربتها له .

وتبين كتب السيرة والتاريخ ان بعض ساداتهم لم يسلموا الا عام الفتح
وبعد ان فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة مسلماً .

ولو وظفت الدراسات الجغرافية والبعد المكاني بين مكة والمدينة والذي
يلغ نحو أربعمئة وخمسين كيلومتراً ووعورة طريق الهجرة وما فيه من
المشاق والمخاطر واعتماد الراحلة وسيلة للنقل لأدرك الناس ما في الهجرة

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

(٢) سورة قريش ١-٢ .

من مضامين الجهاد والصبر ودلائلها على الإيمان، وكذا بالنسبة لموضوع هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف.

انها مدرسة القرآن والنبوة متجسدة بالسنة فقد لا تجد الدعوة اذناً صاغية عند من اعتادوا على افكار وعادات معينة واخذتهم العزة والكبرياء من ان يستجيوا للدين الجديد ولدعوة تهدد كياناتهم التي انشئت بقواعد الأفكار المتعارفة السائدة وارتكزت على مفاهيم ساذجة محورها الضلالة .

وان مسألة الواجب التعبدى والأفضل والأحسن ، وضرورة ترك الأسوأ لا تطرأ على بالهم ولم يجعلوها في معجم افكارهم، همهم ان يحافظوا على ما هم عليه وما ورثوه من آباؤهم ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١).

فكان من الأمر الإنطباعي ان يقابل هؤلاء الكفار بجهالة الدين الجديد بالرفض وعدم الإستجابة ولو دون التصريح بالرفض والجحود ، قال تعالى ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِيلُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾^(٢).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مواجهة العتاة والطغاة والإعلان بآيات القرآن بلزوم خضوعهم لأحكام المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، ونبد الظلم .

وقد صدر الجزء الخامس والستون بعد المائتين من تفسيري (معالم الإيمان) خاصاً بتفسير آية واحدة من القرآن مع قلة كلماتها وهي ﴿لَا يَغْرُرُكَ تَقْلِيلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(٣).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توجه الخطاب له وارادة أجيال المسلمين بعدم الإفتتان بما عند المشركين من المال والجاه

(١) سورة البقرة ١٧٠.

(٢) سورة غافر ٤.

(٣) سورة آل عمران ١٩٦.

والنعيم وبشارة زوال سلطان كفار قريش إذ تتضمن الآية التي بعدها هذه البشارة بقوله تعالى ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبُشْرِ الْمُهَادِّ﴾^(١).

ويبرز جحود المشركين خارجاً بلجاج وسؤال تعجيزي ، لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قهر المشركين بالحجة والبرهان ، لذا ترى عدداً من رؤسائهم يبادرون إلى دخول الإسلام ، ومن خصائصه تلقيهم بالود والرضا ، وكان يقول (والإسلام يجب ما كان قبله)^(٢).

أي يحو دخول الإسلام والتوبة الآثام التي قبله ، ومنها الشرك بالله.

النبوة أمانة

ليس من حصر لمصاديق وأفراد الأمانة التي جعلها الله عز وجل عند الناس ، قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٣).

ترى ما هي النسبة بين خلافة الإنسان في الأرض وبين حمله أعباء الأمانة ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فالأمانة فرع الخلافة . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوزه بمرتبة الخلافة وأسمى مراتب الأمانة ، وكان يسمى قبل البعثة (الأمين). وعن زيد بن أسلم قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأمانة ثلاث : الصلاة ، والصيام ، والغسل من الجنابة)^(٤).

(١) سورة آل عمران ١٩٧.

(٢) البحار ٢٣/٦ .

(٣) سورة الأحزاب ٧٢.

(٤) الدر المنثور ٨/٢٢٠.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته أمانة عند المسلمين وعموم أهل الأرض وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١).

لقد عميت أبصار وبصيرة الذين كفروا عن قانون وهو أن الناس ينقسمون في موضوع النبوة إلى قسمين :

الأول : نبي مبعوث من عند الله بالمعجزة .

الثاني : متلقي من النبي .

ليتجلى قانون وجوب اتباع الأنبياء، والنبي هو الواسطة بين الله عز وجل وبين الناس جميعاً ولكن الناس في صلتهم مع النبوة على مرتبة وعرض واحد فلا ينقسمون الى درجات ومراتب الا فيما يتعلق بالإمامة والصحبة والتقوى والإخلاص ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢).

وليس في نواميس السماء اختصاص فرد أو جماعة دون غيرهم بآيات النبوة كحجة وبرهان، بل هي نعمة توجه للناس جميعاً وان جاءت حسية حيث يشاء الله وهي حيثئذ ايضاً موجهة للناس من خلال القضية الشخصية والواسطة، ولكن إيمان العبد يجب ان لا يتوقف على رؤية الآية الشخصية او يكون معلقاً عليها، بل عليه ان يكتفي بالآيات العامة والخطابات التكليفية. ويتضمن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ اضافة الفعل والأمر إلى الله تعالى وما النبي إلا رسول يبلغ أوامر الله تعالى .

وهذه النسبة نسبة الفعل إلى الله تعالى نوع إكرام للناس ، وتخويف وتهديد للكفار ، فمن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس له

(١) سورة سبأ ٢٨.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

من الأمر إلا التبليغ فلا يطلبون منه كل شيء ، قال تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).

البعث بالحق

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الله عز وجل هو الذي أرسله للناس بالقرآن والمدد والعون منه تعالى ، ومنه نزول الملائكة لنصرته في دفاعه في معركة بدر ، ومعركة أحد ، والخندق ، قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(٢).

ومن أسماء الله تعالى (الحق) وهو الموجود بذاته الدائم المتحقق وجوده وحياته وعظيم قدرته ، وبديع صنعه من غير زوال أو فناء ، وفي التنزيل ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعثته من عند الله بالحق ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٤)، وفي ﴿بِالْحَقِّ﴾ عدة وجوه :

الأول : أي بالقرآن عن ابن عباس ، وقيل دليله ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾^(٥) والمختار أن معنى الحق في الآية أعلاه أعم .

الثاني : الإسلام وشرائعه .

الثالث : أي بعثناك على الحق .

الرابع : بالصدق .

(١) سورة آل عمران ١٢٨.

(٢) سورة الأنفال ٩.

(٣) سورة الحج ٦.

(٤) سورة فاطر ٢٤.

(٥) سورة ق ٥.

الخامس : الحق سور الموجبة الكلية للأحكام الشرعية والبشارات والإنذارات .

السادس : تفيد الباء في (بالحق) المصاحبة والملابسة .
لييان مصاحبة الحق والوحي لشخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سنته القولية والفعلية .

السابع : إخبار النبي محمد بصيغة اليقين عن عالم الحساب والجزاء في الآخرة .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد مصاديق الحق والصدق في رسالته بما يمنع من الشك أو الريب فيها .
وورد لفظ (لاريب) أربع عشرة مرة في القرآن ، وموضوعها على شعبتين :

الأولى : القرآن ، قال تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١) .
الثاني : يوم القيامة ، وفي التنزيل ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢) .

فمن الحق بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن عليه وإخباره عن اليوم الآخر .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهادة الله بصدق رسالته ووجوه اليقين الذي تخبر عنه آيات القرآن وما فيها من البشارة وثبات الدين وانه لا يقبل التفكيك او التفريط ببعض أحكامه ولا يجوز التخاصم فيه اذ لا واسطة وبرزخ بين الحق والباطل للتضاد بينهما ، ومن

(١) سورة البقرة ٢.

(٢) سورة آل عمران ٩.

خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دلالة آيات القرآن على سيادة شعائر الإسلام، قال تعالى ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾^(١). فلا غرابة ان يخرج المسلمون في كتائب دفاعية لملاقاة الكفار والمشركين.

صفة البشير النذير

من خصائص النبي محمد اجتماع صفتين للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أنهما من رشحات بعثته بالحق وصفته بشيراً ونذيراً ، وتأتي معهما في آية صفة الشاهد التي إذ تكرر الخطاب من الله إلى النبي ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتماع هذه الصفات الكريمة له من بين الأنبياء .

ليبان حقيقة وهي أن كل بشارة وكل إنذار نزل به القرآن أو جاء على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صدق ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^(٣) ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان وتوثيق قصص الأنبياء بما فيه الموعظة والحجة ، وفيه مسائل :

الأولى : ظهور الآيات وبيان الحقائق وإن من خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم إمكان إخفائها وورد في ذم قوم قوله تعالى ﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَآتُمُّوْنَ تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

الثانية : تنزه نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الهوى واتباعه ، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٥).

(١) سورة الأنبياء ١٨.

(٢) سورة الفتح ٨.

(٣) سورة آل عمران ١١٠.

(٤) سورة آل عمران ٧١.

(٥) سورة المائدة ٤٨.

الثالثة : مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالشرعة الناسخة المتكاملة.

الرابعة : تتضمن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحكام الحلال والحرام ، والفصل بين الناس وأهل الملل.

الخامسة : من الحق الوعد الكريم بالجنة للمتقين ، قال تعالى ﴿وَأُزِلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، ومن الوعيد للكفار بالعذاب الأليم ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿بِالْحَقِّ﴾ بشارة ظهور الإسلام ومنعة دولته ، ولما أخبرت الآية عن كون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشيراً ، جاءت ذات الآية بالبشارة له من الله ، فلفظ (بالحق) بشارة من الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسكينة له وللمؤمنين.

ترى لماذا لم تقل الآية بشيراً ونذيراً بالحق ، والجواب يكون المعنى حينئذ حصر الحق بالبشارة والإنذار ، بينما رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعم ، منها الشهادة على الناس في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٣) ، وفيه دعوة متجددة للإيمان ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٤).

ولإفادة أن الرسالة ذاتها بالحق وأنها وسيلة وموضوع للحق ، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه جاء بنجاة الناس من العذاب في الدنيا والآخرة باختيار الإيمان .

(١) سورة الشعراء ٩٠.

(٢) سورة فاطر ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب ٤٥.

(٤) سورة فاطر ٢٤.

مصاحبة البشارة والإنذار للناس

البشارة هي الإخبار الذي يتعلق بقادم الأيام ويتضمن الفرح واليسر والسعادة ، ويدخل الغبطة والإبتهاج إلى النفس ، أما الإنذار فهو الإخبار بصيغة التحذير والتخويف .

ومن فضل الله عز وجل ابتداء البشارة والإنذار لآدم وحواء وهما في الجنة ، إذ جمعتهم آيات منها ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

لتستمر البشارات والإنذارات للناس على لسان الأنبياء وفي الآيات الكونية ، والوقائع والحوادث العامة والخاصة ، وما فيه الإعتاظ والإعتبار. ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيامه بالبشارة والإنذار في أمور الدنيا والآخرة ، وفيه بيان لوظيفة ومضمون رسالته ويدل بالدلالة التضمنية على شمول موضوعها أمرين :

الأول : الرحمة والبشارة .

الثاني : الوعيد والإنذار .

من غير تعارض بين القسمين ، ومن الناس من يتلقى الرسالة بالقبول وبعضهم بالتردد والتشكيك ومنهم الجاحدون الذين كتب الله عليهم الخزي في الآخرة ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجلي أهوال عالم الآخرة والثواب والعقاب في رسالته .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأول : نيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صفة البشير النذير .

الثاني : اتصال واستدامة صفة البشير والنذير للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم في كل زمان .

الثالث : دعوة الناس للتدبر في آيات القرآن التي تفيد البشارة والإنذار .

الرابع : السعي لإحصاء آيات البشارة وآيات الإنذار في القرآن ، لبيان موضوعية كل منهما في رسالة النبي ، ومعرفة أيهما أكثر آيات البشارة أو آيات الإنذار .

ومن الآيات ما تجمع بين البشارة والإنذار كما في قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُذَرِّبَهُ قَوْمًا لِّدَا﴾^(١).

والآية مدح وثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان عظيم مسؤولياته وتعددتها وتشعبها وأهليته للقيام بها ، وهي دعوة للناس للإنتفاع مما في رسالته من الهداية والآيات الباهرات ، وإنذار ووعيد لأهل التشكيك والجحود .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفه في القرآن بكونه ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ والذي ورد أربع مرات في القرآن كلها بخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وتبين هذه الآيات المسؤوليات العظيمة التي يقوم بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتعدد وجوه ومضامين الرسالة ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته لا تنحصر بالمسلمين بل تشمل الناس جميعاً ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ...﴾^(٢).

فالمسلم يتلقى البشارة من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذه البشارة من عند الله تعالى لأن الله عز وجل هو الذي أرسل النبي محمداً ليُشِرَ المؤمنين ، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ جَنَّاتٍ

(١) سورة مريم ٩٧.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

(١)، وهو سبحانه الذي أمر النبي محمداً بإنذار وتخويف الكفار بالقرآن وآياته ، قال تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُودٍ﴾ (٢).

والبشارة أعم من الوعد بالخير موضوعاً وحكماً ، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣) ، وكذا الإنذار فانه أعم من الوعيد والتخويف ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ﴾ (٤).

كما ورد الإنذار للناس جميعاً ، المؤمن والكافر في آيات عديدة منها ، قوله تعالى ﴿لَنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٥) ، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦).

ويدل الجمع بينها على المنزلة الرفيعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاديق من تفضيله على الأنبياء الآخرين.

بناء المسجد النبوي بالوحي

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صدور قوله وفعله عن الوحي ، وفيه دعوة للعلماء لتوثيق سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحض لعامة المسلمين بالإنشغال بالأمر ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفضيل الله عز وجل له بمصاحبة الوحي له ، والأمر لأجيال المسلمين بالإقتداء بسنته ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٧).

(١) سورة البقرة ٢٥.

(٢) سورة فصلت ١٣.

(٣) سورة التوبة ٣.

(٤) سورة يس ١١.

(٥) سورة الشورى ٧.

(٦) سورة مريم ٣٩.

(٧) سورة الحشر ٧.

وبعد أن وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة مهاجراً بنى مسجده في وسط المدينة ، وهو الذي يسمى في الأزمان المتعاقبة المسجد النبوي ، وهل كان اختيار موضعه وبناءه بالوحي ، الجواب نعم . ومن علاماته أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ مأمورة ، إذ كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يمر على دور الأنصار ، وكل حي يسألونه أن ينزل عندهم ويقفون أمام ناقته يمنعونها من السير حباً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجاء الفوز باقامته عندهم .

وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصدق ولأصحابه له ، وكان يقول لهم (خلو سبيلها فانها مأمورة) فبعد أن صلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول جمعة في المدينة عند بني سالم بن عوف ركب ناقته ، فجاءه (رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله . أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة لناقته فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وأزنت دار بني بياضة ، تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، في رجال من بني بياضة ، فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فإنها مأمورة فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة ، اعترضه سعد بن عبادة ، والمُنذر بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة .

فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة فخلوا سبيلها .

فانطلقت حتى إذا وأزنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة ، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة فخلوا سبيلها .

فَانْطَلَقَتْ حَتَّى إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ بْنِ عَبْدِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَهُمْ أَخُوَالَهُ دُنْيَا - أُمَّ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ سَلَمَى بِنْتُ عَمْرِو ، إِحْدَى نِسَائِهِمْ - اعْتَرَضَهُ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَبُو سَلِيطٍ أُسَيْرَةُ بْنُ أَبِي خَارِجَةَ فِي رَجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ النَّجَّارِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى أَخُوَالِكَ ، إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ قَالَ خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهَا .

فَانْطَلَقَتْ حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، بَرَكْتَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَرِيدٌ^(١) لَغْلَامِينَ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَهُمَا فِي حِجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ ، سَهْلٍ وَسَهِيلِ ابْنِي عَمْرِو .

فَلَمَّا بَرَكْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا لَمْ يَنْزِلْ وَثَبَتْ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَاضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا لَا يَشْنِيهَا بِهِ ثُمَّ انْتَفَتَتْ إِلَى خَلْفِهَا ، فَرَجَعَتْ إِلَى مَبْرِكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَبَرَكْتَ فِيهِ ثُمَّ تَحَلَّحَلَتْ وَزِمَتْ وَوَضَعَتْ فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ رَحْلَهُ فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرِيدِ لِمَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ : هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِسَهْلٍ وَسَهِيلِ ابْنِي عَمْرِو ، وَهُمَا يَتِيمَانِ لِي ، وَسَارُضِيهِمَا مِنْهُ فَاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا^(٢) .

وفي بروك ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسائل :

الأولى : إنها علامة حسية ظاهرة على إختيار موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : رضا الأنصار وعامة المسلمين في تحديد موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) المرید : الموضع الذي يجفف فيه التمر .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٤٩٤ .

الثالثة : منع الخلاف في موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة مع كثرة الأنصار الذين عرضوا على النبي أن يكون المسجد في أحيائهم .

الرابع : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تعيين موضع مسجده بالوحي له من عند الله ، وبعلامة في بروك ناقته خاصة وأنه قدم له بقوله المتكرر (فانها مأمورة فخلوا سبيلها) .

التحدي بالقرآن

من علامات المعجزة أنها أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة ، وهو الذي يتجلى في آيات القرآن ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون الآية القرآنية تتضمن التحدي من وجوه :

الأول : قانون التحدي العام عن الإتيان بمثل سورة من القرآن ، قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١) .

الثاني : قانون التحدي بمضامين ودلالات الآية القرآنية ، وهو من الشواهد على قانون القرآن معجزة عقلية متجددة .

الثالث : قانون عجز الناس عن إحصاء منافع آيات القرآن من أيام التنزيل وإلى يوم القيامة ، وفي أهوال يوم القيامة قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٢) .

(١) سورة يونس ٣٨ .

(٢) سورة الكهف ٤٩ .

وبيين قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١) إعجازاً من جهة التشابه وزمان نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وبينت الآية وجه الصلة بين أهل الشك والريب ، وهي تشابه قلوب الذين ألحوا على الأنبياء السابقين بسؤال المحال ، وبين الذين يسألون أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سؤال شك وجحود مع أنه جاء بالبراهين والدلالات الباهرات لإتصاف الذين كفروا بالعناد والحسد والإستكبار عن الإقرار بالحق.

وفي قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢) ذم لأهل العناد ، وتحذير من التعنت والإصرار المترشح عن الشك والريب ، فالأصل أن الآيات التي من عند الله تتضمن التحدي والأمر الخارق.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن آيات نبوته معجزة في زمان نزول القرآن وأفراد الزمان الطولية وإلى يوم القيامة. ومن خصائصه :

الأولى : تجدد آيات وشواهد السنة النبوية .

الثانية : كثرة الشواهد على صدق نبوته .

الثالثة : اجتهاد المسلمين في طاعة الله ، وتعاهد التنزيل ، قال تعالى

﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٣).

والقرآن هو الكتاب الذي يدعو الناس للإقرار بالعبودية لله ، وإقامة الفرائض وعمل الصالحات ، فإذا كانت الطبقة المصاحبة لأيام

(١) سورة البقرة ١١٨.

(٢) سورة البقرة ١١٨.

(٣) سورة الإسراء ٧٩.

التنزيل تريد آيات ومعجزات خاصة بها، فإن الطبقات الأخرى تأتي إلى الدنيا والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول القرآن عليه معجزة وآية عظمى لكل الناس على مختلف أزمانهم وأمصارهم وألسنتهم وألوانهم، وفيه زجر عن سؤال المحال، ومنه كلام الله لغير الأنبياء، وفيه دعوة للتدبر في معجزات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم العقلية والحسية فإن فيها كفاية لتحصيل اليقين بصدقه في نبوته.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول القرآن من عند الله بنصرته والترغيب بالدفاع ضد المشركين تحت لوائه والثواب عليه.

ومن الناس من يختار العناد ولا يريد أداء الفرائض والتكاليف، ولا الخروج لميادين الدفاع فتوجه لسؤال المحال.

فنزلت الآيات لفضحه وتوكيد حقيقة وهي أن الله عز وجل تفضل ببيان الآيات والمعجزات، وقد آمن وصدق بها أرباب العقول الذين انشروا صدورهم لقبول الحق، وكانوا مستعدين للتدبر في الآيات وإعلان التصديق بها مع وجود المقتضي وفقد المانع، وفيه توكيد لحقيقة أن الله عز وجل غني عن الذي يسأل الآيات الخاصة والأمر المحال، قال تعالى ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١).

(١) سورة لقمان ١٢.

الإعجاز في اجتماع الضدين

نزل القرآن بالإخبار الإلهي بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نبي رسول ، وأن الله عز وجل اختاره لمقامات الرسالة ونيله مراتب القرب والمشاهدة الحضورية .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتماع الضدين في رسالته وهذا الاجتماع رحمة بالناس فهو البشير الذي يبشر بالجنة والمغفرة، وهو النذير الذي ينذر الكفار والمنافقين بالعذاب الأليم.

وهذا الاجتماع من خصائص الرسالة العامة للناس جميعاً، بلحاظ أن الناس يوم القيامة على قسمين فأما في الجنة وأما في النار ، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(١).

وكل من البشارة والإنذار لطف مستقل ، كما ان الجمع بينهما لطف إضافي بالناس لأنه حث على الإيمان ودعوة للفوز بالجنة، وزجر عن الكفر، وتحذير من العذاب يوم القيامة.

ويتجلى تأكيد هذا الجمع بلحاظ أن البشارة في مفهومها إنذار للذين يعرضون ويحددون عنها ، وأن الإنذار للذين كفروا بشارة للمؤمنين.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشارة الأنبياء السابقين برسالته ومجئ البشارات به عند ولادته ، وحينما ولدته أمه رأت نوراً أضاعت له قصور الشام.

وعن العرباض بن سارية عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إني عبد الله، وخاتم النبيين، وأبي منجدل في طينته، وأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين .

(١) سورة الشورى ٧.

وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأت حين وضعتة نوراً
أضاءت لها قصور الشام ، ثم تلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً
وَنَذِيرًا﴾^(١) إلى قوله {منيراً} ^(٢).

والمجدل هو الطريح الملقى الأرض قبل نفخ الروح فيه ويقال للقتيل
منجدل.

الخطاب القرآني إلى النبي محمد (ص)

لقد جاءت آيات قرآنية خطاباً شخصياً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وأصل الخطاب القرآني هو العموم والشمول الا ان يدل دليل على
إرادة الخصوص مثل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾^(٣).

وهذا الدليل ظاهر في المقام فالرسالة والنبوة خاصة بالنبي محمد صلى
الله عليه وآله وسلم في المقام فلا تشمل المسلمين، الا ان هذا لا يعني عدم
ارادة المسلمين في خطابات القرآن مثل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٤) فيكون الخطاب
خاصاً في لفظه عاماً في حكمه لتبعث هذه الخطابات في نفوسهم العز والفخر
وتدعوهم للثبات في مناهج الإيمان، والمواظبة على العبادات، وتزرع في
نفوسهم اليقين بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وتبين ان الإسلام سعي وعمل، وتتجلى في الآية العناية الإلهية بالنبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعظيم منزلته عند الله، وما فضله الله عز
وجل به على الأنبياء السابقين ويترشح منه الفضل على المسلمين وتغشي
رحمة الله بهم.

(١) سورة الأحزاب ٤٥.

(٢) الدر المنثور ١٧٧/٨.

(٣) سورة الأعراف ١٥٨.

(٤) سورة الفلق ١.

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد أقسام الخطاب القرآني الموجه إليه ، وكذا المقاصد السامية فيه ، وفيه إقرار بمقام الربوبية ودعوة للناس للتسليم بالعبودية له سبحانه، وهو الذي يختار ويعث الرسل بفضل منه سبحانه، وقد أنعم الله على الناس جميعاً ببعثة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيها من الخصائص التي اختصه الله عز وجل بها :

الأولى : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسول ونبي ، وبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول هو نبي وليس العكس .

الثانية : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشير يأتي بما فيه الغبطة والأمن والسعادة للمؤمنين بنبوته ، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١) .

الثالثة : من الوظائف الجهادية العظيمة لنبوته محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه نذير .

ومن خصائص النبي محمد تعدد متعلق وموضوع إنذاراته ، من وجوه :
الأول : قانون إنذار الناس جميعاً من الضلالة والكفر والفسوق ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢) .

الثاني : قانون إنذار المشركين والكفار من محاربة الإسلام والمسلمين .

الثالث : قانون بطش الله عز وجل بالمجرمين الذين يحاربون التنزيل .

الرابع : قانون المسلمون مستعدون للدفاع عن بيضة الإسلام .

الخامس : لا تنحصر إنذارات رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالكفار ، بل تشمل المؤمنين أيضاً لتحذيرهم من الإرتداد ومن

(١) سورة البقرة ٢٥ .

(٢) سورة الحج ٤٩ .

التقصير، وإرتكاب الكبائر والمعاصي مطلقاً ولييان فضل الله عز وجل في هدايتهم للإيمان، ونزاهتهم من الذنوب والسيئات وفي التنزيل ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ * إِنِ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾.

السادس : القرآن ذاته نذير، فكل آية منه تتضمن الإنذار في منطوقها ومفهومها.

السابع : الإنذار من عذاب يوم القيامة، والتخويف من الإقامة في جهنم التي أعدها الله للكافرين.

والبشارة والإنذار وظيفة الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (٢).

وفي الجمع بين الرسالة والإنذار تأكيد بأن الإنذارات التي يوجهها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للكفار إنما هي من عند الله وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ * إِنِ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٣﴾.

ولتجتمع بشارات وإنذارات القرآن والسنة معاً لإصلاح النفوس، وهداية الناس إلى سبل الرشاد .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي يخبر عنه من علوم الغيب وعالم الآخرة، وما فيه من أهوال الحساب إنما هو حقٌ وصدق لأنه رشفة من رشفات الرسالة التي تفضل الله عز وجل بها ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤).

(١) سورة الشعراء ١١٤-١١٥.

(٢) سورة البقرة ٢١٣ .

(٣) سورة النجم ٣-٤.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

تبليغ الرسالة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحمله أعباء ومسؤوليات الرسالة الخاتمة ، وهل تختلف هذه الرسالة عن نبوة ورسالة الرسل السابقين وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً .
الجواب نعم ، من جهات :

الأولى : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعثته بجوار البيت الحرام ومن قريش وهم سدة البيت الحرام .

الثانية : اتصاف شريعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتكامل ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) .
الثالثة : بقاء واستدامة أحكام الإسلام إلى يوم القيامة .

الرابعة : نزول القرآن ﴿ثِيَابًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) .

الخامسة : تعاهد وحفظ المسلمين لآيات القرآن ، واستدامة وجودها في الأرض سالمة من التحريف والزيادة والنقصية إلى يوم القيامة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهادة القرآن له بأداء الرسالة وما فيها من البشارة والإنذار ، وإن الكفار تخلفوا عن وظائفهم الشرعية لعنادهم وجحودهم ، مع إقامة الحجة عليهم بأن الله عز وجل هو الذي أرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة .

ومن خصائصه إصلاح الله عز وجل له لأدائها وساعدته في تبليغ رسالته ، بأسباب المدد والنصرة ، ومنها نزول الملائكة من السماء لنصرته والمؤمنين ، وبعث الفرع والخوف في قلوب الكافرين ، قال تعالى ﴿سَنُلْقِيْ

(١) سورة المائدة ٣ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْسَى الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

وعن ابن عباس رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه يوم بدر وقال (يا رب إن تهلك هذه العصاة ، فلن تعبد في الأرض أبداً . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فارم بها في وجوههم . فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها في وجوههم ، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين . وقال السدي : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي يوم بدر : أعطني حصبا من الأرض) (٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم ينشر رسالته بالسيف بل انتشرت بلغة البشارة والإنذار وإقامة الحجة على الناس ، وتوالي نزول آيات القرآن .

ومن خصائصه نزول الآيات بالشهادة السماوية له بالرسالة والدفاع عنه والبراءة من القوم الكافرين ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣) ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مفهومها على الشهادة له من الله بأنه أدى وظائف الرسالة بأحسن حال .

ومن خصائصه دخول الناس الإسلام أفواجا مع نعت أصحاب الجحيم بالكفر والتكذيب بآيات الله ، ولم يأت الكفر والتكذيب إلا بعد التبليغ والعلم بالآيات .

(١) سورة آل عمران ١٥١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٠/٤ .

(٣) سورة الأحزاب ٤٥ .

والشهادة بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ركن الإسلام الأول ، وجاء الخطاب من الله عز وجل إلى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ﴿قُلْ كَلِمَ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (١) .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كفاية شهادة
الله عز وجل له بالبعثة النبوية لإثبات رسالته .

ومن معاني هذه الكفاية نفاذ ضيائها إلى شغاف القلوب وهداية الناس
للتصديق برسالته .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خروجه خائفاً من
مكة ليلة الهجرة إلى المدينة ، واختفاؤه في غار حراء ليس معه إلا واحد من
أصحابه ومعهما دليل من أهل الشرك هو عبد الله بن أريقط الليثي ليدخل
بعد ثماني سنوات مكة فاتحاً وبالسلم ومعه عشرة آلاف من أصحابه .

الرسول مهاجر سيداً وأميراً وحاكماً

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عودته إلى مكة فاتحاً
بعد ثماني سنوات من خروجه منها خائفاً يريد المشركون قتله في فراشه في
ذات الليلة التي غادر فيها .

ومن خصائصه أنه لم يخرج من مكة هائماً على وجهه في طلب المأوى ،
إنما خرج ليدخل المدينة رسولاً من عند الله وسيداً وأميراً وحاكماً ، وهو أمر
لم يتحقق لأحد من الأنبياء .

والناس منذ خلق الله آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة .

فبعد أن اشتد أذى قريش على النبي وأصحابه أمر طائفة منهم بالهجرة
إلى الحبشة ، وبعد أن تمت بيعة العقبة الأولى بعث النبي محمد صلى الله عليه
وآله وسلم مصعب بن عمير مع وفد الأوس والخزرج معلماً وإماماً في
الصلاة وداعياً الناس للإسلام .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سلامة الصحابة المهاجرين بأمره سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة .
وقال للذين هاجروا إلى الحبشة (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٌ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا) (١).
وقال للذين هاجروا إلى المدينة (إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ فِيهَا) (٢).

ومن خصائص ومعجزات النبي محمد أن المهاجرين ينزلون على الأنصار ليكون هذا التلاقي زيادة في الإيمان لكل منهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٣).

ليهاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتحمل مخاطر الطريق ، وتتعبه قريش ، وبذلهم المال جعالة لقتله ، فوصل إلى أطراف المدينة ونزل في حي بني عمرو بن عوف إذ نزل على كلثوم بن الهدم الأوسي وبقي عندهم أربعة أيام ، وبنى فيها مسجد قباء لينتقل إلى المدينة ويدخلها يوم الجمعة في شهر ربيع الأول الموافق لشهر أيلول سنة ٦٢٢ ميلادية ، وكان عمره يومئذ ثلاثاً وخمسين سنة.

كتائب استطلاع وتبليغ

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خروجه في كتائب ، وبعث أصحابه في سرايا حول المدينة للإستطلاع ، ونشر مبادئ وأحكام الإسلام من غير أن يتعرضوا للناس بأذى ، سواء في أنفسهم أو أموالهم ،

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٢١/١ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٤/٣ .

(٣) سورة الأنفال ٧٢.

فلم يبق في المدينة ينتظر من يأتي مسلماً أو يسأل عن الإسلام أو تأتي جيوش المشركين لغزوه في عقر داره .

فما ذكر بأن عدد غزوات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ست وعشرون غزوة أو أكثر إنما هي كتائب نشر مبادئ الإسلام مسلماً من غير قتال ، وهو من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وفيه رحمة للناس ، ودعوة لهم للتدبر في أحكام الإسلام ، واختيار سبيل النجاة في النشاطين بالإيمان.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد منافع كل واحدة من كتائبه وسراياه من جهات :

الأولى : العزم على الخروج والإعداد للكتيبة .

الثانية : طريق الخروج إلى الغاية والمقصد .

الثالثة : حضور الوحي قبل وعند الوصول إلى الغاية كدومة الجندل .

الرابعة : طريق العودة إلى المدينة .

الخامسة : تعظيم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لشعائر

الله عز وجل طيلة أيام الكتائب ، قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمِنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾^(١).

ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في طريق العودة يسيرون في الليل ، ويكمنون في النهار بل بالعكس كانوا يسيرون في وضح النهار.

فيتساعل أهل القبائل والمسافرون أين كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل غزا ، وهل جلب الغنائم والسبايا ، فتتجلى لهم حقيقة حسية ظاهرة في هيئة الصحابة ، فليس معهم غنائم أو سبايا ، إنما تحملوا الأذى ووعورة الطريق وأخطار السفر قربة إلى الله عز وجل ، ونشراً للأمن ، وصرفاً للقتال.

ليكون أهل القرى وغيرهم شهوداً على قانون (لم يغز النبي محمد (ص) أحداً) ، ومعجزاته بتفرق أعدائه حالما يصل إليهم ، وهو من مصاديق الرعب الذي يقذفه الله في قلوب المشركين عبدة الأوثان ، وتركه لهم من غير البطش بهم أو الخشية من تجمعهم مرة أخرى.

وفيه دعوة لهم وللناس جميعاً للإسلام ، وتغيير في مناهج وكيفية المعاملة والتصرف بين الأعداء ، فمنهج النبوة هذا دعوة لوقف الغزو بين القبائل والذي تهاوى وانحسر بسبب انتماء الناس من القبائل المختلفة والمتناحرة إلى الإسلام.

منافع كتاب النبي (ص)

يدعو قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) ، العلماء إلى بيان وإحصاء المنافع في كل قول وفعل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبركته إلى جانب إفاضات آيات القرآن . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بذله الوسع في نشر الإسلام ، وتحمل الأذى الشديد لهداية الناس إلى سبل الإيمان . وقد خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كتائب حول المدينة ، كما قام بالتوجه نحو الذين حشدوا الجيوش لقتاله ، ومن خصائص النبي محمد في المقام :

الأولى : كل كتيبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شكر الله سبحانه على نعمة كثرة المسلمين ، وتنقلهم في المدينة وخارجها .

الثانية : قانون كل كتيبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي سرية استطلاع ، ودعوة للإسلام .

الثالثة : بعث كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخوف والفرح في قلوب المشركين.

الرابعة : قانون كسر شوكة كفار قريش .

الخامسة : قانون عجز المشركين عن منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من السياحة والضرب في الأرض.

السادسة : عدم صحة تسمية الغزوة على خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة .

السابعة : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن كتائبه وسراياه ترغيب للناس في الإسلام ، وإزاحة للخوف من مشركي قريش وسطوتهم وبطشهم .

الثامنة : ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفرق حشود المشركين قبل وصوله لهم في الأعم الأغلب ، ومنه كتيبة دومة الجندل ، فما أن علم أهلها بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قطع هذه المسافة الطويلة من المدينة حتى وصل إليهم مع ألف من أصحابه ومن دون أن يعلم بهم أحد حتى فرت الجموع التي كانت تعد العدة للهجوم على المدينة.

فاقام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدة أيام وبعث أصحابه في كل الجهات للتأكد من عدم بقاء الجموع على حالها ، ولإنذار قبيلة قضاة . وبعث رسالة عملية إلى ملك الروم عن قوة الإسلام ، لتكون مقدمة لكتابه الذي بعثه بيد دحية الكلبي بعد صلح الحديبية يدعو فيه قيصر إلى الإسلام.

التاسعة : كتائب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان لخصائصه ، وحجة على الناس في الدعوة لاتباعه ، قال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾^(١).

عرض قوة الإسلام

لقد بدأ الإسلام في مكة ضعيفاً ، والإلتواء إليه على نحو القضية الشخصية والأفراد ، ليس لفقد المقتضي إنما لوجود المانع من بطش قريش بالذي يدخل الإسلام ، ونشر الخوف بين الناس ، وإشاعتهم بأن النبي محمداً يفرق بين أبناء الأسرة الواحدة.

وكانوا يشكون للذي يدخل مكة حاجاً أو معتمراً أو زائراً بأن النبي محمداً (قد أعزل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه)^(١).

فلما هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إزداد دخول الناس للإسلام يوماً بعد يوم ، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبعث السرايا ، ويخرج بنفسه مع أصحابه في الكتائب لتبين هذه الكتائب والسرايا التي بلغت نحو مائة سرية خصائص مباركة في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها :

الأولى : لزوم إمتناع الناس عن نصرة كفار قريش .

الثانية : هذه الكتائب بيان لقوة ومنعة الإسلام .

الثالثة : دعوة رجال ونساء القبائل لدخول الإسلام ، وهو من أسباب عدم قتل أي فرد منهم أثناء هذه الكتائب ، وأكثرها لعرض الإسلام ، ودفاع محض بقصد تفريق الجموع التي تريد القتال الشديد الذي تنهاوى فيه الرؤوس من الطرفين ، ولتأمين الطرق العامة من السلب.

وليكون من معاني قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَقُى الْجَمْعَانِ﴾^(٢) ، بخصوص معركة أحد : يا أيها الذين آمنوا اخرجوا في كتائب وسرايا لمنع التقاء الجمعين .

الرابعة : الأمن والسلام للمدينة المنورة مدة غياب النبي في الكتائب .

(١) عيون الأثر ١/ ١٨٤.

(٢) سورة آل عمران ١٥٥ .

الخامسة : تمرين واعتياد الصحابة على قطع المسافات الطويلة في سبيل الله .

السادسة : تنزه المسلمين عن السلب والنهب ومفاهيم الغزو ، فقد كان أهل دومة الجندل يظلمون الذين يمرون عليهم ، فاقام عندهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أرضهم عدة أيام ولم ييطش بهم على شركهم ، وتعديهم وهو باب للتوبة والصلاح ، ويتجلى قانون كتائب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنذار وهو من خصائصه .

السابعة : بلوغ الدعوة أطراف الشام ، وامكان انتشارها في الجهات الأربعة .

الثامنة : نشر ألوية السلم والأمن في ربوع الجزيرة وأطرافها.

التاسعة : بعث رسالة الى كفار قريش للكف عن قتال النبي محمد ، ومنعهم من الإتصال بأفراد القبائل ، وتحريضهم على قتاله .

لتترشح قاعدة عن كتيبة بني المصطلق ، وكتيبة دومة الجندل وغيرها ، وهي من يجمع الجموع بقصد الهجوم على المدينة يلحقه الخزي ، وهو من الكبت الوارد في قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُواْ خَائِبِينَ﴾^{(١)(٢)}.

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لحقوق الحزن وشدة الغيظ والكبت بالذين يحاربونه .

قانون نصر النبي محمد (ص) من عند الله

كما كان نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يوم بدر من عند الله عز وجل ، فان الفتح في الحديبية من عند الله عز وجل أيضاً مع الفارق في لغة الخطاب في الآيتين ، وبينهما عموم وخصوص مطلق ،

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) انظر الجزء الواحد والتسعين من من كتابنا (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الذي اختص بتفسير هذه الآية في ٤١٠ صفحات والحمد لله .

فبخصوص بدر توجه الخطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وعامة المسلمين بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرٍّ وَآتَمَّ أَذِلَّةً فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

أما في فتح الحديبية فجاء الخطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام مسائل :
الأولى : اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالفتح ، ويلحق به المسلمون.

الثانية : إكرام الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
الثالثة : تبين آية الفتح علته لقوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِمَنْعِهِ نَعَمٌ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيُنْصِرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

واللام في ليغفر لام التعليل ، وقيل هي لام الصيرورة ، ولا تعارض بينهما لأن الحرف القرآني أعم من اصطلاح النحويين ، (وقيل هي لام القسم)^(٤) ، وهو بعيد.

الرابعة : اقتران ظهور الروم وهم أهل كتاب على المجوس بأوان صلح الحديبية.

الخامسة : إرادة انقطاع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى التسبيح والذكر والإستغفار.

و(عن أبي أمامة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس ، فأقام الصلاة ثم صلى بهم . ثم قال : إذا

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة الفتح ٢-٣.

(٤) تفسير الثعلبي ٤٥٥/٢.

رقد أحدكم فغلبته عيناه فليفعل هكذا . . فإن الله سبحانه وتعالى { يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها }^(١).

الترغيب بآيات القرآن

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إظهار حبه لآيات القرآن ، وتقديسها ، وعشق تلاوتها ، والتدبر في معانيها ، وبعث المسلمين على تلاوتها .

ومن اللطف الإلهي وجوب تلاوة القرآن في كل ركعة من الصلاة واجبة أو نافلة ، ولا يحصي منافع هذه التلاوة إلا الله عز وجل .
(عن أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي يحدث عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية ، وقد حيل بيننا وبين نسكنا .

فنحن بين الحزن والكآبة ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَتَمَّ نِعْمَةُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾^(٢) ، أو كما شاء الله .

فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا^(٣).

والمختار أن كلمة (غزوة الحديبية) من أحد رجال السند لشيوع لفظ غزوة عند طائفة من التابعين وتابعي التابعين.

وهل هناك من تعمد ذكر غزوات لكاتب النبي للإساءة خاصة وأن من المؤرخين من كان أبوه أسيراً وعبداً عند المسلمين ، الجواب لا.

لحمل عمل المسلم على الصحة ، وإرادة حسن القصد باستعمال لفظ غزوة والمعنى الأعم لها ، وهو الخروج من المدينة في كتيبة .

(١) الدر المنثور ٤٥٦/٨ .

(٢) سورة الفتح ١-٢ .

(٣) تفسير الطبري ١٩٩/٢٢ .

وورد عن أنس في ذات المصدر أعلاه حديث آخر يقول فيها (مرجعه من الحديبية) إذ ورد (عن قتادة، عن أنس بن مالك، في قوله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١)، قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرجعه من الحديبية ، وقد حيل بينهم وبين نسكهم، فنحر الهدي بالحديبية ، وأصحابه مخالطو الكأبة والحزن .

فقال : لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا، فَقَرَأُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...^(٢) ، إلى قوله ﴿عَزِيزًا﴾ فقال أصحابه هنيئًا لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فأنزل الله هذه الآية بعدها ﴿يُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٣)، إلى قوله ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٤)(٥).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استماعه لأصحابه ، وهذا الإستماع فرد غير المشاورة في قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٦).

فمن مصاديق الإستماع الإنصات لما يقوله الصحابة ابتداءً ، وفي أمورهم الخاصة واسئلتهم ، لذا ورد قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ خمس عشرة كلها موجهة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واقرنت باستثناء

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة الفتح ١-٢.

(٣) سورة الفتح ٥.

(٤) سورة الفتح ٥.

(٥) تفسير الطبري ٢٢/٢٠٠ .

(٦) سورة آل عمران ١٥٩.

واحدة بالجواب على الأسئلة من عند الله عز وجل ، ومنها مثلاً قوله تعالى ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

ترك المشورة الخالية من المنفعة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توجه قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢) له بصيغة الأمر الذي يحمل على الوجوب ، وهل هو خطاب خاص للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الجواب إنه خاص لفظاً وعام معنى ، خاص لأن النبي محمداً بعد أن يستمع للمشورة يتخذ القرار الذي هو شعبة من الوحي .

وخطاب عام للمسلمين وأمرائهم بالمشورة ثم اتخاذ الفعل المناسب من غير حضور للوحي ، ولكن القرآن والسنة ضياء ومنهاج ، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صدور العلماء والأمرء عن القرآن والسنة النبوية الشريفة ، قال تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصبر على الكافرين ، وتحمل أذاهم ، وعدم البطش أو الإنتقام منهم ، ومنه حينما تم أسر سبعين منهم في معركة بدر ، جعل بدلاً وعوضاً لكل واحد منهم يأخذه المؤسر له ، مع أنه يعلم هؤلاء الأسرى سيرجعون إلى قريش وتخرجهم مرة أخرى لقتاله .

ومن أسرى المشركين يوم بدر سهيل بن عمرو أسره المسلمون ، وقال عمر بن الخطاب (لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله انزع

(١) سورة البقرة ٢٢٠.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة الشورى ٣٨.

ثنيته سهل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً. وكان سهل بن عمرو خطيب مكة أي أنه فصيح اللسان ، وكان يقوم بتحريض الناس لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من سادات قريش ، ويكون كلامه مؤثراً .

قال ابن اسحق وقد بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمر في هذا الحديث انه عسى ان يقوم مقاماً لا تدمه^(١).

وفي مفاوضات صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ، وبعد أخذ ورد وطول مراجعة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفد قريش برئاسة سهل بن عمرو تقاربوا .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان مراحل كتابة عقد الصلح بصبر وتنازل النبي محمد للمشركين حتى يتم الصلح وتحقن الدماء مع أنهم كانوا على باطل .

ومن خصائصه رضاه بالصلح وشروط الكفار مع أن النصر قريب ، وأن المسلمين في ازدياد مطرد ، والمشركين في تناقص حاد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

و(دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يكتب الكتاب بينهم ، ودعا أوس بن خولي يكتب ، فقال سهل : لا يكتب إلا أحد الرجلين ، ابن عمك علي أو عثمان بن عفان . فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام أن يكتب .

(١) عيون الأثر ١/٣٥١.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

(٣) أنظر الجزء الواحد والتسعين من تفسيري (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة في ٤١٠ صفحات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف الرحمن، اكتب كما نكتب باسمك اللهم. فضاق المسلمون من ذلك وقالوا: هو الرحمن. وقالوا: لا تكتب إلا الرحمن. قال سهيل: إذا لا أقاضيه على شيء^(١).

موادعة عيينة بن حصن

عينية بن حصن الفزاري من رؤساء فزارة ، ومن صناديد العرب (عن ابن عباس قال : دخل عيينة بن حصن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعمر وهم جلوس على الأرض جميعاً فأمر لعينة بنمرقة فأجلسه عليها وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)^(٢).

وعينية بن حصن من الأعراب الجفاة كان يحرض على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويكيد له.

(قالوا : وكان أبو شبيب المزني - قد أسلم فحسن إسلامه - يحدث يقول: لما نفرنا أهلها بحيفاء مع عيينة - قدمنا عليهم وهم قارون هادئون لم يهجم هائج - رجع بنا عيينة، فلما كان دون خير بمكان يقال له الحطام عرسنا من الليل ففرعنا .

فقال عيينة: أبشروا إنني أرى الليلة في النوم أنني أعطيت ذا الرقية - جبلاً بخير - قد والله قد أخذت برقبة محمد.

قال: فلما قدمنا خير قدم عيينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خير وغنمه الله ما فيها، فقال عيينة: أعطني يا محمد مما غنمت من حلفائي فإني انصرفت عنك وعن قتالك وخذلت حلفائي ولم أكثر عليك، ورجعت عنك بأربعة آلاف مقاتل .

(١) مغازي الواقدي ٢٤٥/١ .

(٢) تاريخ المدينة المنورة ٣٦٧/١ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبت، ولكن الصياح الذي سمعت أنفرك إلى أهلك. قال: أجزني يا محمد. قال: لك ذو الرقية. قال عيينة: وما ذو الرقية؟ قال: الجبل الذي رأيت في النوم أنك أخذته.

فانصرف عيينة فجعل يتدسس إلى اليهود ويقول: ما رأيت كاليوم أمراً؛ والله ما كنت أرى أحداً يصيب محمداً غيركم. قلت: أهل الحصون والعدة والثروة، أعطيتهم بأيديكم وأنتم في هذه الصحن المنيعة، وهذا الطعام الكثير ما يوجد له أكل، والماء الواتن.

قالوا: قد أردنا الامتناع في قلعة الزبير ولكن الدبول قطعت عنا، وكان الحر، فلم يكن لنا بقاء على العطش. قال: قد وليتم من حصون ناعم منهزمين حتى صرتم إلى حصن قلعة الزبير^(١).

ودخل عيينة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل نزول آية الاستئذان بغير إذن، ومع هذا لم يغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن خصائصه الصبر والسماحة مع الجفأة، مع التنبيه بلطف عن الخطأ. (فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وأين الإذن، فقال: ما إستاذنت على أحد من مضر)^(٢).

وكان النبي محمد لما عاد من دومة الجندل في السنة الخامسة للهجرة وادع عيينة بن حصن الفزاري الذي كانت أرضه قد جذبت فصار يرعى بتغلين وما والاها إلى المراض، ولكن عيينة هذا زحف مع مشركي قريش في معركة الأحزاب.

و(قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يصل إلى دومة الجندل ولم يلق كيذاً).

(١) مغازي الواقدي ٢٧٥/١.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٨٧/١.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم موادة رؤساء القبائل لإجتناح حربهم ، ولتكون عندهم وقومهم فسحة من الوقت للتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهل هذه الموادة من مصاديق الدفع بالأحسن في قوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١) ،
الجواب نعم .

ليحضر عينة مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة ، وواقعة حنين ، ويعطيه النبي مائة من الإبل يجعله من المؤلفة قلوبهم ، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وعندما رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم السبي على هوازن وثقيف لم يرض عينة وقومه فزاره برد ما حازوا من السبي .
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم وللأقرع بن حابس وبني تميم (أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي نصيبه ، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم)^(٣).

وكانت موادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعينة وقومه ذات منافع عظيمة إذ كفّ أذاه ، ولكنه قدم مع المشركين في معركة الخندق أي أنه نقض الموادة ، وأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطيه يومئذ ثلث أثمار المدينة لينصرف عن الحصار هو وغطفان ، ويخذل الأحزاب ويدعوهم للإنسحاب ، ولكن عينة أبى واشترط نصف ثمر المدينة.

(١) سورة فصلت ٣٤ .

(٢) سورة التوبة ٦٠ .

(٣) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٤/١ .

فبعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على كل من سعد بن معاذ وهو سيد الأوس ، وسعد بن عباد وهو سيد الخزرج دون قومهما لأنه أراد كتمان الأمر ، ومنع الخلاف بين الصحابة .

فكان ردهما حكمة وثورة إذ قالوا (يا رسول الله، إن كنت أمرت بشيء فافعله وامض له وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لم أؤمر بشيء ولو أمرت بشيء ما شاورتكما وإنما هو رأي أعرضه عليكما^(١) .

ليبان أن قول النبي محمد لهما من مصاديق ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢) ، وإن ابتداء المشورة بأذن من الله عز وجل .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن عزمه على الفعل شعبة من الوحي من عند الله سبحانه .

تهدئة الصحابة في صلح الحديبية

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توليه إملاء فقرات العقد على الإمام علي عليه السلام فقال له (اكتب باسمك اللهم! هذا ما اصطلح عليه رسول الله .

فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ فضج المسلمون منها ضجة هي أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات .

وقام رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تهدئة أصحابه بلطف ، ودرء الفتنة ، ومنع العناد والتشدد ، وفيه دعوة للمسلمين للميل

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ١٧٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٧ .

إلى الصلح والوثام وان استلزم التنازل عن بعض الحقوق ، وعدم تعقب الصلح بفتنة داخلية .

و(عن أبي فروة عن واقد بن عمر قال : حدثني من نظر إلى أسيد بن حضير وسعد بن عبادة أخذوا بيد الكاتب فأمسكها وقالوا : لا تكتب إلا محمد رسول الله ، وإلا فالسيف بيننا ، علام نعطي هذه الدنية في ديننا . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومئ بيده إليهم : اسكتوا .

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التسامح ومن خصائصه سكوت أصحابه وذهاب غيظهم حالما يشير إليهم بالسكوت . ومن خصائصه في المقام الصبر عن حكمة ووحى وتهدة الصحابة بما يدل على البشارة والسلامة .

قانون صيرورة العدو ولياً

لقد نزل قوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١) خطاباً إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتلحق به أجيال المسلمين ، نعم ، وحضور أهل البيت والصحابة أيام التنزيل ، وكانوا عضداً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاحبين له في أيام حياته .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجئ الآية القرآنية بالأمر إليه وتعزيد هذا الأمر بالوحي في المصادق العملي وموضوع هذا الأمر ، فاذا تعدى شخص على النبي يقابله النبي محمد بالعفو والإحسان ، وهذه المقابلة امتثال للآية القرآنية أعلاه ، وهي بالوحي في القول والفعل .

وعن ابن عباس في الآية (أمر الله تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم)^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية صيرورة ألد أعداء النبي من أوفى الناس للإسلام.

لقد اصطلح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفد قريش برئاسة سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ونطرح مسألة مستحدثة ، حينما طلبت قريش عشر سنوات هل كانت ترجو قتل أو موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال هذه المدة ، الجواب نعم ، فيحصل الإرتداد ، وتنقض قريش الصلح .

خاصة وأنهم يعلمون أعمار بني هاشم في الجملة ، بل لم يكن متوسط الأعمار آنذاك يتعدى الستين كثيراً ، وقد انتقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى بعد صلح الحديبية بخمس سنوات عن عمر ثلاث وستين سنة ، هذا مع عزمهم إثارة الفتن مثل نصرهم بالسلاح والرجال حلفاءهم بني بكر على خزاعة.

ولم يكن فتح مكة ابتداء من عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتعجلاً منه لتثبيت أحكام الشريعة قبل مغادرته الدنيا إنما هو الوحي ، ولأن المشركين مكروا وتعدوا ، ونقضوا عهد وشروط صلح الحديبية باعانتهم بني بكر بالسلاح والرجال على خزاعة حلفاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومجئ وفد خزاعة برئاسة بديل بن ورقاء إلى المدينة فأخبروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما لاقوه من الظلم والقتل من قريش ، ليكون فتح مكة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٦/١٢ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

وأدركت قريش الزلل الذي وقعوا فيه ، ومخالفتهم شروط الحديبية ، فأرسلوا أبا سفيان ، خاصة وأن ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجدد العهد والهدنة ، وأول ما دخل على ابنته قامت بطي الفراش عنه وحينما سألها سؤال استفهام (قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت مشرك نجس قال والله لقد أصابك بعدي شر)^(١).

وهل قول أم حبيبة هذا معجزة غريبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم .

ومن الإعجاز في أوان فتح مكة أن قريشاً لم ترتد هي وثقيف ، وبذا كانت مكة مع المدينة اللبنة والقدوة في دعوة الناس للبقاء على الإسلام ، فمثلاً توجه عكرمة بن أبي جهل والذي كان هو وأبوه من أشد أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقتال مسيلمة الكذاب ثم إلى عُمان والمهرة .

وهل بقي المرتدون في مدنها وقراها ، الجواب لا ، إذ زحفت قبائل منهم بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة مع بعض قبائل غطفان وأسد وعبس وذبيان وبني بكر بن عبد مناة .
لقد أرسلت هذه القبائل وفوداً إلى المدينة ليرجعوا إلى أهلهم (فأخبروا عشائهم بقله من أهل المدينة ، وأطعموهم فيها)^(٢).

قانون الصلح فتح

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعضيد القرآن له ، ومنه نزول الآيات بتسمية صلح الحديبية فتحاً ، قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٣).

(١) عيون الأثر ١٨٣/٢ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ١٣٨/٢ ، محمد بن جرير الطبري (٣٢٤-٣١٠) هجرية .

(٣) سورة الفتح ١ .

و(عن قتادة عن أنس قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية ، قد حيل بيننا وبين نسكننا ، فتحن بين الحزن والكآبة ، فأنزل الله تعالى عليه ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^(١) الآية كلها.

فقال رسول الله : لقد نزلت عليّ آية هي أحبُّ إليّ من الدنيا جميعاً^(٢). إن تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآية الصلح على الدنيا وما فيها شاهد قطعي على اختصاصه لحمل لواء السلم ، وقصد تحقيق الأمن للمجتمع العام .

لقد أزاح التنزيل والسنة النبوية الحزن والكآبة عن الصحابة بسبب عودتهم إلى المدينة من غير أداء مناسك العمرة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التخفيف عن أصحابه في حال السلم والحرب ، وهل إمامته لصلاة الجماعة خمس مرات في اليوم من هذا التخفيف ، الجواب نعم .

إذ كان يتولى القراءة وأداء أركان وأفعال الصلاة ليتابعه الصحابة ، ويتقنوا التلاوة وكيفية الصلاة ، وتكون سهلة يسيرة عليهم ، فمن خصائص النبي محمد أن سنته من مصاديق قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رضاه بشروط المشركين في صلح الحديبية لحقن الدماء ، وتوجه المسلمين للتفقه في أمور الدين ، ومعرفة أحكام الشريعة ، والتدبر باعجاز القرآن وتعاهد وحفظ آياته.

وصلح الحديبية شاهد على أن من خصائص النبي محمد إعطاء الأولوية

(١) سورة الفتح ١.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٢٠٠/١٢.

(٣) سورة البقرة ١٨٥.

لوقف القتال ، وحقن الدماء ، وعلمه بأن الغلبة تكون للحق والمعجزة ، قال تعالى ﴿بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾^(١).

وقد صدرت لي الأجزاء (٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٤-٢١٥-٢٣٣-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٨-٢٦٠) من (معالم الإيمان) بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة) وبيان أن السنة النبوية مرآة لآيات السلم.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حب الله له ، فصرف عنه وعن أصحابه القتال ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾^(٢) ، مقيداً وليس مطلقاً ، إذ انقطع بصلح الحديبية ، ويدل صلح الحديبية على سلامة آيات السلم من النسخ .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد معجزاته الحسية في صلح الحديبية ، وكل معجزة دعوة للسلم ، وشاهد على أن آيات السلم رحمة عامة متجددة في كل زمان .

وهل من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرصه على اجتناب القتل بين المشركين ، الجواب نعم ، ومنه رضاه بالصلح معهم إذ أنه يعلم بهدايتهم إلى الإسلام .

فمن خصائصه بذل الوسع لمنع قتل الكافر على كفره لأن هذا القتل يقوده إلى الخلود في النار ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد رضاه بافتتاح كتاب صلح الحديبية بـ(باسمك اللهم) وترك الأولى بسم الله الرحمن الرحيم.

فحينما طلب سهيل بن عمرو رئيس وفد قريش كتابة كتاب بينهم وبين

(١) سورة الأنبياء ١٨.

(٢) سورة البقرة ٢١٦.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعا الإمام علي عليه السلام وقال :
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم .

لتكون المبادرة في أول الكتاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أما
الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت
تكتب .

فقال المسلمون : والله ما نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اكتب (باسمك اللهم) .

ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله .

فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت
ولا قاتلناك ولكن اكتب : محمد بن عبد الله .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : والله إنني لرسول الله وإن
كذبتُموني أكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله .

قال الزهري وذلك لقوله : لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله
إلا أعطيتهم إياها^(١) .

ولم تمر ستان حتى صار سهيل بن عمرو لا يفتح كلامه إلا بسم الله
الرحمن الرحيم ويقف خمس مرات بين يدي الله في الصلاة اليومية ، وهو
من الإعجاز والمعجزات الغيرية في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم .

لقد اكتفى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بذكر اسمه في الكتاب
لإمضاء الصلح مع المشركين لما فيه من نفع عام للمسلمين والناس جميعاً ،
وهل انتفع أهل الكتاب من صلح الحديبية ، الجواب نعم .

قانون الصلح سكيئة

لقد جعل الله عز وجل الدنيا دار الصلح والوئام ، إذ تزداد الحياة بهجة
بالصلح ، وتزول وتنحسر معه الضغائن والكدورات ، ويدرك الناس أن

الحرب والقتال ضرر محض .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جهاده من أجل الصلح مع اليهود والنصارى ، ثم مع الكفار في صلح الحديبية ، وفيه وجوه:

الأول : تهيئة مقدمات دخول الناس الإسلام ، فقد كان كثير من القبائل تخشى قريشاً وسطوتها ، فتمتنع عن دخول الإسلام ، وكذا بخصوص الأفراد ، وحالما تم الصلح بادرت خزاعة إلى دخول الإسلام .

الثاني : صلح الحديبية مقدمة لأداء المسلمين العمرة في السنة التالية بسلامة وأمان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (١) .

الثالث : صلح الحديبية مقدمة لفتح مكة وخلوها من الأصنام والأوثان ، وابتداء دخول المسلمين إليها في كل عام من غير إذن أو صد من قبل المشركين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢) .

الرابع : صلح الحديبية بداية لإستئصال النفاق ، وحرب عليه من غير خسارة بالأرواح ، ولقد امتنع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل أي منافق ، ليأتي صلح الحديبية لإصلاحهم وتهذيب النفوس ، ومنع الإفتراء ، وبث الأراجيف في المدينة ، قال تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ غَفُورًا

(١) سورة القصص ٥.

(٢) سورة الحج ٢٥ .

رَحِيمًا^(١).

ومن الآيات أن المنافقين قالوا ستجهز قريش بخيلها وأسلحتها على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لأنهم خرجوا عزلاً من السلاح والعدة إلا سلاح الراكب ، السيوف في أغمادها ، وكانت عودة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سالمين فضحاً وخزياً للمنافقين ، وهل هذا الخزي من مصاديق الفتح المبين في قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) ، الجواب نعم.

ليبان تعدد منافع الصلح ، وعدم انحصارها في موضوعه أو بنود الصلح ، ولا يحصى المنافع والفوائد العامة والخاصة من صلح الحديبية إلا الله عز وجل ومنها بعث السكينة في النفوس ، والبهجة في المجتمعات .
ومنها ازدهار التجارة مع الشام ، والأمن العام في الطرق والحجامة العامة ، والتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
واستنباط أحكام شرعية من مناسبة صلح الحديبية منها فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة ، قال تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣) ، وهو حكم تنتفع منه أجيال المسلمين إلى يوم القيامة.

(١) سورة الأحزاب ٢٤.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة البقرة ١٩٦.

وفي الآية أعلاه ورد (عن كعب بن عجرة قال كنا : مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية ونحن محرمون وقد حصرنا المشركون ، وكانت لي وفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهي ، فمر بي النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال : أيؤذك هوام رأسك؟

قلت : نعم .

فأمرني أن أحلق قال : ونزلت هذه الآية ﴿فَنَسْكَانُ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِمْ أَذًى مِنْ رَأْسِهِمْ فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صم ثلاثة أيام ، أو تصدق بفرق بين ستة ، أو انسك مما تيسر^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية في الحديبية نبع الماء ببركته بعد أن نفذ ماء الصحابة ، وصاروا في حرج شديد ، إذ وجدوا في الحديبية بئراً فيها ماء قليل فما زالوا ينزحون منه حتى انقطع . فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العطش حيثئذ انتزع سهماً من كنانته وأمرهم أن يجعلوه فيه ، وإذا وعاء يجري ويفور فشربوا منه .

النجاة من القتل والإغتيال

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الدفاعية نجاته من القتل وعدم وجود مدة مديدة بين هجوم المشركين في معركة الأحزاب بعشرة آلاف رجل وصلاح الحديبية .

وكانوا يرومون بهجومهم في الأحزاب أموراً :

الأول : قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : منع توالي نزول آيات القرآن ، وما فيها من ذم للكفر .

(١) سورة البقرة ١٩٦ .

(٢) الدر المنثور ١/٤٢٨ .

الثالث : اتفاق المشركين الأموال الطائلة لمنع الناس من دخول الإسلام ، ومحاربة الأمر بالصلاة والصيام والفرائض العبادية الأخرى ، والنهي عن المعاصي والسيئات ، ولغة الإنذار والوعيد باللبث الدائم في النار جزاء على الكفر ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(١) ، ولم يرد لفظ (ليصدوا) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

الرابع : قتل طائفة من المهاجرين وأسر طائفة أخرى ، بغية إدخالهم مكة مقيدين بالحبال في أيديهم وأعناقهم .

الخامس : الإنتقام من الأنصار بالقتل وسبي النساء والصبيان لأنهم آووا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقاتلوا تحت لوائه .

السادس : محاولة إستئصال الإسلام ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) .

السابع : تأديب قبائل العرب ، وتقوية شأن وجاه كفار قريش عندهم .

الثامن : محاربة ذم عبادة الأوثان وجعل يوم الأحزاب مناسبة شؤم على المسلمين .

فصرف الله كيدهم لبيان قانون اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سلامته والإسلام والتنزيل والصحابة من كيد ومكر المشركين معجزة خالدة له .

ومن خصائصه انقطاعه إلى الله عز وجل وسط تكالب وتآلف المشركين في وغزوهم المدينة بجيوش عظيمة .

(١) سورة الأنفال ٣٦ .

(٢) سورة الصف ٨ .

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١)،
الوعد الكريم من عند الله عز وجل بصرف أذى وكيد المشركين مع تهية
أسباب هجرة النبي محمد إلى المدينة ، ووصوله لها بسلام .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رضاه بالشروط
منها تلك التي صدرت من الأنصار في بيعة العقبة بالدفاع عنه إذا وصل
إليهم ، وهو في مكة أو في الطريق إلى المدينة (يثرب).
وبعد الهجرة بست سنين وافق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
على شروط كفار قريش في صلح الحديبية فنزل قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُبِينًا﴾^(٢)، لبيان قانون وهو كل صلح للنبي محمد رحمة وفتح ومقدمة
للصلح العام.

قانون توالي المدد

المدد لغة العون والغوث (وَأَمْدَدْتُ الْجَيْشَ بِمَدَدٍ. والاستمداد: طلب
المدد. قال أبو زيد: مَدَدْنَا الْقَوْمَ، أي صرنا مَدَدًا لَهُمْ. وأَمْدَدْنَاهُمْ بغيرنا.
وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِة)^(٣).

قال تعالى ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ﴾^(٤) والمدد في الإصطلاح الفقهي
العون والتعزید من الإمام للجيش من الرجال والمؤن والسلاح ونحوها .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول المدد له من
السماء ، وهذا المدد من الملائكة الذين يعادل قوة الفرد الواحد منهم قوة
ملايين البشر ، ومع هذا لم ينزل الله عز وجل لنصرة النبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم ملكاً واحداً فقط ، بل أنزل آلاف الملائكة ، وفي معركة بدر

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) الصحاح في اللغة ١٥٣/٢ .

(٤) سورة الإسراء ٦.

قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدَّتُكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١).

وقبل معركة الأحزاب التي وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ومن ضمن استعداد قريش لها ، قيامهم باحصاء عدد المسلمين في المدينة وإجمال عدد المقاتلين خاصة ، فيبلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل لاسيما وأن عدد الذين حضروا ميدان معركة أحد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو سبعمائة ووقعت معركة الأحزاب بعدها بستين ، لذا جاءت قريش بعشرة آلاف مقاتل ليكونوا أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المسلمين .

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزول المدد له من الله ليكون واقية له ولأصحابه وهم محصورون خلف الخندق والذي بينه القرآن كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ (٢).

وتدل معركة الأحزاب وكل معركة من معارك الإسلام على حاجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لقوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (٣).

(١) سورة الأنفال ٩.

(٢) سورة الأحزاب ٩-١٠.

(٣) سورة الأنفال ٦٠.

وهل من القوة زيادة الإيمان والصبر والتحمل في طاعة الله عز وجل ،
الجواب نعم ، لقانون الثبات على الإيمان إنذار للذين كفروا وحجة عليهم .
فمن معاني ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١) ترسيخ مفاهيم الأمن
والسلام في الأرض ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
نزول الآية عليه لتكون حرباً على الإرهاب إلى يوم القيامة بالإستعداد
والتهيئ له ، والمنع منه ، والزجر عنه .

حقن الدماء

وهي من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الرضا بأي
خطة فيها حقن للدماء معجزة له وشاهد على أنه لا يريد القتال ، وسفك
الدماء ، وأنه واثق بأن الله عز وجل ينصره بالمعجزة وآيات القرآن ، ولا
يخصي منافعها في المقام كل يوم إلا الله عز وجل .

فاذا كانت الخلائق تعجز عن منافع وفيوضات آيات القرآن فمن باب
الأولوية أنها تعجز عن إحصاء النعم الإلهية برسالة النبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وهداية الناس بالقرآن والسنة ، ومنها خروج النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم المتعدد من المدينة هو وأصحابه لنشر الإسلام ،
ولأداء الصلاة جماعة في أفواه القرى ، فلم يخرج للغزو ، نعم يخرج للدفاع
الإضطرابي كما في معركة أحد .

وقد صدرت لي تسعة وعشرون جزءاً من معالم الإيمان في تفسير القرآن
بعنوان (لم يغز النبي محمد (ص) أحداً) وهذه الأجزاء هي :

١٦٩-١٦٨-١٦٦-١٦٥-١٦٤)

١٧٦-١٧٤-١٧٢-١٧١-١٧٠

١٨٢-١٨١-١٨٠-١٧٨-١٧٧

١٨٣-١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦

٢٠٤-٢١٢-٢١٦-٢٢١-٢٢٩

٢٣٩-٢٥٦-٢٦١-٢٦٦

ولقد تفاجأت واضطربت قريش عندما علمت بقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى مكة لإرادة العمرة بعد أن هجموا عليه في معركة أحد والخنندق يريدون قتله وأصحابه .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون لولا الوحي لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحديبية .

ومن مصاديق الوحي في المقام الرؤيا التي رآها لأنها من الوحي ، قال تعالى ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١).

ليان قانون المائز بين رؤيا الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرؤيا الصادقة لعامة الناس بكثرة منافع رؤيا الوحي ، واستمرارها إلى يوم القيامة.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توثيق رؤاه في القرآن الكريم^(٢) قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(٣).

(١) سورة الفتح ٢٧.

(٢) انظر كتابنا الموسوم (فلسفة الرؤيا في الإسلام) ص ٥٠.

(٣) سورة الإسراء ٦٠.

وبعد أن تم صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة نزل قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١)، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأول : قانون رافة الله عز وجل بالناس جميعاً في صلح الحديبية .

الثاني : صيرورة صلح الحديبية برزخاً دون القتال .

الثالث : ترشح المنافع عن صلح الحديبية من ساعته وإلى يوم القيامة .

الرابع : قانون أداء المسلمين الفرائض العبادية بأمن وسلام .

فضح النفاق

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول آيات القرآن لتكشف عن المنافقين الذين يعلنون الإيمان ويخفون الكفر والريب ، ويظهرون الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسرون معصيته . وليس من حصر لوجوه هذا الفضح ، ومن أظهر مصاديقه آيات القرآن ، التي هي مدرسة وموعظة للأجيال المتعاقبة إلى يوم القيامة فلا ينحصر ذم وفضح النفاق بأيام الرسالة خاصة وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم موجود ويتلقى الوحي وتبعه الصحابة ليغادر إلى الرفيق الأعلى وتبقى آيات القرآن تشن الهجوم تلو الهجوم على المنافقين ، وتمنعهم من الصدارة في إتخاذ القرار العام ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُمْ تُعْقِلُونَ﴾^{(٢)(٣)}.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إيذاء المنافقين له ممن يصاحبونه في كتابه ، ويؤذونه والصحابة حتى ساعة تجلي المعجزة

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة البقرة ١١٨.

(٣) أنظر الجزء الواحد والعشرين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة.

الحسية ، وهناك شواهد عديدة إذ ورد عن (ناجية بن الاعجم يقول دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين شكى إليه قلة الماء فأخرج سهما من كنانته فدفعه إلي ودعا بدلو من ماء البئر فتوضأ ثم مضمض فاه ثم مج في الدلو ثم قال انزل بالدلو فصبها في البئر وانزع ماءها بالسهم ففعلت . فوالذي بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرني ففارت كما يفور القدر حتى طمت واستوى بشفيرها يغترفون من جانبيها حتى نهلوا من آخرهم . وعلى الماء يومئذ نفر من المنافقين ينظرون إلى الماء والذي يجيش بالرواء فقال أوس بن خولي لعبد الله بن أبي ويحك يا أبا الحباب أما أن لك أن تبصر ما أنت عليه أبعده هذا شيء وردنا بئرا نتبرض ماءها تبرضا لم يخرج في القعب جرعة ماء فتوضأ^(١) في الدلو ومضمض فيه ثم أفرغه فيها فحشثها وجاشت بالرواء .

فقال ابن أبي قد رأينا مثل هذا .

فقال أوس قبحك الله وقبح رأيك .

وأقبل ابن أبي يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين ما رأيت اليوم قال ما رأيت مثله قط قال فلم قلت ما قلت استغفر الله فقال ابنه^(٢) : يا رسول الله استغفر له فاستغفر له^(٣) . وابنه هو عبد الله بن أبي بن سلول .

وقيل الذي نزل بالدلو ناجية بن جندب الأسلمي وهو صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(وقيل : إن الذي نزل بريدة بن الحصيب وقيل البراء بن عازب ويحتمل التعدد)^(١) .

(١) أي توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيان معجزة حسية له .

(٢) أي ابن عبد الله بن أبي سلول ، وهو عبد الله على اسم أبيه ، وكان اسمه (الحباب) وبه يكنى عبد الله بن أبي وهو من رؤساء الخزرج (فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله) الإستيعاب ٢٨٦/١ ، وهو من الأخيار .

(٣) الخصائص الكبرى ٤١٢/١ .

وناجية بن الأعجم الأسلمي ذكره ابن سعد في الصحابة ، وقال : لا عقب له .

وأخرج الواقدي عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه: حدثني أربعة عشر رجلاً من أسلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ناجية بن الأعجم هو الذي نزل في القلب القليل الماء يوم الحديبية بسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه إياه من كناته وأمره أن يغور الماء بسهمه^(٢). وذكره ابن أبي حاتم عن أبيه : قال : لا أعرفه ، وقال ابن شاهين : مات بالمدينة آخر أيام معاوية .

ويدل التعدد والاختلاف في شخص الذي نزل البثر على صحة أصل الخبر.

وقال (عن عبد الله بن عبد الله بن أبي أنه أصيبت ثنيته يوم أحد فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذ ثنية من ذهب)^(٣).

ليبان أنه لم يرجع مع أبيه وثلاثمائة من المنافقين من وسط الطريق في معركة أحد ، إنما قاتل مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واصيب بالجراح.

وقال ابن حبان بأن الحديث موضوع (وكيف يأمر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذ الثنية من الذهب وقد قال أن الذهب والحرير محرمان على ذكور أمتي)^(٤).

ولكن القدر المتيقن من الحرمة اتخاذ الذهب والحرير زينة وليس للعلاج ودرء أثر جراحه ، ومنه جواز لبس الحرير في ميدان الدفاع للظهور أمام المشركين بالعز وترغيبهم بالإسلام ، ولم تلبث النعم أن توالى على المسلمين وحررنا المسألة في باب الفقه .

(١) الاصابة في معرفة الصحابة ٢٧٩/١ .

(٢) الاصابة في معرفة الصحابة ١٧٩/٢ .

(٣) العسقلاني / لسان الميزان ١٠/١ .

(٤) العسقلاني / لسان الميزان ١٠/١ .

التكافل والتعاون لدفع ضرر المنافقين

لم يكن النفاق موجوداً في مكة قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا في السنة الأولى وشطر من السنة الثانية للهجرة في المدينة إذ ابتداء بعد نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر ، وتجلي المنعة والعز للمسلمين ، ودعوة الأوس والخزرج إلى الإسلام .

وأظهر أهل البيت والصحابة حسن الطاعة لله ورسوله ، ليكون من معاني الرحمة في قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١) الوقاية من شرور المنافقين وفضحهم والإحتراز منهم ، إذ أن صدق الإيمان والطاعة لله والرسول كاشف عن تخلف المنافقين عنها.

وفي صلح الحديبية عندما رأى الصحابي الجليل أبو قتادة الجد بن قيس ماداً رجله على شفير البئر في الماء ذكره بقوله قبل ساعة (مَا كَانَ خُرُوجُنَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِشَيْءٍ نَمُوتُ مِنَ الْعَطَشِ عَنْ آخِرِنَا)^(٢).

قال : إنما كنت امزح معك ، ثم سأله (لَا تَذْكُرْ لِمُحَمَّدٍ مِمَّا قُلْتَ شَيْئًا)^(٣).

أي أنه لم يقل له لا تذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه الرد سريعاً من أبي قتادة بأنه سبق وأن ذكر كلام الجد لرسول الله لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إخلاص الصحابه له ، وهو واقية من النفاق وضرره ، وسبب في فضح المنافقين من جهات :

الأولى : آيات القرآن الخالدة التي تتضمن ذم وإنذار المنافقين والمنافقات ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن آيات القرآن ضياء

(١) سورة آل عمران ١٣٢.

(٢) مغازي الواقدي ٥٩٠/٢.

(٣) مغازي الواقدي ٥٩٠/٢.

ينير له سبل وكيفية التعامل مع الناس ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١) .

الثانية : السنة النبوية القولية والفعلية في ذم المنافقين .

الثالثة : معرفة بعض الصحابة للمنافقين بأشخاصهم ، إذ يعرفهم حذيفة وعمار بن ياسر ، وقد ورد عن قنبر عن الإمام علي عليه السلام (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ألا إن الجنة اشتاقت إلى أربعة من أصحابي ، فأمرني ربي أن أحبهم فانتدب ، صهيب الرومي ، وبلال بن رباح ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وحذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر ، فقالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الأربعة حتى نحبهم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عمار ، أنت عرفك الله المنافقين ، وأما هؤلاء الأربعة فأحدهم علي بن أبي طالب ، والثاني المقداد بن الأسود الكندي ، والثالث سلمان الفارسي ، والرابع أبو ذر الغفاري)^(٢) .

الرابعة : إرتقاء المسلمين في سلم المعارف ، وتفقههم في الدين وتعاهدهم للصلاة والصيام ، والزكاة سبب لفضح وخزي المنافقين .

فغضب الجد وقال (بقينا مع صبيان من قومنا لا يعرفون لنا شرفاً ولا سناً) أراد بأن ما يقوله يجب أن يستمع وينصت له ، وأن يكون خاصاً بينهم .

ثم قال الجد : لبطن الأرض اليوم خير من ظهرها)^(٣) .

ليبان عدم إنحصار أذى المنافقين داخل المدينة ، فهو لا ينقطع حتى في الكتائب ، وأخرج الأحوال ، ودنو جيش المشركين ، ومن خصائص النبي

(١) سورة التوبة ٧٣ .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٣٦٠/١٦ .

(٣) مغازي الواقدي ٢٣٥/١ .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم صبره على شدة النفاق ، وسلامة نبوته من ضرر المنافقين.

وحينما نقل أبو قتادة قول الجد للنبي محمد لم يغضب وقال صلى الله عليه وآله وسلم (ابنه خير منه)^(١).

ليبان بشارة انقراض المنافقين ، وانقطاع النفاق أو ضعفه ووهنه ، وخروج جيل جديد من الشباب الرسالي المؤمن.

ولما لام جماعة من الأنصار أبا قتادة على نقله كلام الجد بن قيس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا أنه كبيرنا وسيدنا ، فلم يسكت ولم يعتذر أبو قتادة لهم ، إنما قال : قد والله طرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيادته على بني سلمة ، وسؤد علينا بشر بن البراء بن معرور.

(وَهَدَمْنَا الْمَنَامَاتِ^(٢) الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَابِ الْجَدِّ وَبَيْنَاهَا عَلَى بَابِ بَشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ فَهُوَ سَيِّدُنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(٣).

وسبق أن سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بني سلمة : من سيدكم ، قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأي داء أدوأ من البخل بل سيد بني سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء ، هكذا ذكره ابن إسحاق)^(٤).

لقد واجه أبو قتادة مع صغر سنه رهطاً من قومه يدافعون عن الجد بن قيس ليتفضل الله عز وجل بتعزيده وفضح المنافق عندما دعا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيعة تحت الشجرة في موضع الحديبية إذ توارى الجد بن قيس عن الأنظار كي لا يحضر البيعة مع أنهم في مكان

(١) مغازي الواقدي ٩١/٢ .

(٢) المنامات : جمع منامة وهي القطيفة .

(٣) مغازي الواقدي ٥٩١/٢ .

(٤) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٥١/١ .

مكشوف وقرييون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس مع الصحابة أحد.

ففقد أبو قتادة الجد بن قيس وأراد أن يرى قومه تخلفه عن واجب البيعة والعهد لرسول الله فأخذ معه رجلاً من الذين احتجوا عليه لإيصاله كلام الجد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصاروا يفتشان عن الجد بن قيس حتى وجداه قد دخل تحت بطن بعير ، وكأنه يستظل فأخرجاه ، وأراد أبو قتادة إقامة الحجة عليه ، وقال (وَيَحْكُ مَا أَدْخَلَكَ هَاهُنَا ؟ أَفَرَأَى مِمَّا نَزَلَ بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ ؟ قَالَ لَا ، وَلَكِنِّي رُعِبْتُ وَسَمِعْتُ الْهَيْعَةَ)^(١).

لقد كان الجد بن قيس من سادات بني سلمة من الخزرج فكيف يخاف من المناداة بالبيعة حال سماع الصحابة يدعون إليها .
ومن فضل الله فضح المنافق في بطلان عذره ، فليس من هيلة وخيفة من عدو قادم ، عندئذ قال الرجل الذي صحبه أبو قتادة معه: لا نصحت عنك أبداً.

اي لا أدافع عنك لأي سبب كان .
وعندئذ هل بايع الجد بن قيس ، الجواب لا ، إذ قال جابر بن عبد الله (فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير الجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره)^(٢).

والجد بن قيس السلمي هو الذي نزلت فيه ﴿أَنْذَرْنِي وَلَا تُفْتِنِي﴾^(٣)، كما عن ابن عباس إذ قال (قد علمت الأنصار أنني إذا رأيت

(١) مغازي الواقدي ٥٩١/٢ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١/١ .

(٣) سورة التوبة ٤٩ .

النساء لم أصبر حتى أفتنن ولكن أعينك بمالي فنزلت ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ
اُذْنَنِي لِي وَلَا تَقْنِنِي الْآفِيهِ الْفِتْنَةَ سَقَطُوا﴾^(١).

ليان تعاون الآية القرآنية والسنة النبوية والصحابة في ذم وتوبيخ المنافقين ، وتحصين المسلمين والمسلمات من النفاق ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تضاؤل النفاق ، وإنحساره وضعفه بتوالي نزول آيات القرآن وصبر وجهاد النبي وصدق إيمان أهل البيت والصحاب النجباء.

قانون عداوة النبي ظلم

لقد كان مشركو قريش ظالمين ، يظلمون أنفسهم وغيرهم ، ويتخذون ولايتهم للبيت الحرام حرباً على التوحيد والنبوة ، فان النبي محمداً كان يصبر على أذاهم ، ويرجو إسلامهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإضطراب للدفاع عن بيضة الإسلام حين هجموا على المدينة لإرادة قتله وأصحابه .

ومن الإعجاز مجئ قوله تعالى ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَعَانِ﴾^(٢) ، ثلاث مرات بخصوص معركة بدر ومعركة أحد.

ولم يرد بخصوص معركة الخندق أو ما بعدها ، فلم يكن يوم صلح الحديبية جمع قتالي كبير للمشركين ، بينما تضاعف جمع أهل الإيمان.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إزدیاد عدد المسلمين مع كل معركة ضد المشركين لظهور حقيقة تعدي وظلم المشركين وإشعالهم الحروب ضد النبوة والتزليل ، ولم يعلموا أن الله عز وجل جعل النفوس تميل بالفطرة إلى الهدى والإيمان ، وهو من مصاديق نفخ الله من روحه في آدم ، واتخاذ الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

(١) سورة التوبة ٤٩.

(٢) سورة آل عمران ١٥٥ .

(٣) سورة البقرة ٣٠.

وقد ورد بخصوص معركة بدر قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١)، وبصيغة الماضي (اختصموا) ولم تقل (يختصمون) لقتل المشركين الثلاثة الذين أصروا على المبارزة يومئذ وهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة.

ومن أسرار الآية أعلاه تعقب صيغة الجمع للمثنى في ذات الآية لبيان موضوع القتال ، وهو التضاد بين الإيمان والكفر ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لم يقاتلوا طلباً لدنيا ونحوه ، وأن المشركين كانوا في ضلال ، وأن معارك أخرى ستقع فلا بد من أخذ المسلمين الحائطة ، وهو لا يتعارض مع القول بأن الاثنين أقل الجمع.

و(عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذرٍ يقسم بالله قسماً : لنزلت هذه الآية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٢)، إلى آخر الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٣) إلى آخر الآية)^(٤).

و(عن جابر عن عكرمة في ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٥)، قال : هما الجنة والنار اختصمتا ، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته ، فقد قصَّ الله عليك من خبرهما ما تسمع)^(٦).

(١) سورة الحج ١٩.

(٢) سورة الحج ١٩.

(٣) سورة الحج ٢٢.

(٤) تفسير الطبري ٥٨٨/١٨ .

(٥) سورة الحج ١٩.

(٦) تفسير الطبري ٥٨٩/١٨ .

وهذا المعنى بعيد لغة وعقلاً ولا ينهض لمعارضة المشهور وأخبار الصحابة بنزولها بيوم بدر ، وورد اسم الإشارة بصيغة المذكر ، وكذا لفظ (خصمان).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذهاب أموال الذين يقاتلونه هباء مع استيلاء الحسرة والأسى عليهم متفرقين ومجتمعين وزهوق أرواح رؤسائهم مثل عتبة بن ربيعة وأخيه وابنه ، وقتلهم سبب الحسرة وندامة وألم عند الكفار ، قال تعالى ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنْهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١).

قانون الصلح أعظم فتح

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) ليكون شاهداً غضاً طرياً على أمور :

الأول : إكرام الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الثاني : تنجز الفتح من الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ تنسب الآية أعلاه الفتح لله عز وجل ، لبيان قانون لا يقدر على الفتح وهزيمة المشركين مع أنهم أضعاف المسلمين بالعدد والعدة إلا الله عز وجل.

الثالث : صلح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نهاية للمعارك ، فبعد أن قاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه دفاعاً في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، عقد في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة صلح الحديبية فساد السلام والأمن الجزيرة العربية .

(١) سورة النساء ١٠٤.

(٢) سورة الفتح ١.

وستبقى تسمية الصلح فتحاً دعوة للمسلمين للصبر والرضا بفضل الله ،
والعناية بالأخوة الإيمانية ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) واللفظ مع
الناس جميعاً والصبر على الأذى ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ ﴾^(٢).

وهل سعي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتحقيق الصلح جهاد
في سبيل الله ، الجواب نعم .
ليكون من خصائص النبي محمد قانون الجهاد من أجل السلام ، وجعل
العلة الغائية للدفاع تثبيت أسس الأمن والسلم والتعايش المجتمعي إلى يوم
القيامة ، وهو من مصاديق صفة المبين في نعت صلح الحديبية .
وسيقى صلح الحديبية أعظم فتح في الإسلام ، ولم يرد في غيره من
المعارك ونحوها أنها فتح لبيان أن الصلح والصبر والموادعة طريق الفلاح
والنجاح .

مدرسة الصلح

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حبه للسلم ، وبغضه
للقتل والقتل مع اجتهاده في محاربة عبادة الأوثان ، وتأكيده على قبح الظلم
والتعدي ، قال تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾^(٣).

وقد صبر وأصحابه في ميدان الدفاع حتى تم صلح الحديبية .
ومن الغايات الحميدة لتسمية صلح الحديبية فتحاً مسائل :

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

(٣) سورة الأنفال ٦١.

- الأولى : بيان قانون الإسلام دين الأمن والسلام .
- الثانية : تنمية حب الصلح والتسامح بين الناس عند الخصومة والشقاق .
- الثالثة : جواز الصلح مع المشركين .
- الرابعة : صلح الحديبية من الجزاء والشكر من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال سبحانه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ^(١) .
- وتدل الآية أعلاه على أن صلح الحديبية مفتاح لتحقيق غايات ومقاصد سامية كثيرة ، فالله عز وجل هو الذي فتح لرسوله سبل هداية الناس للإيمان ، وإذا أعطى الله سبحانه فانه يعطي بالأتم والأوفى .
- الخامسة : وقف دق طبول الحرب ، وأخبار زحف مشركي قريش على المدينة ، وتهديدهم ووعيدهم بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقتل شطر من المهاجرين والأنصار ، وأسر الشطر الآخر .
- السادسة : إمتلاء قلوب المشركين بالحنق عند صلح الحديبية لما فيه من كسر شوكتهم ، من وجوه :
- الأول : إضطراب قريش للصلح .
- الثاني : الإذن للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لدخول مكة للعمرة في العام التالي في السنة السابعة للهجرة ، وهي التي تسمى عمرة القضاء .
- الثالث : اخلاء قريش مكة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مدة ثلاثة أيام في عمرة القضاء .
- الرابع : عدم ممانعة قريش بخصوص دخول الناس الإسلام .
- الخامس : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صيرورة أصحابه في مكة رجالاً ونساءً يباهرون باسلامهم وعجز كفار قريش عن الإساءة إليهم ، ليكونوا نواة ومقدمة لدخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً في السنة الثامنة للهجرة .

السادس : صيرورة الهجرة إلى المدينة علية من غير أذى من المشركين .

السابع : ازدياد قوة ومنعة الإسلام ، وزيادة إيمان المسلمين .

الثامن : إصابة المنافقين باليأس والقنوط بعد أن بثوا الخوف والريب في

المدينة ، قال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرْهَوْلًا دِينَهُمْ وَمَنْ يُتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وقد تقدم في الجزء الأول من هذا السفر (قانون تضاؤل النفاق)^(٢).

السابعة : حينما عاد المشركون من معركة أحد أظهروا وهم في الطريق

الندامة لعدم قتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم سبي المسلمات

مع أنهم كسبوا جولة في المعركة ، وجاء صلح الحديبية ليأسوا من قتل النبي

صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان المعركة ، ومن سبي المسلمات.

الثامنة : صلح الحديبية دعوة للسلم المجتمعي ، ونبذ للحروب والقتال ،

وهو ضد للإرهاب ، وزاجر عنه .

التاسعة : ترغيب المسلمين بالصلح ، وإخبارهم بفتح الصلح لأبواب

من الخير والسعادة .

(وروى الحاكم عن حنظلة بن قيس أن عبد الله بن عامر بن كريز أتى به

رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه وعوذه فجعل يتسرع ريق النبي

صلى الله عليه وسلم فقال (انه ليشفى) وكان لا يعالج أرضا الا ظهر له فيها

الماء)^(٣).

وهو من خصائص وبركة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها

ما ورد عن (عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أبو أسيد

وأبو حميد وأبي سهل بن سعد يقولون أتى رسول الله صلى الله عليه

وسلم بئر بضاعة فتوضأ في الدلو ورد في البئر ومج في الدلو مرة أخرى

(١) سورة الأنفال ٤٩.

(٢) أنظر الجزء الأول من هذا السفر ص ١٨٣ .

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤١/١٠.

وبصق فيها وشرب من مائها وكان إذا مرض المريض في عهده يقول إغسلوه من ماء بضاعة فيغسل فكأنما حل من عقال^(١).

العاشرة : صلح الحديبية مناسبة لإقامة المسلمين الشعائر ، وأدائهم الفرائض العبادية من غير خوف من المشركين وهجماتهم وتعديهم ، وسعيهم في سفك الدماء ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلقيه الأذى ومحاولات الإغتيال من قبل المشركين حتى بعد صلح الحديبية ، لتكون نجاته منها بالمعجزة وفضل الله ، وهو من خصائصه .

معجزة الصلح

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الصلح الذي يعقده يكون فتحاً للإسلام ، وفيه معجزة حسية متجددة له .
ومن الدلائل عليه أنه كان وأصحابه خائفين في مكة ، يأتيهم الأذى كل يوم من قريش ، وبعد الهجرة النبوية صار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعقد الصلح الذي يدل على إقرار الطرف الآخر بالمسلمين .
وصلح الحديبية نعته الله عز وجل بأنه فتح إذ نزل عندما تم الصلح ، وقفل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم راجعاً إلى المدينة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٣).

وهل صلح الحديبية فتح بذاته أم هو من المجاز بأن يطلق عليه فتحاً لما له من موضوعية بفتح مكة وقيل تم معه فتح خيبر ، الجواب الأصل حمل

(١) الخصائص الكبرى ١١٠/٢.

(٢) سورة القصص ٥.

(٣) سورة الفتح ١.

الكلام العربي على ظاهره ، فذات صلح الحديبية فتح ترشحت عنه نعمة دخول مكة وفتوح كثيرة .

فبعد الصلح اختلط الناس وتقاربت المجتمعات لشيوع الأمن ونفاذ عبير نسيم آيات القرآن إلى الجوانح وشغاف القلوب في القرى والأمصار ، وصارت الصلاة علنية فيها ، وبرع المسلمون بالمناظرة بمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبراهين الكونية والعقلية فدخلت أفواج من الناس الإسلام .

ومن الإعجاز في الآية أعلاه عدم تسمية دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مكة فتحاً ، إنما سمي دخولاً ، وتستقرأ منه مسائل منها أن مكة أرض الإيمان والإسلام ، ولم يكن المشركون أولياء البيت ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ولأن أكثر أهل مكة دخلوا الإسلام قبل فتحها .

وهل من ضمن علم الله بقوله ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾^(٢) انحصار العلم بموضوع وحوادث وأضرار ما إذا تخلف المسلمون عن فتح مكة إلى ما بعد تمام عشر سنوات الصلح إلا الله ، الجواب نعم ، لما فيه من المهالك .

وهل منه مكر قريش بسؤال مدة الصلح عشر سنوات على أمل موت أو قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلالها وإجهازهم على أهل البيت والصحابة من المهاجرين والأنصار والتنزيل ، الجواب نعم .

وتقدير الآية : فعلم الله أنه لو بقيت مكة بيد المشركين عشر سنوات الصلح ومات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهلكتم وبقيت ثلاثمائة وستون صنماً في البيت الحرام .

(١) سورة الأنفال ٣٤ .

(٢) سورة الفتح ٢٧ .

ولا يحصي ما علمه الله وحده في المقام إلا الله عز وجل ، وهو لا يمنع من استقراء آلاف المسائل من الوقائع والأحداث ويبقى الأكثر خاصاً بعلم الله وحده الذي أحاط بكل شيء علماً.

وهل يشمل قوله تعالى ﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١) ما يحويه الله بفضله ، ومنه الأذى والضرر لو تأخر فتح مكة ، الجواب نعم ، وهو الذي يطلع عليه المسلمون والناس جميعاً يوم القيامة ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢).

من خصائص الميدان

لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً بمصاحبة الوحي له ، وبنزول الملائكة لنصرته في ميدان المعركة من غير أن يغادره الوحي والتنزيل فيه ، وهو من خصائصه ولطف الله عز وجل به وبالمسلمين وأهل الأرض كافة .

ومن خصائص النبي محمد مسائل :

الأولى : نجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في صرف أكثر المعارك ، وعدم وقوعها مع تخطيط المشركين لها ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿يُنْحَوِاْ لِلّٰهِ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).

الثانية : سلامة المهاجرين والأنصار من كثرة القتل .

الثالثة : صرف ما يترشح عن كثرة القتل من الأسى والحزن والضجر

وإرجاف المنافقين في المدينة ، قال تعالى ﴿وَلَا تَطْغِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٤) ، وتردد طائفة من الناس في دخول الإسلام.

(١) سورة الجن ٢٨.

(٢) سورة ق ٢٢.

(٣) سورة الرعد ٣٩.

(٤) سورة الأحزاب ٤٨.

الرابعة : استدامة حال الخيبة والضعف عند المشركين ، وفيه مقدمة صلح الحديبية .

الخامسة : لا يركن الطاغوت والمتكبر الذي يظن رجحان كفته إلى الصلح ، ولكن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يسعى إلى الصلح بكل حال ، وفي حال كثرة المسلمين وتعدد مواطن النصر ، وتعزيد الملائكة له ، لقوله تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(١) ، وليان القرآن لقانون (الصلح فتح) لنزول قوله تعالى عندما تم صلح الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢).

السادسة : تجلي معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان ، ومنها قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٣) ، ومنها التثام جروح عدد من الصحابة في الميدان بريقه ويده المباركة .

الخروج إلى دومة الجندل سلام

لقد خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بألف من أصحابه في كتيبة دومة الجندل وهو نفس العدد في خروجه إلى معركة أحد ، التي إنخزل فيها ثلاثمائة من وسط الطريق بأمر رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول مع أن المسافة بين المسجد النبوي وميدان معركة أحد (٥) كم . ولكن الصحابة ساروا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى دومة الجندل مع طول المسافة إذ تبلغ ستمائة كيلو متر مما يدل على زيادة إيمان الصحابة ، وضعف النفاق ، وعجز المنافقين عن بث روح الخوف والفزع في صفوف الصحابة .

وهل يدخل المنافقون في لفظ الناس في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١) ، وأن

(١) سورة النساء ١٢٨.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) سورة الأنفال ١٧.

المنافقين ممن قالوا للمسلمين بأن قريشاً جمعوا لكم وأن أهل دومة الجندل جمعوا لكم فلا تخرجوا إليهم مع بعد المسافة ، الجواب نعم .
وهذا المعنى لا يتعارض مع كون موضوع الآية أعلاه هو كتيبة حمراء الأسد بعد معركة أحد بيوم واحد .

وليكون رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سالمين من دومة الجندل حجة على المنافقين ، ودعوة لهم للتوبة إذ ورد في التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

واستخلف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة عند خروجه إلى دومة الجندل سباع بن عرفطة الغفاري (على رأس تسعة وأربعين شهراً من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة)^(٣).
ولقد كان أهل دومة الجندل يظلمون ويسلبون من يمر عليهم ويسعون للدنو إلى المدينة وغزوها ، فسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، وكان وأصحابه يسيرون ليلاً ، ويكمنون في النهار كما تقدم.
وقال ابن سعد (وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة)^(٤).
ولكن إذا كان المسير على الإبل فإن المسافة تقطع بخمس ليال بدليل أن رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة (في العشرين من شهر ربيع الآخر)^(٥).

(١) سورة آل عمران ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران ١٥٦.

(٣) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٦٢/٢.

(٤) الطبقات الكبرى ٦٢/٢.

(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٤٢/٤ .

أي أن مدة غياب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خمسة وعشرين يوماً مع مدة الإقامة في دومة الجندل وطريق العودة أطول خاصة وأن المسير في الليل عند الذهاب يكون أسرع.

وعن الإمام علي عليه السلام قال (والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلت: اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى)^(١).

أي أن الذين يسيرون في الليل يستبشرون عند الصباح لأنهم قطعوا المسافات ولم يركنوا إلى النوم في الليل، وكذا أهل التقوى والزهد يستبشرون يوم القيامة، وساعات الحساب.

واستصبح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معه دليلاً من بني عذرة اسمه (مذكور) يعلم الطريق وهو به خير، فسار بالنبي وأصحابه في غير الجادة العامة كيلا يصل خبرهم إلى أهل دومة الجندل فيستعدوا للقتال. ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحقيق غايات الكتيبة من غير قتال، ولمعان السيوف، وهو من مصاديق قانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) ومن الشواهد على مصاحبة معالم الإيمان للكتائب والسرايا النبوية.

(وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أعطيتُ خمساً ولا أقول فخراً: بُعثت إلى الأحمر والأسود، وجُعِلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُحِل لي المغنم ولم يحل لأحد كان قبلي، ونُصرت بالرعب فهو يسير أمامي مسيرة شهر وأُعطيَت الشفاعة فادّخرتها لأمتي يوم القيامة، وهي إن شاء الله نائلة من لم يشرك بالله شيئاً)^(٢).

لقد اجتنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإغارة العلنية على دومة الجندل وما فيها من الحصون المنيعة، وقد يضطر إلى محاصرتهم وتطول مدة

(١) البحار ١٦٠/٤١.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٢١/١١.

الحصار ، وبلاد الشام وجيش قيصر ليس بعيداً ، إنما الغاية هي كف أيدي المشركين ، ومنعهم من ظلم الذي يمر عليهم ، وسلب أمواله ، وزجرهم عن الهجوم على المدينة ، وإعانة قريش في عدوانها المتصل والمتكرر.

وأقام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دومة الجندل (أياما، وبث السرايا فعادت كل سرية بإبل ولم تلق أحدا) (١).

وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتخفيف عن الذين آمنوا برسالاته ، والذين خرجوا معه في الكتائب.

لقد فرّ وانهزم أهل دومة الجندل من أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلاحقهم ، نعم جاء له محمد بن مسلمة برجل منهم ، فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قومه.

فقال : هربوا أمس لما سمعوا أنك أخذت نعمهم.

و(عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاسلام أياما فأسلم) (٢).

أي أنه لم يسلم من أول دعوة نبوية له ، فمن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكرار دعوته للأفراد من غير إكراه مع كثرة أصحابه الذين يحيطون به ، ولم يؤسره ويحسبه أسيراً أو رهينة أو سجيناً.

إلى أن دخل الإسلام بما رأى من المعجزات ، وهل هذه النعم التي أخذت من أهل دومة الجندل في مقابل ما أخذوه من السلب من الناس ،

الجواب نعم ، وفيها تأديب وزجر ، قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٤٢/٤ .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٤٢/٤ .

(٣) سورة الزخرف ٧٦ .

عدم الالتفات للتخويف من قيصر

لقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن من أهل دومة الجندل (قالوا : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدنو إلى أدنى الشام، وقيل له إنها طرف من أفواه الشام، فلو دنوت لها كان ذلك مما يفزع قيصر. وقد ذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً، وأنهم يظلمون من مر بهم من الضافطة، وكان بها سوقٌ عظيمٌ وتجار، وضوى إليهم قومٌ من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة)^(١).

و(الضافطة من الناس: الحمالون والمكارون)^(٢).

وقولهم (يفزع القيصر) تحذير للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن الأمر يقود إلى نزاع مسلح مع قيصر، وكانت قواته بعشرات الآلاف ومجهزة بأحدث الأسلحة، وقد خرجوا للتو من معارك طاحنة مع الفرس، مما يدل على التمرين والخبرة والمراس.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يلتفت إلى مثل هذا التحذير والإنذار، لأن الملاك هو ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٣)، ولضبط الأمن في الجادة العامة وفي الموانئ والمدن التي تقع على طريق التجار والكسبة، ويريدون غزو المدينة.

فسار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الخامسة للهجرة ومعه ألف من أصحابه إلى دومة الجندل من غير خشية من القيصر، بل بقصد بعث الخوف في نفس القيصر نفسه.

وحينما علم أهل دومة نبأ مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفرقوا ومن خصائص النبي محمد دخول الرعب في قلوب أعدائه الذين يتوجه إليهم مع أنه لا يقصد الغزو.

(١) مغازي الواقدي ١/ ١٥٦.

(٢) جمهرة اللغة ٢/ ٢٣٢.

(٣) سورة التوبة ٤٠.

في المسير إلى دومة الجندل وجوه :

الأول : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يقول ولا يفعل إلا بوحى من عند الله ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) ، وهل ترك النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لفعل مخصوص أمر وجودي ومن الوحي ، الجواب نعم.

الثاني : هناك من الصحابة من أشار على النبي بالدنو من أطراف الشام لإخافة قيصر ، قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

الثالث : سبق نزول قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣).

وهذه الآية درع حصينة وباعث للمسلمين للتوكل على الله في التوجه إلى ميدان القتال لصرف الله عز وجل عنهم القتال ، كما في حمراء الأسد و بدر الموعد وغيرها .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤).

الجواب ان الله عز وجل واسع عليم ، وهباته من اللا محدود في سنخيتها وكيفيتها وعددها ، والصرف عن القتال آية عظيمة .

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران ١٧٣.

(٤) سورة الأنبياء ٦٩.

إكرام النبي محمد (ص) لمكة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إكرامه للبيت الحرام ومدينة مكة التي هي جزء من الحرم ، وهل يمكن أن تتوسع مكة في الأزمنة اللاحقة فيكون شطر من بيوتها خارج الحرم ، الجواب نعم ، وهذه التوسعة من خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وتشمل البركة التوسعة بلحاظ أن عرفة مع قدسيتهما فهي خارج الحرم . لقد أكرم الله عز وجل مكة إذ وضع فيها المسجد الحرام ، وهو أول مسجد جعله الله عز وجل للناس ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ولم تكتف الآية أعلاه بالإخبار عن كون البيت الحرام أول بيت لعبادة الله في مكة بل أخبرت الآية بإفاضة البركة وأسباب الهداية والصلاح للناس جميعاً منه في كل زمان ، وهو أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل . وقد تجتمع البركة والهداية العامة في موضوع مستقل كما في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن (أبي ذر قال قلت: يا رسول الله، أيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أولُ.

قال : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ .

قلت : ثم أيُّ؟ قال : الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى .

قلت : كم بينهما .

قال : أَرْبَعُونَ سَنَةً .

قلت : ثم أيُّ؟ قال : ثُمَّ حَيْثُ أَدْرَكْتَ الصَّلَاةَ فَصَلِّ ، فَكُلُّهَا مَسْجِدٌ)^(٢).

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧٧/٢ .

وقبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات تصدعت جدران الكعبة ، وكانت على الحال التي بناها إبراهيم عليه السلام رصفاً للحجارة فوق القامة .

فارادت قريش إعادة بنائها وتسقيفها ، ولكنهم هابوا هدم الكعبة حتى مع قصد إعادة بنائها .

فقال الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد : أنا ابدء في هدمها ، فأخذ المولود وقام بهدمها وهو يتوسل ويعتذر و(يقول: اللهم لا ترعُ اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناسُ به تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً، ورددناها كما كانت، وإن لم يُصِبْه شيء ، فقد رضي الله عز وجل ما صنعناه.

فأصبح الوليد غادياً على عمله، فهدم والناس معه، وتحرك حجر فانتقضت مكة بأسرها وما زالوا حتى انتهى الهدم إلى الأساس، فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنمة ثم بنوا .

حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه، حتى تواعدوا للقتال، وقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، وأدخلوا أيديهم في الدم، وتعاقدوا على الموت، فسموا لعقة الدم، فمكثوا أربع ليالٍ أو خمس ليالٍ كذلك، ثم تشاروا^(١).

واتفقوا على أن أول من يدخل من باب المسجد عليهم هو الحكم بينهم. فأطل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطلعته البهية ، فلما رأوه استبشروا ونادوا هذا الأمين ، قد رضينا به هذا محمد ، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر وسألوه الفصل فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه .

فقال : هلموا إليّ ثوباً ، وكأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على موعد مع هذه الحادثة وكيفية الحل الذي يبين شأنه مع رضا جميع بيوتات قريش بمنزلته الرفيعة وقراره الحكيم منع الإقتال بينهم .

فمن خصائصه أن تساق له مصاديق الكرامة والعز والرفعة بلطف وفضل من عند الله .

فأتي به (فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم قال : ارفعوه جميعاً ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ، ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن ينزل الوحي : الأمين^(١) .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الفوز بالشرف الذي اقتربت قريش من الإقتتال بسببه ، مع تسليم بأهلية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمقام وضع الحجر الأسود في موضعه في الركن ، وفيه مقدمة لبعثته ، ودعوة لقريش وغيرهم للتصديق برسالته . ويتجلى قانون رضا الناس بحكم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة وبعدها .

قال تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلِبُ هَذَا الْبَلَدِ﴾^(٢) ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، لَمْ تَحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ يَحَلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، فَلَا يَعْصِدُ شَجَرُهَا وَلَا تَحْتَلِي خِلَالَهَا وَلَا نَفَرٌ صَيْدُهَا وَلَا يَحِلُّ لِقَطْعِهَا إِلَّا الْمَنْشَدُ .

فقال العباس : يا رسول الله إِلَّا الْأَذْخَرُ فَإِنَّهُ لَقِيوتنا وقْتورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِلَّا الْأَذْخَرُ^(٣) .

وعن الإمام الصادق عن الباقر عليهما السلام (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة لم يسب لهم ذرية ، وقال : من أغلق بابه فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن)^(٤) .

(١) المنتظم ١/٢٣٥ .

(٢) سورة البلد ١-٢ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٤/١٠٩ .

لقد اجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إكرام مكة عند إقامته فيها ، وعند الهجرة ، وكان يؤكد في القول والعمل على حبه لها وعلى حرمتها .

الأصل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد دخول مكة قهراً على قريش ، مع أنه وأصحابه أحق بها ليكون صبره عن دخول مكة وهو فرع الوحي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

قانون التهيب للدفاع سلام

ليس في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾^(٣) أمر بالقتال ، أو تخطيط وسعي له ، إنما هي آية سلام وصبر وإقامة في المدينة .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :
الأول : امثال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأوامر والنواهي التي تنزل من الله بآيات القرآن.

الثاني : قانون السنة النبوية مرآة لآيات القرآن .

الثالث : أخذ الحائطة والحذر من المشركين ، وسوء قصدهم في الهجوم والإغارة على مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل في امثال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لمضامين آية (وأعدوا) من رهبتهم وخشيتهم من الله عز وجل ، الجواب نعم .
وهو مادة لإستدامة هذه الرهبة من الله عز وجل من جهات :
الأولى : إعداد القوة والسلاح طاعة لله عز وجل .

(١) البحار ٢١/١٣٦ .

(٢) سورة ن ٤ .

(٣) سورة الأنفال ٦٠ .

الثانية : الإدراك العام عند المسلمين بأن الله عز وجل يريد لهم خير الدنيا والآخرة ، ورحمته حاضرة معهم .

الثالثة : استدامة أداء المسلمين الفرائض العبادية مع التهيئ والتمرين والرمي ، واعداد السيوف والدروع لملاقاة المشركين .

الرابعة : لما أمر الله عز وجل المسلمين بأعداد القوة والسلاح فإنه سبحانه ضمن لهم تحقيق هذا الإعداد .

الخامسة : من تقدير (ترهبون به) ترهبون به المشركين أعداء الله عز وجل ، وتذكرونهم بأحوال يوم القيامة ، فتكون الباء في (ترهبون به) للسببية .

فالرغبة من القوة والسلاح ، وهي من الله عز وجل ، وتكون وسيلة ودعوة لدخول الإسلام ، وهجران الإرهاب والإقتال .

ليبان خروج أهل الكتاب بالتخصيص من مضامين هذه الآية لأنها قيدت الإرهاب والإخافة بأعداء الله .

وتقدير الآية : ترهبون به المشركين الذين يقاتلونكم والذين لم يقاتلونكم .

فان قلت قد ورد الأمر الإلهي للمسلمين بمحصر القتال بالذين يقاتلونهم ، كما في قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(١) .

والجواب هذا صحيح ، ولكن النسبة بين إعداد الأسلحة لإخافة العدو وبين القتال عموم وخصوص مطلق ، فالمدار القوة أعم ، وهو مانع من القتال لما فيه من بعث الخوف والخشية في قلوب العدو وبين صفوفه .

وهو من مختصات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تثبيته لقانون السلام منهاج النبوة في الأرض .

ومن مصاديق القوة في المقام التأخي والتصافي بين المسلمين والتقوى

وحسن التوكل على الله ، قال تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

وآية (ترهبون) من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢).

وإن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يجذبون الناس إلى الرهبة من عند الله عز وجل ، وفيه تأكيد للآيات التي حضت على الرهبة من الله عز وجل ، كما في قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾^(٣) ، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾^(٤).

منع سفك الدماء

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نشر ألوية السلم وإشاعة الأمن في الأرض .

وعندما احتج الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٥) بأن شطراً من الناس يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء أجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦).

ومن علم الله عز وجل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن خصائصه وجوه :

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) سورة المدثر ٣١.

(٣) سورة البقرة ٤٠.

(٤) سورة النحل ٥١.

(٥) سورة البقرة ١٩٤.

(٦) سورة البقرة ١٩٤.

الأول : إقامة الحدود .

الثاني : حقن الدماء .

الثالث : إصلاح الأجيال المتعاقبة من أمته تعاهد الصلاة والفرائض

العبادية ، وهو مرآة عملية لقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١).

لذا جاء الأمر في باب الحكم خاصاً وعماماً ، أما الخاص فموجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ خَصِيماً ﴾^(٢).

وأن العام فموجه إلى المسلمين وعلمائهم وأمرائهم ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(٣).

للزوم العدل في الحكم بين عامة الناس على اختلاف مشاربهم ، ومذاهبيهم ، ومللهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوه :

الأول : تحقيق السلم والأمن في الجزيرة .

الثاني : جعل المشركين عاجزين عن مواصلة القتال وغزو المدينة

الثالث : ركوب الديون الكبيرة مشركي قريش لتجار الشام وغيرهم ، خاصة وأنهم كانوا يقترضون بالربا .

الرابع : اختلاط المشركين بالمسلمين وسماعهم منهم ، ونفاذ الإسلام إلى قلوبهم .

الخامس : توالي دخول الأفراد والجماعات والقبائل الإسلام .

(١) سورة الذريات ٥٦.

(٢) سورة النساء ١٠٥.

(٣) سورة النساء ٥٨.

السادس : الشواهد من الكتاب والسنة بأن الإسلام دين السلم والصلح والموادعة .

السابع : صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وتنزههم عن مقابلة الإرهاب بمثله .

الثامن : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلاوة القرآن في مكة جهرًا وعلانية مع شدة أذى قريش .

التضاد بين السنة النبوية والإرهاب

الإرهاب لغة مشتق من الفعل (أرهب) .
ويقال (رَهَبْتُ الشَّيْءَ رَهْبًا وَرَهْبًا وَرَهْبًا وَرَهْبَةً: أَي خَفَّتْهُ، وَأَرْهَبْتُ فَلَانًا. وَالرَّهْبَاءُ: اسْمٌ مِنَ الرَّهْبِ. وَالْإِرْهَابُ: الرَّدُّ، أَرْهَبَ عَنْكَ الْإِبِلَ: أَي رُدَّهَا)^(١).

(والإرهابُ بالكسْرِ: الإزعاجُ والإخافةُ)^(٢).
وفيه شاهد بأن المعنى اللغوي للإرهاب متخلف عن المعنى الإصطلاحي للإرهاب في هذا الزمان ومفهومه فلا يختص الذي يقع عليه أثر الإرهاب ، إنما المراد منه المعنى الأعم من وجوه :

الأول : الذي يقوم بالفعل الإرهابي .

الثاني : الفعل الإرهابي .

الثالث : الذين يقع عليهم الفعل الإرهابي .

الرابع : حال الفزع والخوف التي تعم الناس .

ولا يختص الإرهاب باخافة الآخرين ، إنما يشمل الجناية الخاصة التي تترشح عنها إخافة الآخرين ، فيقع فعل إرهابي في محل مخصوص أو سوق أو في مركبة في بلدة مخصوصة ولكن الخوف يشمل الكثير من الناس فيها وفي

(١) المحيط في اللغة ٣٠٧/١ .

(٢) تاج العروس ٥٤٥/١ .

مدن أخرى قريبة وبعيدة عنها بسبب عالمية الإعلام ، والقبح الذاتي للفعل ، وإنكار الناس له.

وقد صدرت لي (ثمانية عشر) جزءاً من (معالم الإيمان) خاصة بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) وهي الأجزاء :

١٨٤-١٨٥-١٨٨-١٩٥-١٩٨-

١٩٩-٢٠٣-٢١٠-٢١١-٢١٩-

٢٣٥-٢٣٦-٢٣٨-٢٤٣-٢٤٤-

٢٤٦-٢٥٢-٢٦٣.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التضاد بين سنته الشريفة وبين الإرهاب ، من جهات :

الأولى : صبغة السلمية في الدعوة النبوية .

الثانية : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كفاية معجزاته في الدعوة إلى الله عز وجل .

الثالثة : ليس في الرسالة السماوية إلا الخير والفلاح ، والإرهاب قبيح ذاتاً وأثراً .

الرابعة : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استئصال الإرهاب والغزو من الأرض ، فلم يغادر الدنيا إلا بعد أن سادت مفاهيم العدل والمساواة والإنصاف وإقامة الصلاة اليومية بين الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

السلم المجتمعي

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اتخاذه الدفاع نوع طريق ومقدمة للصالح ، ويسعى القواد والملوك للفتوحات وتوسعة سلطانهم.

أما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانه يريد الأمن لعامة الناس مسلمين وأهل كتاب ومشركين ، ويجاهد بنفسه وأهل بيته وأصحابه لتحقيق السلم المجتمعي ، وسلامة الناس في بيوتهم ومدنهم وفي الطرقات العامة ، ومنها طرق المسير إلى مكة لأداء الحج ، وطرق قوافل قريش مع شركهم. لقد أخبر الله بأن الأرض ملك له ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) ، ومن مصاديق ملكه بعث الأنبياء لنشر الأمن في الأرض ، وإقامة الحججة على الظالمين ، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

وهل في الآية أعلاه إنذار للذين كفروا وحاربوا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقرب هلاكهم وإزاحة سلطانهم ، الجواب نعم . فالسلم الذي يأتي به الرسول ينتفع منه عامة الناس على اختلاف مللهم ومشاربهم ، وهل بلغت هذه الحقيقة الوجودية أهل فارس والروم ، الجواب نعم ، وهو من أسباب امتناعهم عن إعانة المشركين في قتالهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ أدركوا أنه مصلح لعموم الأرض ، وفيه بداية لنشر الإسلام في تلك الأمصار.

وتوجه الخطاب من الله عز وجل للذين آمنوا في كل زمان للمبادرة إلى السلم وتعاهده إذ ورد في التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) سورة النمل ٦٩.

(٣) سورة البقرة ٢٠٨.

قانون الزجر عن محاربة النبي محمد (ص)

لقد جعل الله عز وجل الأنبياء وسائط تبليغ أحكام الشريعة ، وجذب الناس إلى مقامات التوحيد ، وآتاهم المعجزة والشواهد التي تدل على صدق رسالتهم وما يدعون إليه ، ونهى عن معصيتهم والجحود بنبوتهم ، ليكون من باب الأولوية القطعية حرمة محاربتهم .

ونزلت آيات القرآن بالشواهد على سوء عاقبة الذين كذبوا الأنبياء ، قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَشُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَعْلَبٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجود إشارات وأمارات عامة تزجر الناس عن محاربته وقتاله ، وهذا الزجر ليس مجرداً ، إنما هو إنذار ووعيد بسوء عاقبة الذين يحاربونه ، وهو الذي تجلّى في معركة بدر بأن سحب إلى القليب سبعون من رجالاتهم مع التوثيق السماوي لنصرة النبي وأصحابه يومئذ بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

ترى لماذا لم تقل الآية أعلاه (ولقد نصرك الله ...) كما في قوله تعالى ﴿وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾^(٣) بصيغة الخطاب للمفرد .

الجواب من جهات :

الأولى : شكر وثناء الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة الذين حضروا معركة بدر من المهاجرين والأنصار .

الثانية : شمول صيغة الجمع في الآية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الإمام في المعركة .

(١) سورة ق ١٢-١٤.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

(٣) سورة الفتح ٣.

الثالثة : عموم الخطاب القرآني في الآية بما يشمل أجيال المسلمين ،
ليدرك كل مسلم ومسلمة أن النصر يوم بدر هو نصر لهما .

الرابعة : مجئ آيات متعددة بصيغة الجمع في نصر الله للمسلمين ، قال
تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ
عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (١) .

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم التخفيف عن أصحابه
وعن المشركين أيضاً .

ومنه قوله في طريقه إلى الحديبية بأن قال (مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ
غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا) (٢) .

لقد أراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منع المواجهة واللقاء مع
خيل المشركين ، وحرص على دفع الفتنة ، خاصة وأن خيل المشركين
يريدون الذريعة للتعدي وهياج الناس .

فسار في طريق وعرة فيها صعود ونزول وشق على الصحابة إلى أن
وصلوا إلى أرض سهلة في آخر الوادي مما اضطر خيل المشركين برئاسة
خالد بن الوليد للرجوع إلى مكة مسرعين .

ووصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحديبية ، فبركت ناقته قبل
الدخول في الحرم لأن الحديبية خارج الحرم وفي أطرافه ، لبيان أن السير في
طريق وعرة غير الجادة العامة أهون من الفتنة والإقتال ، وفي هذا السير
الأجر والثواب المضاعف .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٣) الجواب نعم .

(١) سورة التوبة ٢٥ .

(٢) ابن هشام/السيرة النبوية ٣٠٩/٢ .

(٣) سورة المؤمنون ٩٦ .

النبوة باعث للسكينة

يتصف الأنبياء بالسكينة مع الإجتهد بالدعوة إلى الله ومواجهة الذين كفروا والهلكة ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه الأسوة في الصبر والتحمل ، وعدم مغادرة منازل السكينة بفضل ولطف من الله عز وجل عليه وعلى المؤمنين ، قال تعالى ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١).

ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث السكينة في نفوس أصحابه وتهيئة اذهانهم لصلح الحديبية : إذ قال (لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها)^(٢). وهل فيه شاهد على أن آيات السلم محكمة غير منسوخة خصوصاً وأن صلح الحديبية تعقب هذا القول وفي ذات الموضع ، الجواب نعم ، لبيان قانون من جهات :

الأولى : قانون السنة النبوية بيان للقرآن .

الثانية : قانون نفي السنة النبوية للقول بنسخ آيات السلم والصلح . وقال عدد من العلماء أن آية السيف ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَأَبَّوْا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)، نسخت جميع آيات الصفح والسلم والكف عن المشركين ، وأمرت بقتالهم ، وقالوا انها نسخت

(١) سورة الفتح ٢٦.

(٢) جوامع السيرة ٢٠٨/١.

(٣) سورة التوبة ٥.

مائة آية من آيات السلم والموادعة والصفح ولا أصل لهذا القول ، وفيه تساهل كثير .

فلا بد من دليل مخصوص على النسخ ، كأن الرسول يقول : آية كذا نسخت آية كذا ، أو وجود تعارض مقطوع به بين الآيتين مع معرفة المتقدم المنسوخ والمتأخر الناسخ .

وقد صدر لي (أحد عشر) جزء من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بعنوان (آيات السلم محكم غير منسوخة) وتصدر بخصوصه أجزاء أخرى إن شاء الله .

الثالثة : قانون تجلي النفع العام بالسلم والصلح في كل زمان .
الرابعة : قانون من الشواهد على صدق النبوة ميل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلح .

الخامسة : قانون دفع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأسباب ومقدمات القتال .

السادسة : قانون تعجيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بوقف القتال في حال نشوبه .

ومن بنود صلح الحديبية يأتي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للعمرة في العام التالي ، وهو السابع للهجرة ، و(يكون بينهم صلح متصل عشرة أعوام، يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضاً)^(١) .

خطة أبي سفيان لقتل النبي (ص)

عن الواقدي بإسناده عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري (كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة ما أحد يغتال محمداً فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا .

(١) جوامع السيرة ٢٠٨/١ .

وفيه شاهد على السكينة التي يتصف بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحضوره بين الناس ، وإصلاحهم ، وعدم الخشية من الذين كفروا لأن الملائكة في صحبته .

فأتى أبا سفيان رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له إن أنت وفيتني وخرجت إليه حتى أغتاله فإني هاد بالطريق خريت^(١) معي خنجر مثل خافية النسر.

قال أبو سفيان أنت صاحبنا وأعطاه بعيرا ونمقه وقال اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد.

قال العربي لا يعلمه أحد فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحادي يوم سادسه.

ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى المصلى.

فقال له قائل قد توجه إلى بني عبد الأشهل فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده.

فلما دخل وراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه إن هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فوقف.

وقال أيكم ابن عبد المطلب فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا ابن عبد المطلب .

فمع أن أمر الأعرابي مريب فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتردد في التعريف بنفسه ، وهو من خصال الشجاعة عنده .

(١) خريت - بكسر الخاء - دليل حاذق .

فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنه يساره فجذبه أسيد بن حضير وقال تنح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجذب بداخن أزاره فإذا الخنجر.

فقال يا رسول الله هذا غادر فأسقط في يد الأعرابي وقال دمي دمي يا محمد وأخذه أسيد بن حضير يلبيه .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصدقني ما أنت وما اقدمك فان معه (نفعلك الصدق وان كذبتني فقد اطلعت على ما هممت به.

قال العربي فأنا آمن قال وأنت آمن.

فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم صاراً من الغد فقال قد أمتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك. قال وما هو فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت.

ثم اطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ، ولم يطلع عليه أحد ، فعرفت أنك ممنوع ، وأنت على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان.

فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتبسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر^(١).

لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة ابن أسلم بن حريش أخرجاً حتى تأتيأ أبا سفيان بن حرب فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه)^(٢).

(١) أنظر البداية والنهاية ٧٠/٤.

(٢) البداية والنهاية ٧٠/٤.

ويدل هذا الخبر على أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم النجاة من الإغتيال بالمعجزة التي تأتي تارة بعلم الغيب ، وأخرى بالأمارات والدلائل الحسية ، والملاك هو فضل الله .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعدد أسباب سلامته من الإغتيال مع كثرة أفراد وخطط هذا الإغتيال .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١).

فخرجا ويسمى خروجهما سرية عمرو بن أمية الضمري ودخلا مكة ورأهم معاوية بن أبي سفيان ، وكان عمرو بن أمية فتاكاً في الجاهلية فخافوا منه وأخبر قريشاً بوجوده في مكة ففر عمرو بن أمية وصاحبه .
ليبان أن هذه السرية إنذار للمشركين ، وعدم تحقق اغتيال أبي سفيان .

بعث الشوق للقرآن

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعل المسلمين يعشقون القرآن ويشتاقون لقراءته ، ويقبلون عليه بشوق ، وقصد القرية إلى الله تعالى ، ورجاء الثواب واكتناز الحسنات في تلاوته وحفظه الصدور عنه .
وعن (عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب فقام به آناء الليل ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار)^(٢).

والقرآن عنوان الصلة المستديمة بين السماء والأرض ، وهو هبة السماء إلى أهل الأرض ، والكنز الظاهر ، الممتنع عن التحريف ، وهو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣) .

(١) سورة يس ٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦٥/١ .

(٣) سورة الفرقان ١ .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلاوته آيات القرآن في الليل والنهار بدوام اعتاد عليه أهل البيت والصحابة .

وفي حديث أم هاني (كنت أسمع صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يرجع القرآن)^(١) .

وترجع الصوت لغة ترديده ولكنه في الإصطلاح أعم إذ يعني مدّ الحروف والكلمات ، وتحسين التلاوة مع إظهار الخشوع .

ومن خصائصه رغبته بسماع القرآن من غيره وعن عبد الله بن مسعود (قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اقرأ عليّ قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل .

قال : نعم . إني أحب أن أسمع من غيري .

فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً }^(٢) فقال : حسبك الآن . . فإذا عيناه تذرفان)^(٣) .

وتدل قراءة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في صلاة الفريضة والنافلة بالقصر في الأولى والإطاعة في الثانية على التقيد بوجوب التلاوة في الصلاة مع التخفيف عن الصحابة في صلاة الفريضة ، وعشق التلاوة في صلاة النافلة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دلالة إطالته للقراءة وكثرتها في صلاة النافلة على حفظه للقرآن ، وقد يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء مجتمعة في ركعة واحدة وبترتيل وإطالة الركوع من السجود .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٥٠١/٨ .

(٢) سورة النساء ٤١ .

(٣) الدر المنثور ١٢٦/٣ .

وورد عن (عن حذيفة قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فافتتح البقرة فقرأ فقلت يركع عند المائة فمضى فقلت يركع عند المائتين فمضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فافتتح النساء فقرأها .

ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع وقال سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحواً من قيامه ثم رفع رأسه فقال سمع الله لمن حمده فكان قيامه قريباً من ركوعه)^(١).

وأتى بلال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإيذان بصلاة الصبح (فراه يبكي فقال : يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال : يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم قال : وما لي لا أبكي وقد أنزل الله تعالى في هذه الليلة عليّ {إن في خلق السماوات والأرض} ^(٢) الآية ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)^(٣).

قلة الإرتداد

الإرتداد هو الإنحراف عن العقيدة وترك الإسلام بعد الدخول فيه والنطق بالشهادتين ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قلة عدد المرتدين عن الإسلام ولحوق الخزي بهم ، سواء في فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة ، أو هزيمتهم في حروب الردة التي حصلت بعد انتقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ليكون من خصائصه سلامة الإسلام وشرائعه وأحكامه أيام حياته وبعد مغادرته إلى الرفيق الأعلى .

(١) السنن الكبرى / للنسائي ٤٣٣/١.

(٢) سورة آل عمران ١٩٠.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣١٤/٣.

(عن ان عباس أن علياً كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله يقول { أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم }^(١) والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت .

وأخرج ابن المنذر عن الزهري قال : لما نزلت هذه الآية { ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم }^(٢) قالوا : يا رسول الله قد علمنا أن الإيمان يزدد فهل ينقص؟ قال : إي والذي بعثني بالحق إنه لينقص قالوا : يا رسول الله فهل لذلك دلالة في كتاب الله؟

قال : نعم . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم } فالإنقلاب نقصان لا كفر^(٣) والزهري من التابعين ولم يرفع الحديث .

وتتضمن الآية الإخبار بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بشر لا بد أن يموت كما مات الأنبياء السابقون ، ولكن من خصائصه أنه لم يغادر الدنيا حتى نزلت عليه جميع آيات القرآن ، ويتم أحكام الشريعة ، وفيه حجة متعددة في الزجر عن الإرتداد لقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم حصول إرتداد في أيام حياته ، ولا عبرة بالقليل النادر بأفراد بعدد الأصابع . وكما كان من أكثر الناس إيذاءً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبو لهب فان من أوائل المرتدين ، وفي أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة آل عمران ١٤٤.

(٢) سورة الفتح ٤٠.

(٣) الدر المنثور ٤٥١/٢.

(٤) سورة المائدة ٣.

وآله وسلم هو عبيد الله بن جحش ، وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من المهاجرين إلى الحبشة هو وزوجه أم حبيبة فتنصر هناك .

وبالإسناد (قالت أم حبيبة رأيت في النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه ففرغت فقلت تغيرت والله حاله فإذا هو يقول حيث أصبح يا أم حبيبة إنني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم قد رجعت إلى النصرانية. فقلت والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات)^(١).

ليبان أن الرؤيا مدد للمؤمنين والمؤمنات ، ودعوة روحية لهم للصبر برؤية سوء حال المرتد .

ومن المدد في المقام أن أم حبيبة رأت بعد موته رؤيا أخرى ، رؤيا بشارة وأمل إذ رأت (كأن آتيا يقول يا أم المؤمنين ففرغت فأولتها أن رسول الله يتزوجني)^(٢).

بين الشفق والوسق

قال تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾^(٣) لم يرد لفظ (الشفق) و(وسق) في القرآن إلا في الآيتين أعلاه . مع صدور مائتين وستة وستين جزءاً من تفسيري (معالم الإيمان في تفسير القرآن) لم أذكر مسألتين بخصوص الآيتين أعلاه وهما :
الأولى : النسبة المنطقية بين الشفق والوسق .

الثانية : هل الشفق والوسق مما سخره الله للناس ، أم هما ضمن قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^(٤).

(١) تاريخ دمشق ٦٩/١٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٨/٩٧.

(٣) سورة الإنشقاق ١٦-١٨.

أما المسألة الأولى فإن النسبة بين الغسق والشفق هي العموم والخصوص المطلق ، فالغسق أعم ، وكل شفق هو من الغسق وليس العكس ، لأن الشفق هي الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب سميت به لرقته ومنه الشفقة في القلب بقية ضوء الشمس وبداية زحف الليل على النهار . أما الوسق فهو ظلمة إذا اجتمعت ، فاذا كان الشفق في الساعة السابعة مساءً مثلاً فإن الوسق يكون بعده ، فأول الليل الشفق وظلمته الغسق . وأما المسألة الثانية فإن الله عز وجل سخر للناس كلاً من الشفق والوسق على نحو مستقل .

ومن آيات دخول الليل في النهار بآشارة الآية الكريمة بان الوسق أول الليل ، ومنه دعوة كل منهما الناس إلى التدبر في الآيات الكونية اليومية ، واستحضار ذكر الله ولزوم الخشوع وأداء الفرائض العبادية . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيانه للآيات الكونية ، والثناء على الله عز وجل بنعمة الخلق ، وفي التنزيل ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) .

وتعددت الأقوال في معنى الشفق والوسق ، وهل الشفق النهار كله أم أنه الشمس ، أو أنه اسم للحمرة والبياض^(٢) .

(وزعم الحكماء أن البياض لا يغيب أصلاً قال الخليل : صعدت منارة اسكندرية فرمقت البياض فرأيته يتردد من أفق الى أفق ولم أره يغيب)^(٣) . ولكن الأولى هو بيان أن الله عز وجل يقسم بآخر ضياء النهار وأول ظلمة الليل لتأكيد بديع صنعه وعظيم قدرته ، وفضله على الناس بأفراد الزمان وأن كل جزء من النهار أو الليل نعمة وآية من عند الله عز وجل

(١) سورة إبراهيم ٣٣ .

(٢) سورة البقرة ١١٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٩/٨ .

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٥/١٤ .

تستلزم الشكر من الناس ، ومن مصاديق الشكر في المقام صلاة المسلمين صلاة المغرب والعشاء في ساعة الشفق والوسق وعلى نحو الوجوب العيني في ذات الصلاة ووقت فضيلتها .

قانون السماحة

السماحة البذل تفضلاً وجوداً ، واللين في المعاملة وهي من الأخلاق الحميدة والنسبة بين مضمون قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) وبين السماحة عموم وخصوص مطلق ، فهي فرع حسن الخلق .
فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصاحبة السماحة له في مكة وبعد الهجرة لقانون ملازمة السماحة للنبوة وعدم إنفكاكه عنها في حال الرضا والغضب .

وعقد وثيقة المدينة في الأشهر الأولى لقدمه لها مع اليهود الذين كانوا قاطنين فيها وهي عقد مواطنة واشبه بالدستور ، وعقد إجتماعي ، وتساو في الحقوق والواجبات .

وفي الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة حالما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم موضع الحديبية قال (لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم قال للناس انزلوا)^(٢) .
وتقديم الرضا بشروط المشركين بقيد صلة الرحم وقبل نزول الجيش من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهات :

الأولى : تهيئة أذهان الصحابة للصلح .

الثانية : البشارة بعدم حدوث قتال ، إذ كانت طائفة من الصحابة تخشى هجوم المشركين لا سيما وأن المسلمين منزوعو السلاح .

الثالثة : قانون السكنى والرضا بجوار البيت الحرام ، إذ صار الصحابة

على بعد عشرين كيلو متر منه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَكَّةَ لِلنَّاسِ أَمًّا﴾^(٣)

(١) سورة القلم ٤.

(٢) عيون الأثر ١١٥/٢.

الرابعة : بيان قانون السلم منهاج النبوة .

الخامسة : قانون تنمية ملكة السماحة ، والميل إلى السلم عند المسلمين وعامة الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وتبعث الآية أعلاه العلماء لإحصاء وجمع مصاديق السلم في سيرة وسنة النبي محمد التي هي مرآة ومصدق لمضامين الآية أعلاه .
فلما قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٢) جاءت السنة النبوية لبيان كيفية هذا الدخول ، وسبله ، وعدم التردد أو التلكؤ فيه .

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) تثبيت الأخلاق والسنن الحميدة في المنهاج اليومي للمسلمين والجود ، وحسن المعاملة .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدعو بالرحمة لمن يتصف بالسماحة .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)^(٤) .
(وعن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا)^(٥) .

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة البقرة ٢٠٨.

(٤) سورة ن ٤.

(٥) صحيح البخاري ٧٣٠/٢.

(٦) الدر المنثور ٣٨٦/١.

قانون الإسلام دين السلم

تتجلى معاني السلام بأبهى صورها بآيات الرحمة والعفو القرآنية ، والقوانين المترشحة عن القرآن والسنة في حفظ الحقوق .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التنزه عن الظلم واتباع الهوى ، ومن خصائصه البشارة بالثواب العظيم على عمل الصالحات .

و(عن عبدالله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، انجفل الناس إليه ، فجئته لأنظر في وجهه فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب .

فكان أول شيء سمعت منه أن قال : « يا أيها الناس ، أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام »^(١) .

ويدل الحديث أعلاه على أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دلالة سيماء وجهه على صدقه مطلقاً ، في إخبار عن نبوته وفي الأمور كلها ، وهذا الصدق من أهم أسباب زواجه من خديجة بنت خويلد لأنه سار في تجارة لها إلى الشام فربحت أضعافاً ، وسألت غلامها ميسرة الذي أرسلته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاثني على أخلاقه وسيرته . ويدل القرآن والسنة على أن الإسلام دين السلم والصلح والمودعة ، وهل يدل صلح الحديبية على قانون آيات السلم محكمة غير منسوخة^(٢) ، الجواب نعم .

فبعد شدة قتال المشركين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعركة بدر ، وغزوهم المدينة في معركة أحد ، والخنندق إلى جانب هجوم كرز وأصحابه

(١) الدر المنثور ١٠٠/٦ .

(٢) أنظر الأجزاء (٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٤-٢١٥-٢٣٣-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٨-٢٦٠) من هذا التفسير التي اختصت بهذا القانون .

ثم أبي سفيان وأصحابه ، وغيرهم على أطراف المدينة رضوا بالصلح يوم الحديبية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في حال سلم وموادعة ولباس إحرام .

وهل هو من بركات البيت الحرام ، وأن الصلح لم يتم إلا في أطراف الحرم ، الجواب نعم ، وهو من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١).

ويتجلى في صلح الحديبية قانون من جهات :

الأولى : قانون التنافي بين الصلح والإرهاب .

الثانية : قانون السعة والمندوحة لتحقيق الصلح .

الثالثة : قانون الصلح حرز ومانع من الإقتال .

الرابعة : قانون النفع العام بالصلح وإنعدامه بالإرهاب .

ومن خصائص التنكير في لفظ (خير) بقوله تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ إفادة

إطلاق النكرة في مقام الإثبات العموم كما في قوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا

أَخْضَرَتْ﴾^(٢).

الخامسة : سعي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلح مع

المشركين تأديب للمسلمين لإختيار الصلح فيما بينهم ، ومع أهل الكتاب ،

وعامة الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ١٢٩.

(٢) سورة التكوين ١٤.

(٣) سورة النساء ١٢٨.

في معركة الخندق

تسمى هذه المعركة في كتب السيرة والتاريخ بغزوة الخندق ، أي أنها إحدى غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في حال دفاع محض ، واضطروا لحفر خندق حول المدينة لا تزال بعض آثاره ظاهرة للعيان مع مرور أكثر من ألف وأربعمائة سنة مما ينفي نعت هذه المعركة بأنها غزوة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنما هي غزوة المشركين للمدينة.

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقايا آثار ومعالِم تدل على نهجه القويم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة الخندق

وجوه :

الأول : ثبات المهاجرين والأنصار في مقامات الإيمان مع شدة الأذى من الكفار ، قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ ^(١).

الثاني : قانون سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من قصد المشركين الإبادة العامة لهم .

الثالث : خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المدينة في كتائب وسرايا في دعوة للإيمان والرشاد والهدى ، منها خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني قريظة .

وذكر ابن إسحاق من غير سند أن قتلى اليهود فيها ستمائة ، وقيل سبعمائة ، بينما قال ابن شهاب بسنده قتل منهم أربعون رجلاً ، ومن المقاتلة وفي رواية ثلاثون وإلا فقد يكون العدد أقل كثيراً لأن جميع الأسرى جمعوا في بيت واحد من بيوت المدينة هو دار رملة بنت الحارث ، مما يدل على قلة عددهم .

(١) سورة الأحزاب ١١.

وابن إسحاق نفسه يروي (فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ)^(١).

بينما ورد في سفر التثنية (واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي اعطاك الرب الهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما)^(٢).

الرابع : توالي نزول آيات القرآن التي تدعو إلى الصبر وتبين الأحكام الشرعية ، وتذم المنافقين والكافرين ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

وتتجلى في قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَنَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(٤) مصاديق من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صبره على الكفار والمنافقين .

وهو من إعجاز القرآن بأن تكون الآية القرآنية مادة الجهاد ، وهي آية سماوية تحقق أهدافها كاملة من غير حاجة للسيف ، ولا ينحصر موضوعها بزمان دون آخر ، إنما هي سلاح رحمة ولطف متجدد إلى يوم القيامة .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٢/٢٤٠ .

(٢) موسوعة الكتاب المقدس ١/٣٣٢ .

(٣) سورة التحريم ٩ .

(٤) سورة التوبة ٦٨ .

قانون ازدياد عدد المسلمين المطرد

لقد تفضل الله عز وجل وجعل قلوب الناس تميل إلى النبوة الخاتمة ، وهو من إتمام النعمة وكمال الدين ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

وهذا الميل مقدمة لدخول الناس في الإسلام ، ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجئ المدد المتصل والمتعدد له من عند الله بتوالي نزول آيات القرآن ، وكل آية برهان على صدق نبوته إلى جانب المعجزات الحسية التي تجري على يديه .

وكان عدد المسلمين يزداد كل أسبوع وكل شهر وهل هو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء ، الجواب نعم .

ومن أسباب هذه الزيادة إلى جانب المعجزة وجوه :

الأول : قانون كل معركة دفاعية للمسلمين تزيدهم إيماناً وتقوي شوكتهم .

الثاني : قانون مع كل معركة يدخل رهط من الناس الإسلام .

الثالث : قانون ضعف ووهن المشركين عقب كل معركة من معارك الإسلام .

الرابع : قانون فضح المشركين بأنهم الغزاة في كل معركة .

الخامس : قانون النقص المتصل والمتالي في أموال المشركين وإبلاهم الخاصة بالتجارة في رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

السادس : كل معجزة حسية أو عقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبب لدخول رهط من الناس الإسلام .

السابع : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعضيد القرآن له في دخول الناس الإسلام .

لقد كان جهد وتخطيط قريش في محاربة النبوة والتنزيل دقيقاً ومخيفاً ومنه التصاعد في أعداد جيوشهم وأسلحتهم وخيلهم وإصرارهم على القتال من جهات وفق الترتيب الزمني :

الأولى : وقعت معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وعدد جيش المشركين فيها نحو ألف ومعهم مائة فرس .

الثانية : معركة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة وزحف فيها نحو المدينة ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس .

لينزل قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١) ، وهذه الآية نص سماوي يتناقض عدد المشركين .

ومن خصائص النبي محمد رمي أعدائه بالنقص من جهة القتل في الميدان ، ومن جهة توبة شطر منهم ، أو موتهم بأجالهم .

الثالثة : معركة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة .

قلة القتلى مدة النبوة الخاتمة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قلة عدد القتلى أيام نبوته مع تعدد المعارك مع المشركين ، والسرايا وقتل الغيلة والغدر ، واستشهاد رهط من المسلمين وهم في حال لم يحملوا معها سلاح .
ويكون مجموع القتلى من حين بعثة النبي محمد صلى الله عليه وله وسلم وهو في سن الأربعين وفي سنة ٦١٠م إلى إنتقاله إلى الرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة للهجرة كالآتي:

الأول : عدد الشهداء من المسلمين هو: ٢٣٤

الثاني : عدد القتلى من المشركين هو: ٢١٢

الثالث : عدد القتلى من اليهود هو: ٦٩

ويكون المجموع الكلي في ثلاث وعشرين سنة هو : ٥١٥
خمسمائة وخمسة عشر مجموع القتلى من المسلمين والمشركين واليهود مدة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
مع جعل هامش بمقدار العشر بلحاظ بعض الروايات والأخبار التي لا تخلو من المبالغة في عدد قتلى الطرف الآخر وتقادم الزمان في الرواية إذ أن ابن إسحاق مثلاً متأخر في زمانه (٨٥-١٥١) هجرية ، وكان جده من سبي عين التمر التي فتحها المسلمون سنة ١٢ للهجرة وشرع في كتابة السيرة النبوية في أيام أبي جعفر المنصور الذي تولى الحكم سنة (١٣٦-١٥٨) هجرية^(١).

ويستغرب أكثر الناس قلة عدد القتلى مدة النبوة الخاتمة ، ولكنها من خصائص ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ولما كان المسلمون في حال دفاع مضطرين إليه ، فلماذا صار عدد قتلاهم

(١) أنظر الجزء الواحد والستين بعد المائة من تفسيرنا معالم الإيمان ص ٢٧٦.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

أكثر من قتلى المشركين ، والأصل أن الذين في حال دفاع تكون قتلهم أقل من المهاجمين ، والجواب من جهات :

الأولى : أكثر قتلى المسلمين قتلوا صبراً وغيلة ، ومنهم سمية وياسر والدا عمار بن ياسر .

الثانية : قُتل عدد من المسلمين غدرًا ومنه سرية القراء في بئر معونة في السنة الرابعة للهجرة ، وفي قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(١)، قيل نزلت هذه الآية في بئر معونة وهم سبعون رجلاً من قراء أصحاب رسول الله ﷺ عليه وآله وسلم أميرهم المنذر بن عمرو ،

وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ، ليعلموا الناس القرآن والعلم ، فقتلهم جميعاً ، عامر بن الطفيل^(٢) .

والمختار أن عدد القتلى يومئذ (٣٧) شهيداً^(٣) .

وكذا قتل من المسلمين غدرًا عشرة من الصحابة كانوا في سرية تبليغ وتعليم للقرآن قتلتهم هذيل في شهر صفر من السنة الرابعة^(٤) .

الثالثة : عشق المسلم للشهادة .

الرابعة : وقوع بعض الأخطاء كما في ترك الرماة مواضعهم في معركة أحد ، فسقط سبعون من الشهداء .

الخامسة : الثواب العظيم لمن يقتل في سبيل الله ، قال تعالى ﴿وَكَا

تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٥) .

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٩٤/٣ .

(٣) أنظر الجزء ١٦٦ من هذا السفر ص ٢٦ .

(٤) أنظر الجزء السادس والستين بعد المائة من كتابي الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) .

(٥) سورة آل عمران ١٦٩ .

قانون السلامة من الخوف من الكفار

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتصف بالشجاعة وهي خصلة حميدة مصاحبة للنبوة ، لقانون كل نبي شجاع.

وتتجلى مصاديق هذا القانون من بدايات بعثة النبي وإعلانه النبوة ، وقانون إجهار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوة الآيات القرآنية التي تتضمن ذم عبادة الأوثان ، وسوء عاقبة الذين عبدوها ، وما فيها من التعريض بمشركي قريش وأبائهم ، منه قوله تعالى ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شدة عضد المسلمين في عدم الخوف من المشركين ، وفيه وجوه :

الأول : إنذار الكفار من محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانهم سيلقون القتل والحزن والخيبة والخسران .

الثاني : دعوة الناس لعدم الخوف والخشية من رؤساء الكفر ، وجعل هذا الخوف سبباً للعزوف عن دخول الإسلام ، أو للخروج مع جيوش المشركين لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فاذا كان في ناحية المسلمين منافقون ومنافقات فان في طرف المشركين أناس كثيرون ييغون دخول الإسلام ، ويخشون من المشركين ، فجاءت خيبتهم في معركة الخندق إزاحة لهذه الخشية ، وهو من أسباب تعجيل المشركين بالموافقة على صلح الحديبية والهدنة لعشر سنوات .

ولم يؤجلوا عقد صلح الحديبية إلى عمرة القضاء ، كما أنهم يعلمون أن الذين يدخلون الإسلام في سني الهدنة أكثر منهم في سني الحرب والخوف من رؤساء الشرك وضلالة وقهر الآباء .

فمن خصائص النبي محمد رضا أعدائه بالصلح مع علمهم بفتح هذا الصلح أبواباً من العز والنصر له ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

الثالث : خسارة الكفار للأموال الطائلة في الإعداد لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والإنفاق على المحاربين وإطعامهم ، وتهيئة الإبل لركوبهم والسيوف والرماح والنبال لقتالهم ، وهم يمنون أنفسهم بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انقطاعه وأهل بيته وأصحابه إلى أداء الفرائض العبادية ، وتلقي نزول القرآن في ذات الوقت الذي يعدّ المشركون العدة لأكبر هجوم شهدته الجزيرة العربية في تلك الأزمنة بزحف عشرة آلاف مقاتل من الأحزاب لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإبادة العامة للمهاجرين والأنصار.

فأخبر الله عز وجل عن نزول الملائكة والريح لحفظه وأصحابه وتشريد الذين كفروا ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٢).

الرابع : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخول الإسلام إلى بيوت رؤساء الكفر بإيمان شطر من أبنائهم وبناتهم ، وهجرة عدد منهم إلى المدينة .

ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية أيضاً.

الخامس : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تخلي أكثر القبائل عن نصره قريش ، وظهر هذا في المفاوضات مع النبي محمد

(١) سورة الفتح ٣.

(٢) سورة الأحزاب ٩.

صلى الله عليه وآله وسلم قبل عقد وإمضاء صلح الحديبية والشهادة عليه ،
ولأن كثيراً من أفراد القبائل دخلوا الإسلام .

قانون إيمان النساء

من خصائص محمد صلى الله عليه وآله وسلم والشواهد على صدق رسالته إختيار شطر من النساء دخول الإسلام في أشد حالات الإيذاء من قبل مشركي قريش ، وتعاون الأسر والبيوتات لصعد أبنائهم عن دخول الإسلام .

فمن خصائص بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنها معركة عقائدية بين الإيمان والكفر ، وحرب بلمعان السيوف بين المسلمين والمشركين ، والأصل في هذه الحال اعتزال النساء الأمر وقد يقمن بقول الأشعار، ولكن النساء أيام البعثة دخلن الإسلام بتحد للآباء المشركين وهاجرن إلى الحبشة وإلى المدينة .

كما في هجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فأتى أخوها عمارة والوليد إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة لردها .

فأبى الله عز وجل رد النساء إنما كان الشرط بخصوص الرجال ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجَرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ إِنَّهُنَّ لَا يُغْنِي عَنْهُنَّ إِيمَانُهُنَّ وَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تَنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ ۚ﴾^(١).

وكان إكرام الإسلام للمرأة من أسباب دخول النساء الإسلام من بدايات الدعوة ، إذ أوقف القرآن والسنة الوأد ، قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢) وأنصف المرأة في الميراث ، قال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ

(١) سورة الممتحنة ١٠.

(٢) سورة التكوين ٨-٩.

اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ۚ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (١) وأخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن طريق الجنة البر بالأهله ، وأنها تحت أقدامهن . وعن (معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني أردت الغزو وجئتك أستشيرك ، فقال ، هل لك من أم ؟

قال: نعم ، فقال: الزمها ، فإن الجنة تحت رجليها) (٢).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الترغيب بتربية البنات ، والصبر في السعي للإتفاق عليهن (عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كن له ثلاث بنات يؤويهن ، ويرحمهن ، ويكفلهن ، وينفق عليهن ، وجبت له الجنة البتة .

قيل : يا رسول الله فإن كانتا اثنتين؟ قال : وإن كانتا اثنتين . قال : فرأى بعض القوم أن لو قال واحدة لقال واحدة) (٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا أيها الناس إن النساء عندهن عوان ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن حق ، ومن حاكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً ، ولا يعصينكم في معروف ، وإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف) (٤).

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٠٦/٩.

(٣) الدر المنثور ١٨٤/٢.

(٤) الدر المنثور ٦٤/٣.

الإبتلاء في معركة الأحزاب

لقد كان هجوم الأحزاب على المدينة في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة شدة ومحنة كبرى ، لقد زحف فيها عشرة آلاف رجل من قريش وحلفائها في سابقة في الجزيرة لم تحدث من قبل ، وفيه شاهد على الأذى الذي لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتجلي معجزة له في السنة الدفاعية ومن خصائصه أن حفظه وسلامته والصحابة بفضل ورحمة من عند الله عز وجل.

وكان مجموع الصحابة بنحو ثلث هذا العدد أو أقل منه ، ومنهم من تعذر عليه القتال ، وحينما حفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الخندق حول المدينة بقوا محاصرين داخله ، وتأتي ليالي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس معه خلف الخندق سوى مائتين أو ثلاثمائة من الصحابة في مقابل عشرة آلاف من المشركين .

(قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرابطا ، وأقام المشركون يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمية بالنبل) ^(١).

ولم تكتف قريش بالرمي بل قام نفر من شجعانهم بعبور الخندق من مكان ضيق منهم عمرو بن عبد ود من بني عامر بن لؤي ، فكانت المبارزة الخالدة بينه وبين الإمام علي عليه السلام فقتله الإمام علي عليه السلام ، ونزل قوله تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ ^(٢).

(١) ابن كثير/السيرة ٢٠١/٣.

(٢) سورة الأحزاب ٢٥.

النسبة بين خصائص ومعجزات النبي محمد (ص)

من أبهى خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معجزاته الخارقة وهي على أقسام :

الأول : ما انفرد به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء ، وهو المعجزة العقلية آيات القرآن .

و(وقال أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١).

الثاني : المعجزات الحسية التي اشترك بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع الأنبياء السابقين ومنها الوحي مع استقلال كل نبي ورسول بمعجزة أو أكثر والله واسع كريم .

الثالث : المعجزات الحسية التي استقل بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء جميعاً

الرابع : المعجزة الحسية العقلية الجامعة مثل حديث الإسراء ونزول آيات قرآنية سماوية لتوثيقه إلى يوم القيامة والدعوة للتدبر في دلالاته .

ويمكن أن نؤسس قانوناً وهو كل معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت في القرآن فهي معجزة حسية عقلية لحضورها ووقوعها أيام التنزيل ، وقانون توثيقها في التنزيل كمعجزة الإسراء والمعراج ، وقانون تلاوة المسلمين له كل يوم وإلى أوان النفخ في الصور .

وهل صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومشركي قريش من معجزاته ، الجواب نعم .

فهو معجزة جليلة وظاهرة وعامة المنافع المترشحة عنها آنية عاجلة وآجلة ، ومتجددة إلى يوم القيامة ، وهو تأسيس لأنظمة السلم المجتمعي في الأرض

(١) مسند أحمد ٤٩٥/١٩ .

، ودعوة للمؤسسات والمنظمات والأفراد بنبذ العنف والإرهاب ، وبالرجوع إلى الصلح والمودعة ، قال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(١).

ووردت الآية أعلاه بصيغة الإطلاق في طرفي الصلح وعموم الخير ، وهو من الإعجاز في تقوم الحياة الدنيا بالصلح والمودعة والرأفة .
وتحتمل معجزة صلح الحديبية وجوهاً :
الأول : إنه معجزة حسية .

الثاني : إنه معجزة عقلية بلحاظ صيرورة الصلح وما فيه من التنازل عن حق فتحاً عظيماً متصلاً في نفعه إلى يوم القيامة ، ولذكره في القرآن ومنه أنه فتح .

الثالث : المعنى الجامع ، فصلح الحديبية معجزة حسية وعقلية .
والمختار هو الأخير .

قد تكون المعجزة الواحدة متعددة في موضوعها ، وذات نفع عام وفضح للمنافقين ، واسقاط لما في أيدي المشركين .

كثرة المعجزات الحسية

تتعدد معجزات الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم العقلية والحسية وفيها دعوة للتصديق برسائله وتعاهد نعمة الإيمان ، والشكر لله عز وجل على فضله على النبي والمسلمين ، ومنها :

الأولى : تسبيح الحصى بين يدي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الثانية : شفاء المرضى بواسطة ريقه ، ودعائه .

وعن (يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال: هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس: أصيب سلمة.

فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنفت فيه ثلاث نفثات، فما اشتكىها حتى الساعة)^(١).

و(عن عائذ بن عمرو قال: أصابتني رمية يوم حنين في وجهي فسال الدم على وجهي وصدري فتناول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدم بيده عن وجهي وصدري الى ثنودتي ثم دعا لي .

قال: جئت مع والد عبد الله فرأيت أثر يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى منتهى ما مسح صدره فإذا غرة سائلة كغرة الفرس^(٢).

الثالثة : سلام الحجر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة.

الرابعة : بركة تكثير الطعام بين يديه.

الخامسة : كلامه مع بعض الحيوانات .

السادسة : معجزة الإسراء ، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ

لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ

آيَاتِنَا﴾^(٣).

السابعة : إنشقاق القمر ، قال تعالى ﴿اقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٤).

الثامنة : نبع الماء من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

التاسعة : حنين الجذع له ، والذي كان يخطب عليه عندما صنع له منبر.

العاشرة : سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل في

الميدان وخارجه مع قربه منه ، ومع إصرار وتخطيط المشركين لقتله .

الحادية عشرة : تكليم الحيوانات له .

الثانية عشرة : سماعه لأهل القبور .

الثالثة عشرة : إخباره عن المغيبات في المستقبل القريب وفي أهوال يوم

القيامة .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٣/ ٣٥٩ .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٠/ ٢٥ .

(٣) سورة الإسراء ١ .

(٤) سورة القمر ١ .

الرابعة عشرة : وصفه لوقائع معركة مؤتة وهو في المدينة ، فكانت كما وصف.

الخامسة عشر : اضاءة المدينة لقدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وظلمتها عند وفاته .

و(عن أنس قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا)^(١).

خصائص حميدة في حديث

تتصف السنة النبوية بأنها المصدر الثاني للتشريع ، وهي مرآة للقرآن الذي يتضمن الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإكرامه ، وبيان خصاله الحميدة ، ووظائف النبوة الخاتمة ومنه (قد روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أمرني ربي بتسع الإخلاص في السر والعلانية.

والعدل في الرضا والغضب.

والقصد في الغنى والفقر .

وأن أعفو عمن ظلمني.

وأصل من قطعني.

وأعطي من حرمني .

وأن يكون نطقي ذكرا.

وصمتي فكرا ونظري عبرة)^(٢) .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم العفو عن الظالم والمعتدي ، وصلة الذي يقطع الرحم وعدم مقابله بالمثل .

(١) تفسير القرطبي ٢١٨/٤.

(٢) تفسير القرطبي ٣٠١/٧.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم موافقة قوله وفعله لما أمره الله عز وجل به ، سواء الأوامر الخاصة به ، أو الأوامر العامة ، ولقد أمر الله عز وجل المسلمين باتباع أوامر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واجتناب ما نهى عنه.

وفي علم الأصول باب اسمه هل الأمر بالأمر بالشئ أمر به أم لا ، فإذا قال الوزير للمدير أن يقوم الموظف الفلاني بتنظيم سجل ، فهل الأمر للموظف من الوزير أيضاً أم من المدير فقط ، المختار هو الأول.

لذا فإن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أمره إلى المسلمين والمسلمات هو أمر من عند الله وأن نواهيه لهم هي نهى من عند الله ، وهذه خصائص ومنزلة لم ينلها غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الأدلة عليه قوله تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(١).

الحاجة العامة للنداء النبوي

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعثته على فترة وانقطاع من الرسل ، فبين عيسى عليه السلام وبينه نحو ستمائة سنة ، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢). يفترفتورا : إذا هداً وسكن .

ليحمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مسؤولية النداء العام إلى الناس كما في نداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الذي ورد في القرآن عشرين مرة ، والنداء الخاص ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذي ورد في القرآن تسعاً وثمانين مرة .

(١) سورة النساء ٨٠.

(٢) سورة المائدة ١٩.

ويشهد قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١) للنبي محمد بقيامه بتبليغ الرسالة وآيات القرآن من غير زيادة أو نقصان ، وفي الثناء على الأنبياء والرسل قال تعالى ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢).

واختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمر :
الأول : الإخبار عن نبوته .

الثاني : الدعوة إلى الله علانية وسراً ، وبالإتصال بالأفراد والجماعات .
الثالث : تلاوة آيات القرآن بين ظهرائي رؤساء يعبدون الأوثان ، ويسخرون الناس للبطش بعدوهم وعدو آلهم .

وقد تفضل الله عز وجل بحفظ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسلامته ، ودفع الضرر عنه ، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٣) مع استجابة المسلمين لدعوة الإيمان بالله عز وجل والتي تتضمن العمل بما جاء به رسول الله من الأوامر والنواهي ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤).

ومن فضل الله عز وجل أنه مع الإيمان يأتي العفو والمغفرة وسؤال النجاة يوم القيامة .

لقانون استدامة فتح باب الدعاء ، وقانون فوز المسلمين بالتوجه إلى الله عز وجل بتعدد المسألة والحاجة.

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) سورة الجن ٢٨.

(٣) سورة الزمر ٣٦.

(٤) سورة الحشر ٧.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوته للشهادتين وهي مصداق للإيمان وأداء الفرائض العبادية ، وليس من فصل بين الدعوة إلى الإيمان وبين إعلان المسلمين إيمانهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اتصال وتجدد ندائه للإيمان في كل يوم وهو من الشواهد على انفراده بالمعجزة العقلية التي تخاطب الناس كل يوم مع وجود الإستجابة الكبيرة .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يغادر الحياة الدنيا إلا وقد بلغ أصحابه نحو سبعين ألف ، وقيل مائة ألف مع قصر مدة النبوة وهي ثلاث وعشرون سنة .

نعم وردت كثرة بني إسرائيل الذين خرجوا مع موسى عليه السلام من مصر هرباً من فرعون ولكنهم كانوا على ملة التوحيد قبل بعثة موسى عليه السلام رسولاً .

أما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن خصائصه أن الله عز وجل بعثه بين قوم مشركين ، وعلى انقطاع وفترة من الرسل والأنبياء وأرسله الله إلى الناس جميعاً ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾^(١) ، وانتقل الناس ببركة رسالته من عبادة الأوثان إلى التوحيد وأداء الفرائض العبادية ، والتتزه عن القبائح والردائل .

وجوب التلاوة اليومي

لقد خص الله عز وجل النبي محمداً بنزول القرآن ، وأمره والمسلمين والمسلمات بتلاوة آياته في الصلاة اليومية ، وهل هذه التلاوة من مصاديق قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾^(٢) الجواب نعم ، لبيان أن الإيمان قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وفعل بالجوارح والأركان .

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٣ .

ومن خصائص تلاوة المسلم والمسلمة القرآن خمس مرات في اليوم تثبيت معالم الإيمان في القلوب ، وعصمتها من الكآبة والحزن والإضطراب ، وفيها دعوة متجددة إلى الله عز وجل.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ترغيب الناس بالإسلام ، وبيان سبل الهداية والرشاد ، وإزاحة الصدا وأسابيع العناد عن القلوب.

وجاء الرسول بالمعجزات ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(١).

إذ تقوم الحجة على الناس بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإيمان ، وبينت الآية أعلاه عاقبة الكفر والظلم والتعدي.

لقد ابتدأت الآية ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٢) ، بصيغة الجمع ثم المفرد للمنادي للإيمان ، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم جاءت صيغة الجمع في تلقي النداء بالقبول لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلوغ دعوته الأمصار ، فقد نادى للإيمان ، لينادي بعده الملايين من المسلمين في كل زمان للهداية وسنن الإيمان والصلاح وفق الكتاب والسنة .

(١) سورة الكهف ٢٩.

(٢) سورة آل عمران ١٩٣.

قانون الشكر العام على بعثة النبي محمد (ص)

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته واقية من مفاهيم الشرك والضلالة ، ليظهر المسلمون إيمانهم بفخر ، قال تعالى ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ويكونوا في مراتب من الفقاها والتدبر ، وإدراك قانون الذي نادي للإيمان هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو لم يدع من نفسه أو لنفسه ، ويتجلى قانون دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان بالوحي والتنزيل المقترن بالحجة والمعجزة .

لقد سمع المسلمون دعوة الإيمان فاستقبلوها بالنداء (ربنا) الصادر منهم رجالاً ونساءً ، لبيان نبذهم لمفاهيم الشرك وعبادة الأوثان ، لتكون أول كلمة من الآية سلاحاً يومياً متجدداً ، وحرزاً عند المسلمين بشد عضدهم لأداء الفرائض العبادية.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن المسلمين يشكرون الله عز وجل على بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويشكرون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على قيامه بالتبليغ والنداء للإيمان.

لذا تفضل الله وأمرهم بالصلاة عليه بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

و(عن كعب بن عجرة قال : لما نزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قمت إليه فقلت : السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله .

(١) سورة المنافقون ٨.

(٢) سورة الأحزاب ٥٦.

قال : قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١).

لقد جاء الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عامة المسلمين لدعوته إلى التوحيد وتبليغه آيات القرآن ، وكل من النبوة والإيمان والنداء له ، والإستجابة له فضل ولطف من عند الله عز وجل ، فهو الهادي إلى سواء السبيل ، قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُسَّعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢).

ويتبادر إلى الذهن عند سماع السلاح هو آلة الحرب والقتال ، والمصنوعة من الحديد او الخشب ونحوه ، ولكن النبي المنادي جاء بسلاح ماض ، سلاح سلام وهو القرآن ، يغزو القلوب ، ويستحوذ على الجوارح بما يجعلها مستجيبة لنداء الإيمان ، وهو من مصاديق (فأمننا) في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شمول الإيمان إلى جانب الإعتقاد العمل بالأوامر والنواهي التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله عز وجل تلك النازلة في القرآن ، والواردة على لسانه وفي سنته ومن خصائصه أنه لو رآه أشخاص وهم كفار ثم أسلموا ولم يروه عند إسلامهم فانهم ليسوا من الصحابة ، لشرط الإسلام في

(١) الدر المنثور ٨/ ١٩٩.

(٢) سورة يونس ٣٥.

(٣) سورة آل عمران ١٩٣.

الصحابي الذي رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مسلم قد نطق بالشهادتين .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توجه المسلمين جميعاً لله عز وجل بالدعاء على بداية مرحلة جديدة وحال استقامة في تاريخ الإنسانية خالية من مفاهيم الشرك والضلالة لتستمر هذه الإستقامة اليومية ﴿مَا دَامَتُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١) .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجلي معجزة غيرية متجددة له ، ففي كل يوم يتجلى الإيمان الذي نادى به بمصاديق غير متناهية من صلاة المسلمين ، ومن تلاوة الآية القرآنية ملايين المرات كل يوم في هذا الزمان ، وهو من أسرار وجوب قراءة القرآن على كل مسلم ومسلمة في سبع عشرة ركعة في اليوم واللييلة ، وهو مصداق جلي لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) .

والله عز وجل هو الوهاب والواهب للعطايا الجزيلة ، ومن أبهى الهبات من الله عز وجل الهداية إلى الإيمان ، وجاءت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مجتمع يعبدون الأوثان لبيان اخلاصه وجهاده وصبره في الدعوة إلى الله ، ومنها النداء النبوي المتكرر للإيمان ، إذ يدل قوله تعالى ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^(٣) على قانون دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان جهرية وعلنية عامة .

فمن خصائص النبي محمد أنه المناادي الذي أسمع ويسمع عامة الناس من البر والفاجر صوته ودعوته ، مع تحمله الأذى الشديد لذا قال النبي

(١) سورة هود ١٠٧ .

(٢) سورة الذريات ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٣ .

محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ما أودى نبي مثل ما أوديت) (١).

الرحمة المزعجة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته رحمة للناس على نحو يومي عام متجدد من جهات :

الأولى : اقتران رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنشر ألوية السلم في الجزيرة .

الثانية : بيان قبح عبادة الأوثان ، وبعث النفرة في النفوس منها إلى يوم القيامة .

الثانية : الإقرار بتلقي نداء وتبليغ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب الإيمان .

الثالثة : بيان النفع العام لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتبليغه أحكام الشريعة للناس ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

الرابعة : إعلان المسلمين لقانون وجوب الدعاء والاستغفار ، والإستغاثة بالله عز وجل ، ورحمته غياث للناس أجمعين ، وملاذ للخائفين ، قال تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (٣).

الخامسة : قانون هداية المسلمين إلى السبيل والصراط إلى الله عندما تنقطع السبل .

ومن خصائص الإنسان إثقال الذنوب التي حملها لكاهله ، ويتصف المسلم باستحواذ الذنوب على تفكيره خوفاً من الله ، وخشيته من الإبتلاء

(١) تفسير الرازي ٤٥٤/٢.

(٢) سورة المائدة ٦٧.

(٣) سورة النمل ٦٢.

العاجل ، والعقاب بالعذاب الأليم في الآخرة ، فهداه الله لآيات التوبة والإستغفار تلاوة وتدبراً ، والله وحده هو الذي يكشف الغم ، ويفرج الكربات ، ويمحو السيئات ، وهو أرحم الراحمين ، ورب العرش العظيم ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآية أعلاه ابتداءها بالخطاب والأمر له ﴿قل﴾ ليكون واسطة الفيض الإلهي ، وطريق الهداية إلى التوبة والإنابة بالإيمان بالله عز وجل .

(وعن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم لغفر لكم . والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ، ثم يستغفرون فيغفر لهم)^(٢).

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الترغيب بالإستغفار المقرون بالتسليم بعالم الحساب والجزاء الأخروي ، والحاجة فيه إلى التوبة والإنابة ، وهذه الخصائص من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) .

خطبة الحاجة

من خصال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم افتتاح الكلام بصيغة الخضوع والخشوع لله عز وجل والحمد لله تعالى ، ويبدأ خطبته بما يسمى (خطبة الحاجة) في أبين صور الحمد لله .

(١) سورة الزمر ٥٣.

(٢) الدر المنثور ٨/٤٦٣.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

وعن عبد الله (ابن مسعود قال : علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة الصلاة وخطبة الحاجة . فأما خطبة الصلاة فالتشهد . وأما خطبة الحاجة فإن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

ثم يقرأ ثلاث آيات من كتاب الله { اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون }^(١) { واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً }^(٢) { اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم }^(٣) ثم تعمد حاجتك^(٤).

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تنمية ملكة الحمد لله عند المسلمين ، وجعلها ارثاً متجدداً وهو الظاهر في كل خطب وكلمات وأحوال المسلمين بابتداء الكلام بالبسملة والحمد لله .

وعن (عن ابن عباس قال : فتح أول الخلق بالحمد لله ، فقال : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ }^(٥) وختم بالحمد ، فقال : { وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٦)^(٧) . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الله عز وجل بعثه بالقرآن وآياته ، مع أن الصلة بين الله والعباد مباشرة ليس ثمة مسافة بين

(١) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ١ .

(٣) سورة الأحزاب ٧٠ .

(٤) الدر المنثور ٣/٣١ .

(٥) سورة الأنعام ١ .

(٦) سورة الزمر ٧٥ .

(٧) الكشف والبيان للثعلبي ١٩٧/٥ .

سكان الأرض والعرش ، وهو من أسرار صيرورة الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ﴾^(١).

وهل هو من أسباب تساؤل الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢) ، أي كيف يكون قريباً من العرش من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، المختار نعم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جهاده لتقريب الناس من العرش بالإيمان والتقوى ، والتنزه عن الفساد وسفك الدماء .
وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة)^(٣).

وعن أبي ذر أنه سأل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم (فأي آية أنزلها الله عليك أعظم ؟ قال آية الكرسي .

ثم قال: يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة.
قلت: يا رسول الله كم النبيون .

قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي قلت: كم المرسلون منهم ؟
قال: ثلاثة عشر جماء غفيراء قلت: من كان أول الانبياء .

قال آدم قلت وكان من الانبياء مرسلاً ؟

قال : نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه... الحديث)^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) الدر المنثور ٤٩١/٨ .

(٤) البحار ٧١/٧٤ .

المعلم الأول

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جهاده في تعليم المسلمين أحكام الشريعة والأخلاق الحميدة ، فهو المعلم الأول من جهات :
الأولى : صدور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن القرآن والوحي.

الثانية : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه يعلم الناس بالسنة القولية والفعلية التي هي شعبة من الوحي .

الثالثة : تدعو أو آية نزلت من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) النبي محمداً لتعليم المسلمين في مرضاة الله ، وتفقههم في الدين .

الرابعة : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن سيرته هداية وتعليم للناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

الخامسة : مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالشريعة المتكاملة في أمور الدين والدنيا ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعليم المسلمين قوانين وأصول الدعاء والمسألة بالإبتداء بالثناء على الله عز وجل بصفة الربوبية المطلقة .

ومن خصائصه الثناء اليومي المتكرر على الله من مقامات العبودية ، وصيرورة المسلمين في حال العز والفخر بالإرتقاء إلى مراتب الإيمان عندما

(١) سورة العلق ١.

(٢) سورة القلم ٤.

(٣) سورة المائدة ٤.

سمعوا النبي محمداً يصدق بآيات القرآن ، ويحض الناس على نبذ الشرك وعبادة الأوثان.

ليان رشحات ومنافع قوله تعالى إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) ، لشهادة وإخبار المسلمين عن سماعهم لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستجابتهم لها. ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حياته إخلاصه العبودية لله عز وجل ، والصبر والجهاد في ذات الله عز وجل ليبقى هذا الإخلاص تركة لأجيال المسلمين .

ليان قانون تلاوة المسلمين للقرآن كل يوم علو منزلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة ما ورد (عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ، ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي أن أقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود)^(٢) .

و(عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة)^(٣) .

(١) سورة الحجر ٩٤.

(٢) الدر المنثور ٦/٣٠٧.

(٣) الدر المنثور ٦/٣١٠ .

والمراد من النداء هو الأذان للصلاة اليومية ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

إنذار الكافرين

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنذار الذين كفروا في أيام سطوتهم وبطشهم بسوء العاقبة ، ودخول النار ، ويتجلى هذا الإنذار بالسور المكية وعلى نحو متكرر ، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٦) وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ^(٢) ويتجلى الإنذار من وجوه :

الأول : إنذار الذين سمعوا نداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصروا على الإقامة في مستنقع الكفر والضلالة .

الثاني : الذين امتنعوا عن قبول النداء وماتوا على الكفر ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

الثالث : الذين حاربوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في سوح القتال ، إذ كان النبي ينادي بين الجمعين (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).

الرابع : لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من قراءة القرآن بين الناس في مكة ، وكل آية إنذار للناس ، فمنهم من آمن وهم أهل البيت والصحابة الأوائل .

(١) سورة الجمعة ٩.

(٢) سورة يونس ٩٦-٩٧.

(٣) سورة البقرة ١٦١.

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كثرة الذين آمنوا برسالاته من الرجال والنساء في أيام حياته ، وآمنوا بالبينّة والبرهان من غير إكراه .

وهل في قوله تعالى ﴿وَوَفَّانَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١) حرز للمسلمين والمسلمات من النفاق والإرتداد ، الجواب نعم .

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فضل الله في إصلاح المسلمين للبقاء على الإيمان عند مغادرته إلى الرفيق الأعلى ، قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

الإجتهاد في الشكر لله

لقد أنعم الله عز وجل على أهل الأرض ببعثة مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي بما يقيم الحجة عليهم في الهداية لسبل الإيمان والرشاد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاده بالشكر والحمد لله عز وجل في النهار والليل ، والحل والترحال .

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال (قال علي بن الحسين عليه السلام: إن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الاجتهاد له وتعبد بأبي هو وامي حتى انتفخ الساق، وورم القدم .

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) سورة آل عمران ١٤٤.

(٣) سورة الأنعام ١٤٩.

وقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟
قال: أفلا أكون عبدا شكورا^(١).

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاده في الشكر لله عز وجل من مقام النبوة والإمامة العامة للناس ، فلم تشغله سياسة الناس وتدبير شؤون الحكم في المدينة ، والتبليغ اليومي المتصل عن الشكر لله ، مع أن كل فرد من الوظائف أعلاه هو من مصاديق الشكر الفعلي والقولي لله عز وجل .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إجماع أمته على وجوب الشكر لله عز وجل ، ومبادرتهم إلى الشكر والحمد لله ، ويذكر الإجماع في أحكام الشريعة والفتوى ، ولكن إجماع وتوارث المسلمين الشكر لله هو أعظم إجماع .

ومن الآيات تفضل الله عز وجل بتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل مسلم ومسلمة سبع عشرة مرة في اليوم واليلة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

من مصاديق الشكر لله

من فضل الله عز وجل السعة في أفراد ومصاديق الشكر له تعالى ، لقد قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) وكل عبادة لله هي شكر له سبحانه سواء بالقول أو الفعل .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعاوده وأمته للشكر اليومي لله عز وجل باقامة الصلاة خمس مرات في اليوم على نحو

(١) البحار ٢٨٨/١٦.

(٢) سورة الفاتحة ٢.

(٣) سورة الذاريات ٥٦.

الوجوب العيني ، فالصلاة بركوعها وسجودها من أبهى مصاديق الشكر لله ، ومنها وجوه :

الأول : إعلان العبودية لله ، وهل النداء (ربنا) من هذا الشكر ، لبيان قانون مصاديق العبودية كلها شكر وثناء على الله عز وجل ، وتقدير الآية : وأن الله وحده ربنا لا إله ومعبود لنا سواه.

الثاني : من الشكر لله تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين القرآن مع التسليم بأنه كلام الله الذي اختص به النبي محمداً وأُمته ، إذ ينقطع المسلمون لعبادة الله عز وجل ، وليس من إجماع في تأريخ الإنسانية مثله عدداً وشرفاً وارتقاءً في المعارف الإلهية .

الثالث : الشكر لله عز وجل على وحدة المسلمين في تلاوة القرآن سالماً من التحريف ، وعلى المناجاة والدعاء والمسألة ، وفي التنزيل ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(١).

الرابع : إقرار المسلمين على أنفسهم بتبليغهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقيدهم بمضامينه القدسية ، ليكون مصداقاً عملياً لآية الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٢).

الخامس : شكر المسلمين لله عز وجل على تفضيله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وقيامه بتبليغ آيات وسور القرآن مع شدة الأذى الذي لاقاه وأهل بيته .

السادس : الشكر لله عز وجل على حفظه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأله وسلم من شرور الأعداء من الأنس والجن ، ومن خصائصه نجاته في

(١) سورة هود ٨٨.

(٢) سورة غافر ١٧٢.

ميدان القتال بمعجزات حسية ظاهرة ، وكذا بالنسبة لسلامته من محاولات الإغتيال المتعددة .

ومن وجوه تقدير قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾^(١) : ربنا إننا سمعنا منادياً أنقذته من الإغتيال لينادي للإيمان فبلغنا هذا النداء المبارك .

كثرة الخطاب القرآني إلى النبي (ص)

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كثرة الخطابات القرآنية الموجهة إليه ، ولا بد من إحصائها بتتبع آيات القرآن آية آية . ولقد صدرت الأجزاء (٢٤٥-٢٤٧-٢٥٨) من تفسيري (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بخصوص علم الإحصاء القرآني غير متناه .

لقد نزل القرآن بالخطابات إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفة الإكرام : يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، كما ورد بلفظ (قل) ٣٢٨ مرة ، وبكلمات وأوامر بصيغ أخرى مثل ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢) و ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾^(٣) و ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ ظَنَنْتَ أَنْ لَمْ يَخْلُتْ أَعْيُنُهُمْ فِئَافِئًا مِنْكَ وَلَا تَمْدَنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَغْنَمًا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) .

(١) سورة آل عمران ١٩٣ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

(٣) سورة المؤمنون ٩٦ .

(٤) سورة الأحزاب ١ .

(٥) سورة الحجر ٨٨ .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تقسيم الخطاب من الله له في القرآن إلى أقسام :

الأول : الخطاب الخاص له ، مثل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١) ومنه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ﴾^(٣).

الثاني : الخطاب الموجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتلحق به الأمة ، ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾^(٤).

وهناك قول مشهور عند علماء التفسير بوجود خطاب لا دليل على كونه خاصاً بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا دليل على عمومته ، فيكون خاصاً في لفظه وعاماً في حكمه ، واستشهد عليه بقوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾^(٥) ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(٦).

والمختار ليس في القرآن خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مردد بين الخاص والعام ، خاصة مع الرجوع إلى آيات القرآن التي تتضمن تفسيراً لآية النداء ، والأصل في خطابات القرآن العموم .

الثالث : الخطاب الموجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد الناس جميعاً ، وهذه الخطابات من مصاديق قوله

(١) سورة الكهف ١١٠.

(٢) سورة المدثر ١.

(٣) سورة المزمل ١.

(٤) سورة آل عمران ٨٤.

(٥) سورة الفلق ١.

(٦) سورة الزمر ١١.

تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) مثل ﴿وَقُلْ رَبِّ اعْزُذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢) و﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٣) .

الخطاب القرآني رحمة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رسالته رحمة للناس جميعاً ، ويدل قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤) على قانون انتفاع كل إنسان وطائفة من رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقانون الإنتفاع العام من الخطاب القرآني الموجه إليه سواء مباشرة أو بالواسطة ، ويؤكد قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٥) .

ويمكن استقصاء هذه المنافع العالمية ونشر صيغ السلم والمودة بين الناس وسنن عبادة الله في الأرض ببركة آيات القرآن ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة تجلي مصاديق الرحمة العامة للناس برسالته ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٦) .

وهناك مسائل :

الأولى : أقل هذه الخطابات إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي الخطابات الخاصة.

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة المؤمنون ٩٧ .

(٣) سورة النمل ٩٣ .

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٥) سورة سبأ ٢٨ .

(٦) سورة ق ٢٢ .

الثانية : لا بد من إحصاء خطاب القرآن للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تشمل الأمة ، وتلك التي تشمل الناس جميعاً ، لمعرفة أيها هي الأكثر ودلالات هذه الكثرة .

مع موضوعية علماء التفسير للفصل والتمييز .

الثالثة : لو دار الأمر بين الخطاب الخاص للنبي أم تلحق به الأمة ، فالصحيح هو الثاني .

الرابعة : لو دار الأمر بين إرادة إلحاق خصوص المسلمين بالخطاب الإلهي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أم المقصود الناس جميعاً ، فالصحيح هو الثاني لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾^(١) ولأصالة العموم .

ولقانون الغالب في خطابات القرآن ، أنها عامة حكماً .

قال تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّئُكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِّفِينَ ﴾^(٢) .

والخطاب في الآية أعلاه موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة بدر بعد اجتهاد النبي في الدعاء عشية ويوم معركة بدر وهو السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية .
وأيهما أسرع هبوط الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الضوء ، إذ تبعد الشمس عن الأرض مائة وتسعة وأربعين مليون كيلو متر ، ويصل الضوء إلى الأرض في ثماني دقائق وثلاثة أعشار الدقيقة (٨،٣) دقيقة .

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) سورة الأنفال ٩ .

المختار هو الأول فالملائكة اسرع من الضوء ، وهم أجسام نورانية لا تقاس احوالهم وطبائعهم بأحوال وطبائع البشر ، ولعمومات قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١).

والله عز وجل قادر على خلق الملائكة في ساحة معركة بدر وقيامهم في الحال بنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ولكن شاء الله عز وجل أن يرى الملائكة الذين احتجوا على جعل الإنسان ﴿ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٢) كيف يجاهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرين والأنصار بأنفسهم في سبيل الله ، وأن النبي محمداً يستغيث ويدعو الله لنصرته .

وكل من سرعة نزول الملائكة وسرعة الضوء من مصاديق قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٣).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول الملائكة لنصرته ، إستجابة لإستغاثته كما في الآية أعلاه من سورة الأنفال وفيه وجوه :

الأول : نزول الملائكة بالتوالي والتتابع (عن ابن عباس في قوله ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾^(٤) قال : وراء كل ملك ملك)^(٥) .

الثاني : مردفين أي مسرعين ، ومن مصاديق المدد التعجيل في الإعداد والسير للحاجة إليه .

(١) سورة يس ٨٢ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة فصلت ٥٣ .

(٤) سورة الأنفال ٩ .

(٥) الدر المنثور ٤/٤٢٠ .

الثالث : تتابع المدد من الله عز وجل .

وورد عن ابن عباس قال (وأمد الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة وكان جبرئيل في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة)^(١) والمجنبة من الجيش جناحه .

ليكون هذا النزول من مصاديق رد الله على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) حين تساءلوا عن جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ومن خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تزول الملائكة لنصرته من نصرة الله تعالى لأتباعه والمؤمنين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣).

اختصاص النبي (ص) بتلقي خطاب الفتح

من إعجاز القرآن تضمنه لأسماء لم تطرأ على الأوهام ، وبيان منافعها واستدامة موضوعها ، وبقاتها كنوزاً علمية تقتبس منها القوانين والمسائل ، وما يتعلق بالمسميات في القرآن أكثر من الأسماء في الذخائر والعلوم منها تفضل الله عز وجل بتسمية الصلح فتحاً ونصراً ، وهذه التسمية لطرف واحد من طرفي الصلح وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ قال تعالى بخصوص صلح الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٤).

لقد نصر الله عز وجل النبي محمداً وأصحابه في معركة بدر ، وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥)، حيث سلّ

(١) الخصائص الكبرى ٣٤٥/١ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة غافر ٥١ .

(٤) سورة الفتح ١ .

(٥) سورة آل عمران ١٢٣ .

السيوف وسقط القتلى من الطرفين ، وأيهما أكبر النصر أم الفتح في المقام ، المختار هو الثاني ، ومع هذا تم من غير إراقة دماء.

ومن خصائص النبي محمد (ص) توجه خطاب الفتح من الله لشخصه ، فلم تقل الآية (انا فتحنا لكم) بل قالت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾^(١) ، لبيان عظيم منزلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الله ، وما حفّه به من الكرامة ، نعم هو فتح للمسلمين والمسلمات جميعاً .

وهو نتيجة لصبر وجهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه ضد الإرهاب والظلم وغزو قريش المتكرر للمدينة المنورة لإرادة الإبادة الجماعية للمسلمين.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعمة الفتح وقهر المشركين بالصلح ليشكر المسلمون الله عز وجل بيسط الأمن في الأرض ، وتحقيق مصداق الخليفة في الأرض ، ولم تقل الآية (انا فتحنا فتحاً) إنما قيدت الفتح بكونه مبنياً ، بقوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) اي ظاهراً جلياً في منافعه العامة والخاصة .

وفيه شاهد بأن النبي محمداً لم يغادر الدنيا إلا بعد أن فتح الله له فتحاً تنفرع عنه الفتوح إلى يوم القيامة ، وهذا التجدد من مصاديق صفة (المبين) للفتح في صلح الحديبية.

من معاني ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾

هل الفتح يوم الحديبية خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينقطع بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، الجواب لا ، وتقدير الآية على وجوه :

الأول : إنا فتحنا لك أيام حياتك فتحاً.

الثاني : إنا فتحنا لك بعد الصبر والدفاع فتحاً.

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة الفتح ١.

الثالث : إنا فتحنا لك لايات صدق نبوتك.

الرابع : إنا فتحنا لك ولأمتك فتحاً.

الخامس : إنا فتحنا لأجيال أمتك فتحاً باقياً إلى يوم القيامة.

الأول : إنا فتحنا لك فتحاً لإستئصال الظلم والشرك .

الثاني : إنا فتحنا لك فتحاً من غير إراقة الدماء .

الثالث : إنا فتحنا لك فتحاً بالصلح لئتنزه المسلمون عن الظلم

والإرهاب.

الرابع : إنا فتحنا لك فتحاً ليتخذ المسلمون الصلح منهاجاً فيما بينهم ،

ومع الناس كافة ، قال تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ

تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَهُمَا فَصْلُحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾.

الخامس : إنا فتحنا لك فتحاً بالصلح ليكون شاهداً على صدق نبوتك .

السادس : إنا فتحنا لك فتحاً لمعجزات تتوالى بعده .

السابع : إنا فتحنا لك فتحاً يجعل المسلمين في غنى عن القتال.

الثالث : إنا فتحنا لك فتحاً فاعملوا لما بعده من سبل الصلاح والرشاد .

وبيين قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) أموراً :

الأول : قانون صلح الحديبية بداية فتح جديد ونهاية للإقتال بين

المسلمين والمشركين .

الثاني : قانون بداية التبليغ العام بين الناس بيسر .

الثالث : قانون اقبال الناس على دخول الإسلام .

الرابع : قانون سعي المسلمين في التفقه في الدين .

(١) سورة الحجرات ٩.

(٢) سورة الفتح ١.

الخامس : قانون إشاعة سبل الصلاح والأخلاق الحميدة والسلم المجتمعي .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجيؤه بكلمة التوحيد وأصول الشريعة من التوحيد والنبوة والمعاد ، وفروع الدين واتقانها وضبط قواعدها وأحكامها ، كالصلاة التي هي عمود الدين ، وتتضمن الأجزاء والأركان ، وترتيب أفعالها والتلاوة الواجبة وسط مجتمع من المشركين وعبداء الأوثان ، لتصبح كلمة التوحيد في بضع سنين هي العليا .
ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تخفيف الله عنه بأن منحه الفتح بلطفه وإحسانه ، ومن غير قتال وغزو وفتح مدينة ، فتم صلح الحديبية في أرض جرداء على أطراف الحرم لتفتح المدن بالتوالي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿١﴾ .

لذا جاءت كلمة ﴿ فَتَحًا ﴾ بصيغة التنكير ﴿ فَتَحًا ﴾ والنكرة في سياق الإثبات تفيد العموم ، وقيل لا تفيد النكرة هنا العموم إلا مع القرينة كما في قوله تعالى ﴿ عَلِمْتَ نَفْسُ مَا أَخْضَرْتَ ﴾ ^(٢) فانها تفيد العموم بدليل قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُغُ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ... ﴾ ^(٣) .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الفتح الذي رزقه الله أيام الحياة الدنيا ، لأن هذا الفتح من عند الله وما كان من عند الله فهو باق ونعمة لا تغادر الأرض ، لذا وصفه الله بأنه (مبين).

(١) سورة الفتح ١-٣.

(٢) سورة التكوين ١٤.

(٣) سورة يونس ٣٠.

وهن وضعف المشركين

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعضيد نبوته بمدد وعون من عند الله في حال السلم والحرب ، ورمي المشركين الذين يحاربونه بالوهن من جهات :

الأولى : حال الضعف والوهن التي صارت عليها قريش عند توالي هجومها على المدينة وقتالها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : تعطيل تجارات قريش سني القتال والحرب ، وحاجتهم إلى عودة قوافل التجارة ليكون من الإعجاز في قوله تعالى ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ * إِلَّا لَهُمْ رَحْلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(١) ، أن التجارة سبب لرضا قريش بصلح الحديبية ، وامتناعهم عن استمرار القتال ، لذا كان من بنود صلح الحديبية المهادنة ووضع السلاح (وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض)^(٢).

الثالثة : العرف العام المتوارث بوجوب عدم صد الناس عن المسجد الحرام ، وخشية قريش من الهياج ضدها.

الرابعة : شيوع معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكثرة الذين دخلوا الإسلام علانية وخفية سواء من أهل مكة أو غيرها.

الخامسة : قانون خشية وخوف كفار قريش من الفتنة العامة التي تتفرع قهراً وأنطباعاً عن الجحود بمعجزات النبوة ، وهذا الخوف من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْمِنُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة قريش ١-٢.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٨٣/٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

السادسة : فضل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين والأنصار ، وتحقيق مقدمات زيارة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للبيت الحرام ، قال تعالى ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَدْخُلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١).

السابعة : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استدامة وتجدد حال الخوف والرعب في قلوب الذين حاربوه ونصب له العداوة ، إذ نزل قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الْمُظْلِمِينَ﴾^(٢).

ليبيان مسائل في خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها :
الأولى : ابتداء استيلاء الرعب والفرع والهلع على قلوب المشركين الذين يحاربون النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .
الثانية : تغشي الرعب للمشركين مجتمعين ومتفرقين .

الثالثة : حضور الرعب في قرارات الذين أشركوا بما يجعل غشاوة على البصر والبصيرة ، قال تعالى ﴿خَسَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

الرابعة : ليس من إنقطاع أو ضعف لرعب المشركين في أجل معين ، مما يدل على اتصاله ودوامه .

الخامسة : قانون الملازمة بين الشرك ورعب قلوب المشركين مدد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة الفتح ٢٧.

(٢) سورة آل عمران ١٥١.

(٣) سورة البقرة ٧.

دنو الأجل

لقد رزق الله عز وجل النبي محمداً المعجزات الحسية والعقلية ، ومنها إخباره بدنو أجله ، وهذا الإخبار حاجة للمسلمين والناس لسعي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لإتمام تبليغ رسالته ، وتهيئة أذهان المسلمين لمغادرته الحياة الدنيا ، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾^(١) ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شوقه قولاً وفعلاً للقاء الله تعالى .

وعن ام حبيبة قالت (لما نزلت { إذا جاء نصر الله والفتح }^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله لم يبعث نبياً إلا عمر في أمته شطر ما عمر النبي الماضي قبله ، وإن عيسى ابن مريم كان أربعين سنة في بني إسرائيل ، وهذه لي عشرون سنة وأنا ميت في هذه السنة : فبكت فاطمة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي ، فتبسمت)^(٣).

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معرفته لأوان أجله ولو على نحو الإجمال ، وفيه مسائل :

الأولى : فضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معرفة أجله ، وقرب انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

الثانية : نزول القرآن بالإشارة إلى قرب أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن الإمام علي عليه السلام قال (نعى الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم نفسه حين أنزل عليه { إذا جاء نصر الله والفتح }^(٤) فكان الفتح سنة ثمان بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة يونس ٤٩.

(٢) سورة الفتح ١.

(٣) الدر المنثور ١٠/٣٧٤.

(٤) سورة الفتح ١.

فلما طعن في سنة تسع من مهاجره تتابع عليه القبائل تسعى فلم يدر متى الأجل ليلاً أو نهاراً .

فعمل على قدر ذلك فوسع السنن ، وشدّد الفرائض ، وأظهر الرخص ، ونسخ كثيراً من الأحاديث ، وغزا تبوك ، وفعل فعل مودع^(١) .

ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التهيئ للإنتقال للآخرة بضبط الأحكام الشرعية ، وعمل المسلمين بها .

الثالثة : بيان معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأخباره المسلمين عن قرب أجله .

الرابعة : تأكيد قانون زيارة الموت لكل إنسان ، قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢) .

الخامسة : قانون وقاية المؤمنين من الإرتداد بتهيئتهم لقرب مغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحياة الدنيا ، قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣) حتى اذا ما ارتدت قبائل عديدة من العرب عند وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقي أهل البيت والصحابة في مقامات الإيمان والصبر لعودة الناس إلى الإسلام ، فكانت حروب الردة وخزي الذين كفروا .

(١) الدر المنثور ١٠/٣٧٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٤ .

أسماء قوانين هذا الجزء المبارك

- الأول : قانون أداء الصلاة سكية عامة .
- الثاني : قانون وعود النبي محمد (ص) وحي .
- الثالث : قانون بشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر في أحلك الأحوال ، وتكالب الأعداء .
- الرابع : قانون النبوة جهاد متصل في جميع آتات الليل والنهار .
- الخامس : قانون الانتفاع العام من الإسراء .
- السادس : قانون الإسراء مناسبة التخفيف عن أجيال المسلمين .
- السابع : قانون الإسراء فيض ورحمة من الله .
- الثامن : قانون العلة والمعلول ، والسبب والمسبب .
- التاسع : قانون الإسراء تشريف وأمان للمسلمين إذ أن إكرام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على نحو القضية الشخصية ينحل ليشمل عموم المسلمين ، وفي جميع الأزمنة .
- العاشر : قانون عصمة آية الإسراء من الحسد وإزدياد وتيرة العداوة والبغضاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- الحادي عشر : قانون معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحمة ونعمة عامة .
- الثاني عشر : قانون استدامة حنيفة إبراهيم في الأرض برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- الثالث عشر : قانون إنذار أم القرى .
- الرابع عشر : قانون التعاضد بين القرآن والسنة .
- الخامس عشر : قانون الترغيب بتأويل الرؤيا .
- السادس عشر : قانون موضوعية الدعاء في تحقيق الرؤيا .
- السابع عشر : قانون عدم الملازمة بين رموز الرؤيا وتنجز مصداقها الواقعي .
- الثامن عشر : قانون الوحي دليل النبوة .

التاسع عشر : قانون رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعبة من الوحي.

العشرون : قانون التعبير من السنة النبوية.

الواحد والعشرون : قانون علم تأويل الرؤيا بالوحي.

الثاني والعشرون : قانون الحاجة العامة للرسالة الخاتمة.

الثالث والعشرون : قانون الرؤيا الصادقة شعبة من الخلافة في الأرض .

الرابع والعشرون : قانون الرؤيا الصادقة من نفخ الروح في آدم .

الخامس والعشرون : قانون انقياد تفسير الرؤيا بالضد للوحي.

السادس والعشرون : قانون النجاة من القتل بالمعجزة.

السابع والعشرون : قانون الوحي معجزة.

الثامن والعشرون : قانون بقاء العمل بأحكام الإسلام إلى يوم القيامة ،

قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

التاسع والعشرون : قانون النبوة هداية ورشاد.

الثلاثون : قانون النبوة حق وصدق وحاجة للناس .

الواحد والثلاثون : قانون التصديق بالنبوة واجب على الرجال والنساء

الثاني والثلاثون : قانون الرسول واسطة بين الله والناس .

الثالث والثلاثون : قانون رسالة النبي محمد سبيل هداية وصلاح .

الرابع والثلاثون : قانون إتباع الرسول محمد سلامة ونجاة من النشاطين .

الخامس والثلاثون : قانون إتصال الحجة في الأرض بسلامة القرآن من

التحريف إلى يوم القيامة.

السادس والثلاثون : قانون إرجاع السنة إلى القرآن.

السابع والثلاثون : قانون الملازمة بين الحياة والإستعانة بالله.

الثامن والثلاثون : قانون الحاجة إلى الإستعانة .

التاسع والثلاثون : قانون إكثار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الاستعاذة من الشيطان الرجيم.

الأربعون : قانون الإستعاذة احتراز عام.

الواحد والأربعون : قانون لا تصح الإستعاذة إلا بالله عز وجل واللجوء إليه .

الثاني والأربعون : قانون منع وصول المدح والثناء إلى الذين كفروا لتخلفهم عنه بتركهم الواجب.

الثالث والأربعون : قانون صلح الحديبية نصر ، قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾^(١) .

الرابع والأربعون : قانون الإسلام والسلام توأمان.

الخامس والأربعون : قانون منع الغلو بشخص النبي.

السادس والأربعون : قانون تأكيد التنزيل لصدق النبوة.

السابع والأربعون : قانون أن الناس ينقسمون في موضوع النبوة إلى قسمين :

الأول : نبي مبعوث من عند الله بالمعجزة .

الثاني : متلقي من النبي .

الثامن والأربعون : قانون وجوب اتباع الأنبياء .

التاسع والأربعون : قانون الآية القرآنية تتضمن التحدي .

الخمسون : قانون التحدي العام عن الإتيان بمثل سورة من القرآن ، قال

تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) .

الواحد والخمسون : قانون التحدي بمضامين ودلالات الآية القرآنية ،

وهو من الشواهد على قانون القرآن معجزة عقلية متجددة .

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة يونس ٣٨.

الثاني والخمسون : قانون عجز الناس عن إحصاء منافع آيات القرآن من أيام التنزيل وإلى يوم القيامة .

الثالث والخمسون : قانون إنذار الناس جميعاً من الضلالة والكفر والفسوق ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (١) .

الرابع والخمسون : قانون إنذار المشركين والكفار من محاربة الإسلام والمسلمين ، وأن الله يبطش بهم .

الخامس والخمسون : قانون إنذار المشركين والكفار من محاربة الإسلام والمسلمين .

السادس والخمسون : قانون بطش الله عز وجل بالمجرمين الذين يحاربون التنزيل .

السابع والخمسون : قانون المسلمون مستعدون للدفاع عن بيضة الإسلام .

الثامن والخمسون : قانون كل كتيبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي سرية استطلاع ، ودعوة للإسلام .

التاسع والخمسون : قانون كسر شوكة كفار قريش .

الستون : قانون عجز المشركين عن منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من السياحة والضرب في الأرض .

الواحد والستون : قانون كتائب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنذار وهو من خصائصه .

الثاني والستون : قانون نصر النبي محمد (ص) من عند الله .

الثالث والستون : قانون صيرورة العدو ولياً .

الرابع والستون : قانون الصلح فتح .

الخامس والستون : قانون الصلح سكيئة .

السادس والستون : قانون اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سلامته والإسلام والتنزيل والصحابة من كيد ومكر المشركين معجزة خالدة له.

السابع والستون : قانون كل صلح للنبي محمد رحمة وفتح ومقدمة للصلح العام.

الثامن والستون : قانون توالي المدد .

التاسع والستون : قانون الثبات على الإيمان إنذار للذين كفروا وحجة عليهم .

السبعون : قانون لولا الوحي لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحديبية .

الواحد والسبعون : قانون المائز بين رؤيا الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والرؤيا الصادقة لعامة الناس بكثرة منافع رؤيا الوحي ، واستمرارها إلى يوم القيامة.

الثاني والسبعون : قانون رافة الله عز وجل بالناس جميعاً في صلح الحديبية .

الثالث والسبعون : قانون أداء المسلمين الفرائض العبادية بأمن وسلام.

الرابع والسبعون : قانون عداوة النبي ظلم .

الخامس والسبعون : قانون الصلح أعظم فتح.

السادس والسبعون : قانون لا يقدر على الفتح وهزيمة المشركين مع أنهم أضعاف المسلمين بالعدد والعدة إلا الله عز وجل.

السابع والسبعون : قانون الجهاد من أجل السلام ، وجعل العلة الغائية للدفاع تثبيت أسس الأمن والسلم والتعايش المجتمعي إلى يوم القيامة .

الثامن والسبعون : قانون الإسلام دين الأمن والسلام .

التاسع والسبعون : قانون بيان القرآن لقانون (الصلح فتح) لنزول قوله تعالى عندما تم صلح الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١).

الثمانون : قانون رضا الناس بحكم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة وبعدها .

الواحد والثمانون : قانون التهيئ للدفاع سلام .

الثاني والثمانون : قانون السنة النبوية مرآة لآيات القرآن .

الثالث والثمانون : قانون السلام منهاج النبوة في الأرض .

الرابع والثمانون : قانون الزجر عن محاربة النبي محمد (ص) .

الخامس والثمانون : قانون آيات السلم محكمة غير منسوخة .

السادس والثمانون : قانون السنة النبوية بيان للقرآن .

السابع والثمانون : قانون نفي السنة النبوية للقول بنسخ آيات السلم والصلح .

الثامن والثمانون : قانون تجلي النفع العام بالسلم والصلح في كل زمان

التاسع والثمانون : قانون من الشواهد على صدق النبوة ميل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلح .

التسعون : قانون دفع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأسباب ومقدمات القتال .

الواحد والتسعون : قانون تعجيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بوقف القتال في حال نشوبه .

الثاني والتسعون : قانون السماحة .

الثالث والتسعون : قانون ملازمة السماحة للنبوة وعدم إنفكاكه عنها في حال الرضا والغضب .

الرابع والتسعون : قانون السكينة والرضا بجوار البيت الحرام ، إذ صار الصحابة على بعد عشرين كيلو متر منه ، قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً

لِلنَّاسِ وَأَمْنًا^(١).

الخامس والتسعون : قانون السلم منهاج النبوة .

السادس والتسعون : قانون تنمية ملكة السماحة ، والميل إلى السلم عند المسلمين وعامة الناس ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

السابع والتسعون : قانون الإسلام دين السلم.

الثامن والتسعون : قانون التنافي بين الصلح والإرهاب .

التاسع والتسعون : قانون السعة والمندوحة لتحقيق الصلح .

المائة : قانون الصلح حرز ومانع من الإقتتال .

الواحد بعد المائة : قانون النفع العام بالصلح وإنعدامه بالإرهاب.

الثاني بعد المائة : قانون سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من قصد المشركين الإبادة العامة لهم .

الثالث بعد المائة : قانون ازدياد عدد المسلمين المطرد.

الرابع بعد المائة : قانون كل معركة دفاعية للمسلمين تزيدهم إيماناً وتقوي شوكتهم .

الخامس بعد المائة : قانون مع كل معركة يدخل رهط من الناس الإسلام .

السادس بعد المائة : قانون ضعف ووهن المشركين عقب كل معركة من معارك الإسلام.

السابع بعد المائة : قانون فضح المشركين بأنهم الغزاة في كل معركة .

الثامن بعد المائة : قانون النقص المتصل والمتتالي في أموال المشركين وإبلهم الخاصة بالتجارة في رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

التاسع بعد المائة : قانون السلامة من الخوف من الكفار .

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

العاشر بعد المائة : قانون كل نبي شجاع.
الحادي عشر بعد المائة : قانون إجهار النبي محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم بتلاوة الآيات القرآنية التي تتضمن ذم عبادة الأوثان ، وسوء عاقبة
 الذين عبدوها.

الثاني عشر بعد المائة : قانون إيمان النساء.
الثالث عشر بعد المائة : قانون كل معجزة حسية للنبي محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم ذكرت في القرآن فهي معجزة حسية عقلية لحضورها
 ووقوعها أيام التنزيل .

الرابع عشر بعد المائة : قانون توثيق معجزات النبي محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم الحسية في التنزيل ، كمعجزة الاسراء والمعراج .
الخامس عشر بعد المائة : قانون تلاوة المسلمين وتوثيقها في التنزيل كل
 يوم وإلى أوان النفخ في الصور.

السادس عشر بعد المائة : قانون استدانة فتح باب الدعاء .
السابع عشر بعد المائة : قانون فوز المسلمين بالتوجه إلى الله عز وجل
 بتعدد المسألة والحاجة.

الثامن عشر بعد المائة : قانون الشكر العام على بعثة النبي محمد (ص).
التاسع عشر بعد المائة : قانون الذي نادي للإيمان هو رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم ، فهو لم يدع من نفسه أو لنفسه .

العشرون بعد المائة : قانون دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 للإيمان بالوحي والتنزيل المقترن بالحجة والمعجزة .

الواحد والعشرون بعد المائة : قانون دعوة النبي محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم للإيمان جهرية وعلنية عامة .

الثاني والعشرون بعد المائة : قانون وجوب الدعاء والاستغفار .
الثالث والعشرون بعد المائة : قانون وجوب الإستغاثة بالله عز وجل ،
 ورحمته غياث للناس أجمعين .

الرابع والعشرون بعد المائة : قانون هداية المسلمين إلى السبيل والصراط إلى الله عندما تنقطع السبل.

الخامس والعشرون بعد المائة : قانون تلاوة المسلمين للقرآن كل يوم علو منزلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السادس والعشرون بعد المائة : قانون مصاديق العبودية كلها شكر وثناء على الله عز وجل.

السابع والعشرون بعد المائة : قانون انتفاع كل إنسان وطائفة من رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثامن والعشرون بعد المائة : قانون الإنتفاع العام من الخطاب القرآني الموجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سواء مباشرة أو بالواسطة ، ويؤكد قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(١).

التاسع والعشرون بعد المائة : قانون الغالب في خطابات القرآن ، أنها عامة حكماً .

الثلاثون بعد المائة : قانون صلح الحديبية بداية فتح جديد ونهاية للإقتال بين المسلمين والمشركين .

الواحد والثلاثون بعد المائة : قانون بداية التبليغ العام بين الناس بيسر .

الثاني والثلاثون بعد المائة : قانون اقبال الناس على دخول الإسلام .

الثالث والثلاثون بعد المائة : قانون سعي المسلمين في التفقه في الدين .

الرابع والثلاثون بعد المائة : قانون إشاعة سبل الصلاح والأخلاق الحميدة والسلم المجتمعي .

الخامس والثلاثون بعد المائة : قانون خشية وخوف كفار قريش من الفتنة العامة التي تنفزع قهراً وأنطباقاً عن الجحود بمعجزات النبوة ، وهذا الخوف

من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْسَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

السادس والثلاثون بعد المائة : قانون الملازمة بين الشرك ورعب قلوب المشركين مدد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع والثلاثون بعد المائة : قانون زيارة الموت لكل إنسان ، قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٢).

الثامن والثلاثون بعد المائة : قانون وقاية المؤمنين من الإرتداد بتهيئتهم لقرب مغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحياة الدنيا.

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة آل عمران ١٨٥ .

تفريظ تفضل به العلامة المحقق السيد رضا الحكيم "حفظه الله" معالم الإيمان موسوعة نادرة

معالم الإيمان سر مكنون يروي عظمة القرآن الحكيم ، بعض أجزاءه تشع بأنوار التوحيد ، باضواء التسامح والتعايش السلمي .
الإسلام هو دين السلام ، الأجزاء الأخرى تتميز بالتجديد والإبتكار ، لغته تتصف بالمتانة والصفاء ، لا تجد فيها زخارف ولا تراويق ، خاص في بحار كلمات الوحي الإلهي .

أخرج للأجيال لآلئ جديدة ، معاني غابت عن كثير من المفسرين عن العديد من كتاب الموسوعات التاريخية .

موسوعة (معالم الإيمان) تجاوزت المائتين والخمسة والستين مجلداً ، كل جزء فيها تجد لوحات نادرة عن الحياة الإجتماعية ، الحياة الجارية في عهد الرسالة ، في العصور بعد عهد الرسالة ، تجد أيضاً خلجان من الأدب الابداعي ، تجد حقول الفلسفة الإسلامية مزدهرة تفوح بعطر الكندي وابن سينا وابن رشد .

في موسوعة معالم الإيمان دراسة معمقة في الأدب النثري ، في الأدب الشعري ، قراءة في مجموعة العلاقات القبيلة والعشائرية ، تركيبها في الجزيرة العربية قبل وبعد الإسلام .

الشيخ صالح الطائي مرجع ديني ، غمامة تهطل بثقافة الإسلام ، واحة خضراء يستراح عندها عشاق التوحيد ، رؤاه تفجرت بفتوحات العقل الإسلامي ، اكتشافاته اللغوية الجديدة .

منعطف للعقول والإفئدة ، تتألق مثل تألق الكواكب والنجوم ، أبعد عن عيوننا خريف التاريخ المضطرب ، في يده اليمنى قلم يزيح عنا ظلمة الخرافات والأباطيل ، في يده اليسرى عصا حطم بها اصنام الماضي والحاضر ، رؤاه المسيجة بالياسمين اضححت تؤكد ان الإسلام دين السلام ، دين الكتاب وحوار الثقافات .

تفسيره (معالم الإيمان) دخل القلوب ، دخل الجامعات الحضارية ، زرع البيوت بالسنديان ، ملأ غرفنا بالأضواء البنفسجية ، ستبقى موسوعة (معالم الإيمان) مدرسة لنا ، كلية لأبنائنا ، مآذن لأحفادنا .

سيبقى الشيخ صالح الطائي يتألق حتى قيام الساعة .

السيد رضا موسى الحكيم

٢٠٢٥-٣-٢٥

من الردود الكريمة على عدد من أجزاء سفر (معالم الإيمان في تفسير القرآن)

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق
- ٤- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي
- ٥- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .
- ٦- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ٧- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ٨- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية السعودية
- ٩- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ١٠- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١١- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٢- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية الجزائرية
- ١٣- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
- ١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة الكوفة / العراق
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٧- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٥
١٤٠٨ / ٤ / ٢٠

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السيد صاحب التصنيف المرحوم الديلمي الشيخ / صلاح الصافي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم. نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر
مختصا
(الدكتور) محمد سيد طنطاوي

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير
والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني
والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية



جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ٢٠١٧/١٢/١٧.

تلقينا ببالف الإعتزاز إهداءكم نسخة من كتابكم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢١

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٢٢٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٦

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



مستشارية الأمن القومي

بسم الله الرحمن الرحيم

كوفي ماري عماري
 كافي كافي بالآتي بيني جاري
 القصة ١٠٠ / مائة / ٨٦٥
 السبب ١٨٢ / ٥٠ / ٨٦٥



جمهورية إيران الإسلامية
 المحكمة الاتحادية العليا
 مكتب رئيس المحكمة

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالغ الاعتزاز إهداءكم القيم (الجزء الرابع
 والثلاثون بعد المائتين) من تفسيركم للقرآن،
 وهو بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب).
 ونقدم شكرنا وتقديرنا.

القاضي
 جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

١٤ / ٥ / ٢٠٢٢



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِسَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتَايِعُ لِمَجْمَعَةِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اِتِّحَادُ الْمَوْرِّخِينَ الْعَرَبِ
الْاَمَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ٨٩ / ث
التاريخ : ٤ رمضان ١٤٤٣
الموافق : ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء
تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعزاز اهداءكم لنا الجزء الواحد
والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير
منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعمكم به الله تعالى من امكانات
متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم أقرأ أو
اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز
عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما حباكم به الله تعالى من
امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم
المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري
الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج
الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي
التمميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأستاذ الدكتور محمد جاسم المضهداني
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد / رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والنرات العلمي للدراسات العليا



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

No.:
Date:

العدد ٨٠
التاريخ ٢٠٢٣ / ١ / ١١



سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تلقينا بكل تقدير وامتنان اهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث
والأربعون بعد المائتين ، وتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، داعياً الله العلي
التقدير ان يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكمل اعمالكم بالنجاح انه سميع مجيب .
ومن الله التوفيق


أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٣ / ١ / ١٠

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة العربية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
{ ٠٣٧ }

الموضوع:

فضيلة الشيخ / صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للمقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب. ٢١١٦٨ مملكة البحرين
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن - الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على
إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة ، وستحال إلى
مكتبة الجامعة للإطلاع عليها ، سائلا المولى جلت قدرته للجميع
التوفيق والسداد.
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين الساعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

المرّة: ج ك/م ١٧/ح/٣

التاريخ: ... 2016/8/16م

السادة / مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبد الله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦ / ١ / ١٣٢
التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٦ هـ
الملاحظات:
الموضوع:



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وزارة التعليم العالي
إمارة المنطقة الشرقية
مكتب المصروف
(٠٣٢)

سلمه الله

معالي الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

ولأني إذ أقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تعياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد : ٢٩٢ / ١
التاريخ : ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٧ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١ م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قمتظينة نفي: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قمتظينة

رقم 498... / رج / 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

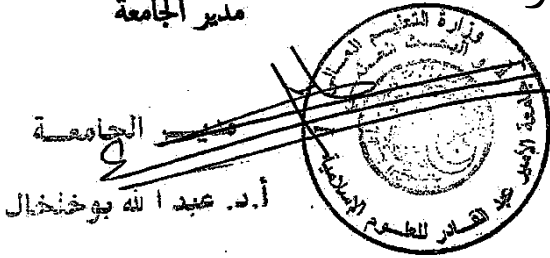
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د. / عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



مدير الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال

Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Basrah University
Chancellor Office



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
مكتب رئيس الجامعة

التاريخ: ٢٠١٤ / ١٢ / ٢٤

العدد: ٥٤١٧ / ٢٠٥٩٩

الى / الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب احسن تفسير للقرآن

م/شكر على إهداء

نهديكم أطيب التحيات ...

تسلمنا ببالغ الشكر والامتنان اهدائكم الجزء التاسع
بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) مثنين
لكم جهودكم المبذولة في التأليف والتصحيح والمراجعة
لتحقيق الارتقاء والسمو، متمنين لكم الموفقية والازدهار
خدمة للصالح العام.

والله الموفق



الاستاذ الدكتور

ثامر احمد حمدان

رئيس الجامعة

٢٠١٤ / ١٢ / ٢٤



Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret:

Date:

العدد: ١٥٢٦ / ٢

التاريخ: ١٩ / ٢ / ٢٠١٥

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير
وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم
متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.
...مع التقدير

٢
١

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
**UNIVERSITY OF
K U F A**
President's Office



وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مكتب رئيس الجامعة

Ref. :

Date: / /

((بجيشنا والحشد الشعبي وقوات البيشمركة العراق أقوى))
إلى/سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

ببالغ الإمتنان والتقدير تسلمنا نسخة من مؤلفكم القيم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) بجزئه العشرين بعد المائة وإننا وإذ تقدم لكم بالشكر والإمتنان على مبادرتكم
الطيبة، فأنا نبتهل للباري جل في علاه أن يوفق سماحتكم لما يحبه ويرضاه، ومنه العون
والسداد.

مع أسى آيات تقديري واحترامي...

أ. د. عقيـل عبد ياسين
رئيس جامعة الكوفة
٢٠١٥ / ٨ / ١١

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

Date _____

الرقم ٨١٦٠:٨١٦٩ / ٧٦٩

التاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦ م

الموافق ١٤٣٤/٤/٢٦ هـ

سبادة الأُمّ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)

تأريخ ٢٠١٢/٥/٢٦ م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في

الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

واني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم

هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن

يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم

والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامة

بسم الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

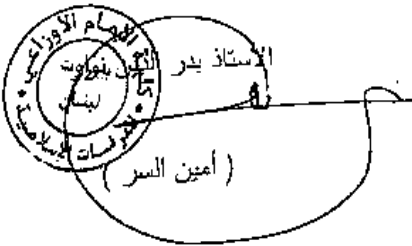
سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



المحتويات

المقدمة.....	٣
الفرع إلى الصلاة.....	١٠
قانون أداء الصلاة سكية عامة.....	١٢
اتقان الأمة الصلاة.....	١٣
أسواق مكة مقدمة للبعثة النبوية.....	١٤
منتديات مكة.....	١٦
جغرافية مكة.....	١٨
ليلة الولادة المباركة.....	١٩
اسم الرسول محمد (ص) على العرش.....	٢١
إكرام النبي محمد قبل خلق آدم.....	٢٣
الكمال الإنساني.....	٢٥
رؤيا الوحي.....	٢٨
قانون وعود النبي محمد (ص) وحي.....	٢٩
الإسراء معجزة خالدة.....	٣١
الإسراء مدد.....	٣٣
الإسراء تفضيل.....	٣٥
قانون الانتفاع العام من الإسراء.....	٣٦

٣٩.....	تلقي الأحكام في الإسراء
٤٢	مواظب من سورة يوسف
٤٤.....	قانون الإسراء فيض ورحمة من الله
٤٧	نزول إسرافيل
٥٠.....	دلائل الإسراء من المسجد الحرام
٥١.....	دخول المسجد الأقصى
٥٤	رؤية الآيات الباهرات
٥٧.....	الإسراء بالجسد والروح
٥٩	من دلائل الإسراء بالروح والجسد
٦١	الإسراء بالبدن
٦٣.....	الإسراء عنوان المحبة
٦٤	السياحة في عالم السماء
٦٦.....	الإيمان بالمعراج
٦٧.....	لقاء النبي محمد (ص) موسى (ع)
٦٨.....	إسراء إبراهيم
٦٩	لقاء النبي محمد (ص) الأنبياء السابقين
٧٠	قانون إنذار أم القرى
٧٢.....	السجود لله وحده

- ٧٣ قانون التعاضد بين القرآن والسنة
- ٧٤ النعمة على بني إسرائيل
- ٧٥ تفضيل النبي محمد (ص)
- ٧٩ تجليات تفضيل النبي محمد (ص)
- ٨١ الثناء على جبرئيل
- ٨٣ قانون الترغيب بتأويل الرؤيا
- ٨٥ قانون موضوعية الدعاء في تحقيق الرؤيا
- ٨٦ خصائص النبي (ص) في العبادات
- ٨٧ الإسراء / حديث متواتر
- ٨٩ بلوغ سدرة المنتهى
- ٩١ تجليات المعراج
- ٩٢ سؤال الأنبياء حقيقة أم مجاز
- ٩٣ دلائل سؤال الأنبياء
- ٩٥ الإرتقاء العلمي في الإسراء
- ٩٧ قانون الوحي دليل النبوة
- ٩٨ حرمة الإحتكار والخمر
- ١٠٠ النهي عن صوم الصمت
- ١٠١ إياك والقوارير

- شهادة العقل على تحقق الإسراء ١٠٢
- إسراء سليمان ١٠٤
- اليوم في القرآن ١٠٦
- اليوم بمعنى الحين ١٠٩
- رؤيا النبي من شواهد القرآن ١١٠
- لماذا يقوم النبي (ص) بتأويل رؤياه ١١٢
- قانون التعبير من السنة النبوية ١١٣
- مقدمات الرسالة ١١٦
- قانون الحاجة العامة للرسالة الخاتمة ١١٨
- بشارة ولادة الحسين (ع) ١١٩
- قانون النجاة من القتل بالمعجزة ١٢٢
- البرزخ في السنة النبوية ١٢٤
- قانون الوحي معجزة ١٢٦
- الوحي لطف ١٢٨
- أولو العزم ١٣٠
- خصائص انفرد بها النبي محمد (ص) ١٣٢
- الخصائص في بيعة العقبة ١٣٣
- فلسفة النبوة ١٣٥

- ١٣٧ قانون النبوة هداية ورشاد
- ١٣٨ البراهمة والنبوة
- ١٣٩ الإجتهد في الدعوة
- ١٤١ النعمة المسداة
- ١٤٣ من قصص الأنبياء
- ١٤٤ حفظ القرآن
- ١٤٦ تعدد وجوه الإعجاز
- ١٤٨ السنة مصدر للتشريع
- ١٥٠ الاستعاذة بالله
- ١٥٢ مسائل في الإستعاذة
- ١٥٣ معجزة الإستعاذة
- ١٥٤ قانون الإستعاذة احتراز عام
- ١٥٧ الوقاية من الآفات
- ١٥٨ معنى الشيطان
- ١٦٠ المراد من الشيطان
- ١٦٢ بحث أصولي / معنى الفتح
- ١٦٤ الصلح حجة على المشركين
- ١٦٦ شواهد الصلح

١٦٩	قانون منع الغلو بشخص النبي
١٧٠	قراءة في علم الرجال
١٧١	قانون تأكيد التنزيل لصدق النبوة
١٧٤	عموم الدعوة
١٧٦	السنة النبوية شاهد صدق
١٧٨	النبوة أمانة
١٨٠	البعث بالحق
١٨٢	صفة البشير النذير
١٨٤	مصاحبة البشارة والإنذار للناس
١٨٦	بناء المسجد النبوي بالوحي
١٨٩	التحدي بالقرآن
١٩٢	الإعجاز في اجتماع الضدين
١٩٣	الخطاب القرآني إلى النبي محمد (ص)
١٩٦	تبليغ الرسالة
١٩٨	الرسول مهاجر سيداً وأميراً وحاكماً
١٩٩	كتائب استطلاع وتبليغ
٢٠١	منافع كتائب النبي (ص)
٢٠٣	عرض قوة الإسلام

- ٢٠٤ قانون نصر النبي محمد (ص) من عند الله
- ٢٠٦ الترغيب بآيات القرآن
- ٢٠٨ ترك المشورة الخالية من المنفعة
- ٢١٠ موادة عيئة بن حصن
- ٢١٣ تهدئة الصحابة في صلح الحديبية
- ٢١٤ قانون صيرورة العدو ولياً
- ٢١٦ قانون الصلح فتح
- ٢١٩ قانون الصلح سكية
- ٢٢٢ النجاة من القتل والإغتيال
- ٢٢٤ قانون توالي المدد
- ٢٢٦ حقن الدماء
- ٢٢٨ فضح النفاق
- ٢٣١ التكافل والتعاون لدفع ضرر المنافقين
- ٢٣٥ قانون عداوة النبي ظلم
- ٢٣٧ قانون الصلح أعظم فتح
- ٢٣٨ مدرسة الصلح
- ٢٤١ معجزة الصلح
- ٢٤٣ من خصائص الميدان

- الخروج إلى دومة الجندل سلام ٢٤٤
- عدم الإلتفات للتخويف من قيصر ٢٤٨
- إكرام النبي محمد (ص) لمكة ٢٥٠
- قانون التهيئة للدفاع سلام ٢٥٣
- منع سفك الدماء ٢٥٥
- التضاد بين السنة النبوية والإرهاب ٢٥٧
- السلم المجتمعي ٢٥٨
- قانون الزجر عن محاربة النبي محمد (ص) ٢٦٠
- النبوة باعث للسكينة ٢٦٢
- خطة أبي سفيان لقتل النبي (ص) ٢٦٣
- بعث الشوق للقرآن ٢٦٦
- قلة الإرتداد ٢٦٨
- بين الشفق والوسق ٢٧٠
- قانون السماحة ٢٧٢
- قانون الإسلام دين السلم ٢٧٤
- في معركة الخندق ٢٧٦
- قانون ازدياد عدد المسلمين المطرد ٢٧٨
- قلة القتل مدة النبوة الخاتمة ٢٨٠

- ٢٨٢ قانون السلامة من الخوف من الكفار
- ٢٨٤ قانون إيمان النساء
- ٢٨٦ الإبتلاء في معركة الأحزاب
- ٢٨٧ النسبة بين خصائص ومعجزات النبي محمد (ص)
- ٢٨٨ كثرة المعجزات الحسية
- ٢٩٠ خصائص حميدة في حديث
- ٢٩١ الحاجة العامة للنداء النبوي
- ٢٩٣ وجوب التلاوة اليومي
- ٢٩٥ قانون الشكر العام على بعثة النبي محمد (ص)
- ٢٩٨ الرحمة المزجاة
- ٢٩٩ خطبة الحاجة
- ٣٠٢ المعلم الأول
- ٣٠٤ إنذار الكافرين
- ٣٠٥ الإجتهد في الشكر لله
- ٣٠٦ من مصاديق الشكر لله
- ٣٠٨ كثرة الخطاب القرآني إلى النبي (ص)
- ٣١٠ الخطاب القرآني رحمة
- ٣١٣ اختصاص النبي (ص) بتلقي خطاب الفتح

من معاني ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ ٣١٤

وهن وضعف المشركين ٣١٧

دنو الأجل ٣١٩

أسماء قوانين هذا الجزء المبارك ٣٢١

تقريظ تفضل به العلامة المحقق السيد رضا الحكيم "حفظه الله" ٣٣١

من الردود الكريمة على عدد من أجزاء سفر (معالم الإيمان) ٣٣٢

المحتويات ٣٥٠

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٨٧٧ لسنة ٢٠٢٥

**طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دُرِّ الْفَيَّاضِ**